الحـــرب العظمى

* المخابرات الرسمية بين الخديو بالاستانة وقائمقامه بمصر

* الانجليز يمنعون عباس من العودة لبلاده . * ماذا فعلت الحكومة لدرء الطوارىء . مطالب الانجليز من مصر بعد اعلانهم الحرب . * انتدابي بمهمة خطيرة لدى عباس . * تبشير عباس للمصريين بشفائه . * وفاة مصطفى فهمي باشا . * الحاح الانجليز بترك عباس للاستانة والاقامة في ايطاليا . قطع علائقه بالانجليز . * تابع المخابرات الرسمية والحوادث . * منع الحج ومنع التضحية والاكتتاب للصليب الأحمر جبرا . زيارة عباس لشكر الخليفة والعائلة السلطانية والسفراء . عباس والصدر والحزب الوطني . الاتفاق الثلاثي بين ألمانيا وتركيا وعباس . الحملة التركية على مصر . منشور الخديو لرعاياه مصريين وسودانيين . تحديد مهمة الحملة . عود الى الحملة . طلب الاتحاديين اعانات مالية من عباس . تركية تعلن الحرب على الروسيا وانجلترا وفرنسا . البعثات الخديوية للحاق بالحملة التركية . شعور الخديو في ظروف مختلفة . قلق ايطاليا من الحملة التركية والتاميمات واشتداد القلق لاعلان الجهاد . كيف تخابر عباس مع مصر بعد دخول تركية الحرب ومع المنفيين في مالطة . عرش

(*) لم يمض على حادث الاعتداء على الخديو أكثر من أسبوعين حتى أعلنت الحرب العظمى ، وقد دارت بين سموه وقائمقامه مخابرات رسمية بالبرق والمراسلات في موضوعات ميزناها بنجوم ، أضفت إليها ما علمته من مداولات الخديو مع رجال الحكومة التركية وسواهم . وسيرى القارىء ذلك فيما بعد .

مصريين عباس وعز الدين وسعيد حليم . مهمتي السياسية في ايطاليا ومحادثات هامة ومقابلتي مع الملك وما دار بيننا من الحديث ومحادثات أخرى مع المصريين وغيرهم . المساعي لخروج الخديو من الاستانة واقامته في فينا . حديث عباس بفينا مع جربيارس عن حادثة الاعتداء . رأى عباس في حل مسألة السودان . كيف استقبل عباس خبر عزله وتولية السلطان حسين . فاول عباس بعد الانقلاب في مصر . الحفاوة بالخديو في فينا . كلمة ختامية . شئون مختلفة .

الانجليز يمنعون عباس من العودة لبلاده . ¤ أرسل عثمان مرتضى باشا برقيـة فى ٣ أغسطس لرشدى يقول فيها : إن الخديو سـيرجع قريباً إلى مصر على المحروسة ؛ وبما أن الحالة الحاضرة مضطربة ، فالمرجو إخبار إيطاليا واليونان بواسطة معتمديهما فى مصر ، لـكى تؤخذ الاحتياطات اللازمة عند مرورها بالجزر .

¤ فرد رشدى فى ٧ منه بأنه مهتم باتخاذ أحسن الوسائل لرجوع أفندينا ؛ وعلى كل حال فالرجوع بالمحروسة فيه خطر الآن ؛ اللهم إلا إذا عملت ترتيبات خصوصية . وأعرفكم بخطر تعدى المدرعات الألمانية عليها ؛ ولذا يجب إخطار الحكومة الانجليزية بالمحافظة عليها فى الرجوع .

¤ فأرسل مرتضى برقيـة سرية فى ٩ منـه ، وفيها : قررنا السفر بالمحروسة يوم الأربعاء مع الباخرة « عثمانية » للمرور من الدردنيل معاً ، ثم نذهب إلى الضلمان ؛ أما باقى خطتنا فسيعرفكم عنها شفوياً محمد فهمى بك الذى سيسافر على العثمانية قاصداً مصر .

¤ فرد رشدى فى ١٠ منـه يقول : وصلتنى برقيتكم السرية ، فهل لى أن أعلن حكومات اليونان وإيطاليا وانجلترا ؟

وفى يوم ١٩ وردت لنـا منه رسـالة بتاريخ ١٢ منه ، يقول فيهـا : إن السردار والمستشار المالى حضرا لمصر ، وقال لى شيتهم نائب كتشنر بالنص : « علمت الآن أن الخـديو فى طريقه إلى مصر . وبناء على تبليغات شفوية للمستشار المـالى ، فان حكومتى

تعلم الخديو بعدم الرجوع لمصر فى هذا الوقت ، وإن رجوعه الآن يكون ضد رغبة حكومتى . ولهذا أطلب منكم أن تخبروا سموه بذلك ببرقية لاسلكية ، وإن إحدى مدرعاتنا توصلها إلى المحروسة . » فأجبته أنه لا ينتظر مبارحته الاستانة ، ولهذا فاننى أرسل له بلاغكم إلى الاستانة : أما أننى أبرق له بواسطة مدرعاتكم — إذا فرض وكان قد ترك الاستانة — فهذا أمر لا يمكننى عمله .

• وأبرق فى ١٤ منه يقول : حيث إن انجلترا أعلنت الحرب على النمسا والمجر ، وبما أننا أعلنا الحرب عليهما بناء على طلب لندرة ، فنفذنا عليهما نفس الاجراءات التى التى وضعناها على ألمانيا .

ونظراً لاحتمال دخول تركيا فى الحرب بجانب ألمانيا ، فسيكون موقفنا وموقف أفندينا صعباً . فمن الضرورى اليوم وجود أفندينا فى مصر ، فهل يمكن لسموه وهو فى الاستانة أخذ التدابير لرجوعه ؟ وهلا يمكنه على كل حال أن يعلننا ببرقية عن رأيه لأننا فى غاية الحيرة ، والقلق مستول على المصريين ؟

أبرق عباس فى ٢٠ منه يقول : علمنا بالمذكرة الشفوية التى أبلغها لكم المعتمد الانجليزى ، وأرجو الرد عليها بالآتى :

• « الخديو يأسف غاية الأسف ؛ لأنه فى الظروف الحالية التى تستدعى ضرورة وجوده فى مصر من كل وجه ، والفائدة التى تعود عليها ، فان بريطانيا العظمى تأمركم بتبليغى رغبتها بعدم رجوعه لها . اشرحوا لنا نظريتكم ونظرية زملائكم ، وكذلك موقف كبار موظفى الانجليز ، والرأى العام المصرى . »

• فجاء الرد فى ٢٣ منه بأن رشدى أبلغ البرقية السالفة الذكر إلى الوكالة الانجليزية ، وأوضح بالتفصيل ضرورة وجود أفندينا حالا ، حتى إنه سلم مذكرة لسهولة توصيلها إلى لندرة ، وأنه فى انتظار نتيجة هذا المسعى ، وأنه طلب من المعتمد والمستشارين فى المالية وفى الداخلية تعريفه بصراحة - ولو بصفة شخصية - عن سبب تأجيل رجوع أفندينا ، وإلى أى وقت سيكون هذا التأجيل .

• وأرسل رشدى برقية فى ١٤ ، ووصلت فى ١٨ ، قال فيها : إن القلق مستول على المصريين ، فاذا كانت صحة سموكم تسمح ، فالضرورة تقضى برجوعكم حالا .

• ومن ضمن برقية أخرى فى ١٧ منه أنه قال لمعتمد انجلترا : إن النظار يتوقعون

احتمال دخول تركيا فى الحرب بجانب ألمانيا ، ويتساءلون عن النتيجة بالنسبة لمصر ، ويقولون بضرورة رجوع الخديو لأخذ رأيه فيما إذا كان هذا الاحتمال يقع ؛ لهذا فان القائمقامية بعثت ببرقية لسموه بالرجوع حالا . واليوم رجع للوكالة لتفهيم المعتمد بأن صالح بريطانيا يقضى بوجود أفندينا فى مصر عاجلا ، وسأرسل ببرقية قريباً أو برسول لسموه .

* وقد أرسل رشدى بأن الرد على أسئلته التى قدمها فى مذكرة للوكالة الانجليزية كان كما يأتى :

عن السؤال الأول ، لم يحصل على جواب قطعى ، إنما فهم من كلامهم أنهم يخشون نفوذ سموه ودسائس بعض حاشيته ؛ ولمحوا عن موقف سموه فى مسألة العقبة (طابة).

أما عن المسألة الثانية ، فأكدوا لرشدى أن هذا التأجيل مؤقت لمدة أسبوع أو أقل ، لحين وصول الجنود الهندية لمصر . وأما عن شعور الموظفين الانجليز ، فهو عدم الاعتماد على سموه فى أعمالهم . أما موقفهم بخصوص القيام بواجبهم ، فانه لم يتغير . أما الجمهور ، فانه يجهل الأسباب ويحسن ألا يعرفها . ثم قال رشدى إن أحمد شفيق فى الطريق ، ليعرض على أفندينا الحالة فى مصر تفصيلياً من ابتداء الحرب .

* وفى ٢٥ منه قال القائمقام إنه تقابل مع محمد فهمى بك ، وعلم منه أنه قيل للخديو إن الأحكام العرفية أعلنت ، وأنه حكم بالاعدام على بعض الأشخاص ؛ فكذب رشدى كل ذلك ، وقال إن الهدوء التام لا يزال سائداً هنا .

وفى اليوم نفسه ، زار الصدر سمو الخديو لتهنئته بالعيد ؛ وفى أثناء الحديث تكلم عن منع الانجليز سموه من الرجوع لمصر ، فقال سعيد حليم :

« حيث إن أفندينا كلمنى رسمياً فى مسألة منعه من العودة إلى مصر ، فانى سأطلب من سفير انجلترا إيضاحات عن سبب هذا المنع » . فشكره سموه .

* وفى ٣٠ منه أبرق عباس لرشدى بأن السفارة الانجليزية أخبرته بأن الوقت مناسب لرجوعنا إلى مصر ؛ ولكن نظراً لسكوتكم وحرماننا من كل المعلومات اللازمة للاجابة ، لم نتمكن من أخذ قرار فى ذلك »

ثم إن المستشار سأل سموه عما ينوى عمله ، فأجابه أنه كان ينوى السفر إلى النمسا ولكن ظهر أن طريق رومانيا معطل ؛ ثم فكر فى أن يأخذ إحدى البواخر الايطالية

فيذهب إلى أملاكه بالضلمان، ولكن الصدر الأعظم طلب منه أن يبقى فى الاستانة بضعة أيام ، فتأخر للآن .

وطلب سموه إرسال معلومات بالتفصيل، وروى له ما علمه من وصول الجنود الهندية إلى مصر .

* وفى اليوم نفسه (٣٠ أغسطس) جاءت برقية من رشدى يقول فيها إنه توجه إلى الوكالة البريطانية للاستفهام عن نتيجة مساعيه . فردت بعدم وصول شىء لها ، ولكنها تعتقد بوجود مخابرات ودية بين سموه والسفارة الانجليزية بالاستانة . وأخبر أيضاً بأن العساكر الهندية لم تصل بعد ، وطلب من الوكالة بمجرد حضورها أن يرجع أفندينا حالا، وإذا عارضوا يقدم استقالته ، ورشدى يستحسن إرسال مرتضى باشا إلى كتشنر شخصياً ليحبذ رجوعكم . وقال إن البرنس عزيز حسن كلم المعتمد البريطانى فى أن يستمر فى منع أفندينا عن رجوعه ، ليكون بعيداً عن مجرى الحوادث ؛ والمستشار المالى قال لرشدى إن سموه على وشك السفر إلى إيطاليا ، ومن رأى القائمقام، إن كان عدم رجوع أفندينا يطول ، فسفره إلى إيطاليا أرجح من إقامته فى تركيا .

* ورداً على برقية عباس أرسل رشدى يقول فى ٣١ منه : إنه بعد تبليغ سفارة انجلترا بعدم المانع من رجوع أفندينا ، لا شىء يبرر أقل تردد فى ذلك ؛ فان صالح البلد وصالح سموه الحقيقى ، يستلزمان رجوعه حالا . الحالة لم تتغير هنا ما عدا الصعوبات الاقتصادية التى فى كل البلاد . الأهالى والجرائد فى هدوء . موقف الاحتلال ليس فيه ما يدعو إلى الملاحظة . الكل ينتظر رجوع سموه بفروغ صبر، لأنه لا يوجد أحد يفهم أن غياب أفندينا يستمر بعد رفع المعارضة . فبناء على ذلك ، زملائى وأنا نرى أننا ملزمون بالالحاح لرجوعه حالا . ومن المهم لمواجهة الحوادث التى يمكن وقوعها أن النظارة تكون على اتصال مباشر مع سموه . والجنود الهندية لم ترد للآن .

قبل أن أرسل هذه البرقية توجهت إلى الوكالة الانجليزية ، وهى : «لا تعلم شيئاً عن بلاغ السفارة الانجليزية بالاستانة لسموه . اطلبوا إرسال البلاغ المذكور إلى الوكالة بواسطة السفارة أو الحكومة الانجليزية ؛ وهذا الاحتياط ضرورى، وإلا فانى مصمم على برقيتى السالفة .»

أشار محب باشا على الخديو بزيارة السفير الانجليزى اليوم كما زار السفراء الآخرين ، وكتب يخطر السفارة بذلك ، فرد الترجمان بأن السفير متغيب . ثم قال :

أما بخصوص سفر الخديو من الاستانة ، فربما لم أكن أوضحت تماماً يوم الأحد عما كنت أريد أن أقوله . والمفهوم أن الأصوب أن يبقى بعيداً عن مصر مدة أخرى ، وأن سياحته إلى إيطاليا أو فى جنيف فى الوقت الذى يجب فيه ترك الاستانة تكون فى محلها .

* وقد أبرق الخديو لرشدى باشا برد الترجمان ، ثم قال له :

«وعليه نرى أن تتركوا لنا وقتاً للتروى، لأخذ قرار وخطة للسير عليها؛ وسنفيدكم عنها . ومن جهتكم وافونا برأيكم ومشروعاتكم ومساعيكم التى تزيدنا معرفة عما يجب علينا اتخاذه ؛ ونظن أيضاً أن لكم خطة مقررة حيث تلحون فى رجوعنا ، خطة يجب أن نفهمها بالتفصيل ؛ ونود أيضاً أن نعرف كيف يكون وجودنا عند حضورنا لمصر بعد تصريح انجلترا به لنا ، وكيف تكون حالتنا حينما تدخل تركيا الحرب بجانب ألمانيا .

وفى ٣١ منه ، ذهب أفندينا لشكر السلطان رشاد على سؤاله عن صحته ، وجاء فيما قاله جلالته لسموه : « يمكن لسموكم الرجوع إلى مصر، حيث لا مانع الآن من طرف الانجليز » ؛ ولا بد أن الصدر الأعظم كان قد أبلغ جلالته بمساعيه فى هذا الخصوص.

* ومن ضمن برقية وردت فى ٢ سبتمبر، يقول القائمقام إن محب باشا أبلغه الرسالة ويرى على كل حال أن وجود أفندينا لا يكون فى أمن بجنيف ، ويقول أيضاً إن الوكالة البريطانية أبلغته بأن الحكومة الانجليزية لم تغير نظريتها بخصوص تأجيل رجوع الخديو، فهل بلاغ سفير انجلترا لسموه حصل مباشرة ؟

* وفى اليوم نفسه أبرق عباس للقائمقام يقول : « بعد مساعى الصدر الأعظم لدى سفير انجلترا بخصوص رجوعنا لمصر، حضر مستشار هذه السفارة وترك لنا الخيار فى الرجوع مباشرة لمصر أو بعد سياحة فى أوربا ؛ إنما فضل تركنا الاستانة حتى يتجنب الحوادث التى يمكن ؛ بل المحتمل ، وقوعها فى تركيا .

وفى ٣ منه زار سفير انجلترا سموه وقال له : إن عدم رجوع سموه لمصر ، هو لفائدته ؛ لأنه يكون فى مركز صعب لو حصلت حرب بين تركيا وانجلترا. ثم قرأ برقية وردت له من حكومته ، تطلب منه أن ينصح لسموه بترك الاستانة إلى إيطاليا . فأجابه بأنه كان ينوى السفر، ولكن الصدر طلب منه البقاء حتى يتخابر مع السفارة الانجليزية فى أمر رجوعه إلى مصر ؛ لأن الأهالى يسألون لماذا لم يرجع إلى بلده فى هذا الوقت الحرج .

* وفى ٦ منه جاءت برقية من رشدى يقول فيها لمحب باشا : ها أنا ذا أرسل لكم

هذه البرقية لكى أعرب لكم فيها عن وجهة نظرى بصراحة وحرية . وأترك لكم أن تعرضوا على سموه ما يكنه صدرى بالطريقة اللائقة .

فى الحالة الحاضرة علينا أن نأخذ باحدى خطتين : الأولى أن ندع المقادير تسير فى طريقها ، حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا . وهذه الخطة سهلة ؛ ولكن هل هى موافقة للواجب الذى يقضى علينا عمله ؟ والثانية ، هى أن نراعى مصالح مصر ؛ ولأجل ذلك يجب علينا فحصها جيداً ، بأن نتأمل فى كل الاحتمالات التى يمكن وقوعها ، وعلينا أن نوجه دفة سفينتنا على حسب مقتضيات الأحوال ، مهما كان الخطر الذى يصيبها . والخطة الثانية تستلزم وجود أفندينا فى مصر ؛ لأن هذه الأمور لا يمكن البت فيها عن بعد ، ولا بالمراسلات ؛ وخصوصاً أنه فى فترة المخابرات يمكن أن تتغير أسس التقارير: لهذا كنت أسعى للآن عند الوكالة البريطانية للحصول على رجوع أفندينا .

وقد سبق أن ألححت على سموه بالرجوع حالا عند ماوردت إلى برقيته برفع المعارضة من رجوعه . وبما أن انجلترا مستمرة على المعارضة ، وحتى إذا فرض رفعها ، يظهر لى أن الجناب العالى لا يرغب فى الحضور لمصر حالا ، فعندئذ لم يبق أمامى إلا الأخذ الآن بالخطة الأولى . وإلى أن تصدر لى أوامر جديدة ، فانى أترك كل مسعى لحضور أفندينا . لكن يلزمنى أن أعلمكم أنه إذا رفعت المعارضة ولم يحضر سموه ، فان ذلك يسهل للانجليز استبعاده بالكلية ، ويستغلون هذه الفرصة ليعرفوا المصريين أن خديويهم لا يهتم بمستقبل بلادهم ، وفى هذه الحالة أستقيل . أما إذا دخلت تركيا الحرب بجانب ألمانيا فى غياب سموه ، فنجد أنفسنا هنا حيارى بدون قيادة ؛ إذ ذاك إما أن تضم انجلترا مصر إليها ، أو تتفق معها على إعطائها الاستقلال الداخلى ، حتى تجذب إليها الأهالى .

ففى الحالة الأولى ، أعتبر مهمتى قد انتهت ، وأدخل فى عداد الأفراد .

أما فى الحالة الثانية فلدى ما أفعله ؛ فالمرجو أن تعرفونى بنظريتكم ولو شفوياً .

وفى ١٧ سبتمبر أرسل محب لرشدى برقية ، جاء فيها : فهمى نقل لى معلوماتكم فكونوا مطمئنين . أنا هنا للسهر على أن كل شىء يسير على ما يرام . الخديو ممنون جداً من الأعمال فى مصر . وأنا لم أرغب أن أراسلكم كثيراً حتى لا أشتت أفكاركم ، وإذا صدرت أوامر فانى أبلغها لكم بالضبط .

كنت على وشك السفر إلى لندرة ، ثم تأجل ، وسألح على سموه بالسفر حتى يوافق على اقتراحى لأكون قريباً من محل العمل لاحتمال ما قد يقع ، فهل أنتم على هذا الرأى ؟

كنت أردت أن أوضح لكم وجهة نظر أفندينا ولكنه فى آخر لحظة كلف أباظه باشا بهذه المأمورية . إننى لست موافقاً عليها تماماً ، غير أنى أرجو أن يبلغكم رأيى بالضبط ؛ أما القرار الأخير فهو انتظار مجرى الحوادث هنا ، مع استمرار الصلات الودية مع الأتراك ، الذين لا شك فى استعدادهم للدخول فى الحرب .

فجاء الرد فى اليوم نفسه ، وفيه يقول رشدى : وصلتنى برقيتكم ، وأنا لا أزال على رأيكم من سفركم إلى لندرة لبذل المساعى لرجوع أفندينا .

* فى ٢٧ منه جاءت برقية من رشدى لمحب ، يقول فيها : إن أباظه ومرتضى أبلغانى وجهة نظر أفندينا ، وإننى ضد ذلك بالكلية ؛ لأنها مبنية على خطأ عظيم فى التقدير . فاذا كانت انجلترا تطلب من سموه الخروج من الاستانة والذهاب إلى سويسرا أو إيطاليا ، فأرجوكم الالحاح عليه بقبوله ، والأصوب السفر إلى إيطاليا . وعليه أن يتفق مع الانجليز بخصوص إقامته فيها ، ولايلزم أن يعتقد سموه أنهم يريدون إبعاده عن مصر بالكلية ؛ لأن القصد هو إبعاده عنها مؤقتاً . وإننى متأكد بأنه إذا أعطى برهاناً واضحاً على حسن نيته نحو الانجليز ، بأن يضحى بدون تردد بحاشيته التى تناوئهم ، فيمكن فى الحال أن أحصل على رفع المنع . فهل لى أن أتدخل فى هذه المسألة ؟

* ***ماذا فعلت الحكومة لدرء الطوارىء*** . فى ٤ أغسطس أرسل القائمقام لمرتضى يقول : لمنع القحط اتخذنا الاحتياطات الآتية :

أولا ـ منعنا تصدير المواد الغذائية .

ثانياً ـ جعلنا صرف البنكنوت الأهلى إلزامياً ؛ ومع ذلك فان البنك الشرقى الألمانى أقفل أبوابه .

ثالثاً ـ أذنا البنك الأهلى فى إصدار أوراق مالية بمبلغ مليون جنيه ، على أن تكون نصف القيمة الضامنة من الفضة بدلا من الذهب .

رابعاً ـ سمحنا للبنك زيادة فى الاحتياطات ، باصدار مليون آخر بضمانة سندات مالية من الدرجة الأولى : ونصف القيمة والثمن حدد بمعرفة الطرفين

وفى ٥ منه أبرق يقول : « نظراً لاضطراب الحالة المالية قررنا الموراتوريوم للنقد ، وأعلنا ثلاثة أيام عطلة للبنوك والمحال التجارية ؛ وبنكودى روما أوصد أبوابه ، وكان قد طلب سلفة من البنك الأهلى على أن يقدم له ضمانة من بنكو ديطاليا ، ولكن هذا رفض فى آخر لحظة

وفى ٩ منه بناء على الدكريتو الصادر فى ٧ منه منعت الحكومة كل التصديرات ، والقمح المعتاد إرساله إلى الحجاز.

وفى ١٣ سبتمبر أبرق القائمقام بأنه تقرر استمرار الموراتوريوم إلى أول اكتوبر ، ولكن بشروط أخرى نص عليها القرار

وصدر دكريتو فى ٢٥ منه لتحديد أثمان المواد الغذائية ، وتألفت لجنة لفحص مايلزم منها للبلاد، وطريقة توزيعها؛ وجرى البحث أيضاً لاتخاذ الوسائل المالية للمساعدة على تصريف حاصلات القطن ، وتشكلت لجنة كبيرة لذلك

من برقية فى ٢٥ سبتمبر قال رشدى : « إن اللجنة التى أرسلت إلى انجلترا أبرقت بامكان توزيع أربعة ملايين قنطار من قطن المحصول الآتى . فأصبح على الحكومة واجبان : الأول ، أن العرض لا يتعدى الطلب ، بحيث أن البنوك وتجارة الصادرات تمكن من إيجاد المبالغ اللازمة لتداول النقود . والواجب الثانى ، أن تصدر الحكومة أمرها بتخفيض مليون فدان من زراعة القطن ، حتى يمكن المحافظة على الثمن من جهة ؛ ومن جهة أخرى يمكن إيجاد الكمية الكافية من الغلال لحاجة البلاد ، وتصدير الزيادة إن وجدت .

ومن برقية فى ٢٦ منه طلب عباس تعريفه بالاحتياطات الهامة التى اتخذت فى المسائل الاقتصادية .

فرد عليه رشدى بأن الحالة لم تتغير ، ما عدا الصعوبات الاقتصادية ، فانها كما هى فى كل البلاد .

* *مطالب الانجليز من مصر بعد اعلانهم الحرب* . أرسل رشدى باشا للخديو برقية فى ٥ أغسطس بأن انجلترا أعلنت الحرب على ألمانيا ؛ وأن لندرة طلبت أن يعلن مجلس النظار بعض الاجراءات لصيانة مصالحها فى مصر؛ وقد تداول مجلس النظار فى هذه الطلبات وملخصها هو :

أولا — أن قوة الاحتلال تقوم بكل الاجراءات التى تستدعيها الحرب فى بلادنا .

ثانياً — منع كل مساعدة لألمانيا ، والتوصية بكل المساعدات لانجلترا .

ثالثاً — منع تصدير الأسلحة والذخائر واللوازمات الحربية والآلات ، ودواب الركوب ، والفحم ، والمواد الغذائية

وهم يطلبون قراراً عاجلا فى ذلك . وقد قال رشدى : « إننا إذا لم تنفذ هذه الاجراءات ، يخشى من أن تقوم السلطة الانجليزية بتنفيذها . وفى كلتا الحالتين سنكون عرضة لاعتداء الألمانيين وحلفائهم ؛ فالخطر محدق بنا . ومن جهة أخرى فانه لصيانة مصالحنا السياسية إزاء انجلترا ، يستصوب أن نعمل باذننا بدلا من استعمال سلطتهم .

وفى ٧ منه أرسل رشدى يقول إنه بعد انتظار ٢٤ ساعة اضطررنا إلى إصدار قرار نظراً للالحاح الشديد بتنفيذ المطلوب حالا ، وبعد كل التروى وجدنا أن نقرر ما طلب منا ، فاذا انتصرت انجلترا فالمنتظر أنها تعدل فى النظام السياسى ؛ وأما شكله وشروطه ، فيكون بنسبة الخطة التى نسير عليها معهم . أما إذا رفضنا المطالب المذكورة فان الانجليز يعدلون هذا النظام ، لكى يضمنوا استعمال حقوقهم الشرعية التى تخولها لهم قوانين الحرب . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تكون على حذر منا . وبتنفيذنا الاجراءات المطلوبة نعتقد أننا قد تبصرنا فى العواقب ، للمحافظة على كيان نظامنا السياسى الحالى .

وفى ٧ أغسطس أصدرنا دكريتو جاء فى مقدمته : « بما أنه قضى لسوء الحظ باعلان الحرب بين جلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلندة والملحقات البريطانية فيما وراء البحار وأمبراطور الهند ، وبين امبراطور ألمانيا .

« ونظراً لأن وجود جيش الاحتلال فى القطر المصرى يجعل هذا القطر عرضة لهجوم أعداء صاحب الجلالة البريطانية .

«وبما أنه من الضرورى ، نظراً لهذه الحالة الفعلية، التمكن من اتخاذ جميع الوسائل اللازمة لدفع خطر مثل هذا الهجوم عن القطر المصرى .

وبما أنه قد أشير على الحكومة المصرية ، تحقيقاً لهذا الغرض ، أن تتخذ الاجراءات الآتية *» .

وفى ٩ أغسطس أرسل عباس لرشدى برقية قال فيها : إن الصدر عرفنا بأن مصر أعلنت الحرب على ألمانيا . أرسلوا حالا بالبرق تفصيلات عن هذه المسألة ، والأسباب التى استوجبت هذا الاعلان ، حتى يمكن إخبار الباب العالى بذلك .

مصر تقطع علائقها مع ألمانيا والنمسا : فى ١٠ منه أرسلت المعية برقية تقول فيها : « إن قنصل جنرال ألمانيا يرفض ترك مصر اعتماداً على أنها على الحياد ، وليست فى

(*) هذه الاجراءات موضحة فى مطالب الانجليز ص ٣٣٩

حالة حرب، والنظار عقدوا جلسات عدة بخصوص العلاقات الرسمية بيننا وبين ألمانيا، والنظر فى حالة المراكب النمساوية الراسية فى الموانىء المصرية، بعد إعلان الحكومة بانها فى حالة حرب بينهما ».

إخراج معتمدى ألمانيا والنمسا من مصر : وفى ٢ سبتمبر أبرق رشدى بأن قومندان قوة الاحتلال أرسل بلاغاً بواسطة أحد ضباطه، إلى قنصلى جنرال ألمانيا والنمسا بوجوب ترك القطر المصرى . وهذا بقرار صادر منه بدون إحاطتنا ، وفقط أعلمنا به .

وممثل النمسا حضر عندنا وسألنا عما إذا كان هذا الأمر حصل بموافقة الحكومة المصرية . فأجبناه بأن البلاغ صدر وأرسل بقرار من السلطة العسكرية الانجليزية ؛ وليس بقرار سياسى من الحكومة المصرية .

فأرسل الرد فى ٣ منه بموافقة سموه على ذلك .

وفى ٦ منه حضر سفير النمسا بالأستانة، وقابل الخديو، واحتج لديه كما احتج لدى الصدر على طرد معتمد النمسا من مصر، وقال: « إنه معتمد لدى أفندينا ، وليس معتمداً لدى الاحتلال الذى ليس له حق فيما فعله »

انتدابى بمهمة خطيرة لدى عباس . فى ١٢ أغسطس قابلت حسين باشا رشدى تلبية لطلبه ، وقلت له إننى فى خدمته ، حيث إن مجلس النظار عاد من الاسكندرية إلى القاهرة ، فحدثنى فى الحالة الحاضرة وصعوبتها، وحرج مركزه، وتعذر المخابرة مع أفندينا؛ وقال لى إنه أرسل إلى سموه يقول إنه لم يصل إليه رد برقيتين بعث بهما إليه ، وأنه يوجد عنده كلام لا يمكن أن يرسله بالبرق خوفاً من المراقبة فى مصر وفى الأستانة . فقلت له إنى رهين إشارته فيما إذا أراد أن يكلفنى السفر، فقال : « لا بأس» فطلبت منه أن يحضر لى جميع الأوراق التى يطلب عرضها ، فقال . « وهو كذلك ؛ إنى سأعطيك هذه الأوراق، فاذا خفت ضبطها فألق بها فى البحر . »

وفى ١٤ منه قابلته ، فقال لى إنه يرى ضرورة سفرى إلى الأستانة ، وأمرنى بالاستعداد

وفى ١٥ منه جاءتنى برقية من عثمان مرتضى باشا بجوقلى ، يطلب حضورى للاستانة ومعى ثلاثة آلاف جنيه ذهباً . منها ألفان من الخاصة ، والألف من الأوقاف الخصوصية .

وفى ١٨ منه اختليت مع حسين رشدى باشا ليلا من الساعة الحادية عشرة إلى الساعة الواحدة ونصف بعد منتصف الليل ، فأخبرنى :

أولا — بأنه حقيقة كان عازماً على الاستقالة عندما طلب منه الانجليز إقرار وجود مصر فى حالة حرب مع ألمانيا ، بدلا من الحياد ؛ ولكنه رأى أنه ربما لا تخلفه نظارة أخرى ، فيتولى الانجليز أمور البلد فيوقعونها فى مشاكل

ثانياً — أنه أعطى مذكرة شفوية لوكيل كتشنر سير ملن شتهام ، بأنه إذا دخلت تركيا فى الحرب مع ألمانيا ، فان مصر تعلن استقلالها عن تركيا تحت شروط

(ا) ان إنجلترا تحل محل الدائنين الأجانب فى صندوق الدين .

(ب) ألا تسن قوانين بخصوص الأجانب إلا بعد مصادقة انجلترا

(ج) أن عساكر هذه الدولة تحمى قنال السويس .

ثالثاً — أن الانجليز غير مرتاحين لرجوع أفندينا الآن إلى مصر ؛ لأنهم يخشون أن يعرقل هو وحاشيته أعمالهم ، وهم الآن مطمئنون وسائرون بالاتحاد مع النظارة .

رابعاً — أنهم كلفوا رشدى باشا أن يرسل لسموه برقية لاسلكية بأن يرجع للأستانة ؛ ظنا منهم أن الخديو غادرها على يخت المحروسة ، عائداً إلى مصر ، إلى أن تأتى الجنود الهندية ؛ فأبى بتاتاً ، قائلا إنه يفضل الاستقالة على ذلك ؛ لأنه يعتبر هذا العمل بمثابة خلع أفندينا ، فضلا عن أنه لم يتسلم برقية بمبارحته الأستانة ، كما هى العادة . واستفهم منهم عما إذا كان ذلك بناء على أوامر صريحة من دولة انجلترا ، فقال شتهام إن اللورد سسل المستشار المالى ، سبق أن فهم من كتشنر أنه يريد ذلك ، فأجابه أن هذا لا يكفى ، لأنها نقطة صعبة جدا يلزم أن تتأكدوا منها ، وأفهمه أن ذلك ليس من صالح الانجليز ؛ بل الأصوب أن يكون الخديو بمصر حتى يمكنهم أن يستعملوا نفوذه ؛ وإلا فاذا أعلنت تركيا الحرب فانها تستعمل هذا النفوذ ضد الانجليز فى مصر .

وقال لى رشدى باشا إنه يحسن بأفندينا ترك يوسف صديق ، واحمد شوقى ، وحامد العلايلى ، حتى يرضى الانجليز ، ولا يقولوا إن الحاشية تدس الدسائس ؛ وهم وإن لم يعينوا أشخاصاً ، إلا أن المفهوم أنهم يعنون هؤلاء الثلاثة .

سألته : «وإذا سافر أفندينا وقصد مصر ، هل يظن أن الانجليز يمنعونه فى الطريق؟» قال : « لا أقدر أن أجاوب على ذلك ، ولكن لو حصل ، فاننى أستقيل . »

فسألته عما يريده الانجليز ، هل إعلان الحماية على مصر أو ضمها . فقال : « هذه نقطة غير واضحة . » سألته : « هل ينوون خلع أفندينا ؟ » قال إنه سأل الانجليز عن ذلك ،

فقالوا « لا » . وأكد عطوفته على شتهام بأن يرسل لانجلترا فكرة الفوائد التى يجنيها الانجليز من وجود أفندينا ، فقبل .

وفى ١٩ منه سافرت من مصر قاصداً الاسكندرية ، فانتظرنى فى محطتها محمد يكن باشا ، وحسن خالد بك نجل الشيخ أبى الهدى الصيادى ، فركبت منها إلى مأمورية الأوقاف الخديوية ، وتسلمت من مندوب الخاصة الثلاثة الآلاف جنيه انجليزى ، ثم توجهنا إلى وابور سالونيكا الرومى .

وقد كلفنى قبل قيامى محمد يكن باشا أن أعرض إلحاحه على الخديو بالعودة إلى مصر ، كما أن دولة البرنس محمد على باشا كلفنى بابلاغه أنه يلح هو أيضاً فى ذلك ، أو على الأقل يلح فى عودة الوالدة والأميرات .

وفى ٢٠ منه وصلت إلى ميناء بيريه باليونان .

وفى ٢٢ منه ركبت باخرة إيطالية ، نظراً لعدم استمرار الباخرة سالونيكا إلى الاستانة ؛ وكانت تلك الباخرة مكتظة بكثير من السياح الروس والرومان ، حتى اضطر كثير منا أن ينام فى طرقات الباخرة .

وفى ٢٣ منه وصلنا أمام مدخل الدردنيل الساعة السادسة صباحاً ، وانتظرنا للظهر حتى حضر الرفاص المخصص لسحب البواخر التجارية ، خوفاً عليها من الألغام التى كان الأتراك وضعوها فى هذا المضيق . وقد لاحظت أنه منذ خروجنا من الاسكندرية حتى الآن ، لم نقابل وابوراً حربياً فرنسيا أو انجليزياً ؛ ودخلنا بحر مرمرة فى الساعة الثالثة بعد الظهر .

وفى ٢٤ منه وصلنا فى الساعة السادسة صباحاً أمام رصيف غلطة ، وانتظرنا حضور أحد من سراى جبوقلى ، وأرسلت برقية إليها أخبر فيها بحضورى ، وبانتظارى الرفاص ؛ ولما حضر ركبته وسار بى إلى قصر جبوقلى . وبمجرد وصولى اجتمعت بأفندينا فى حضرة الباشوات : محب ويوسف صديق واسماعيل أباظه وعثمان مرتضى ، فسألونى عن حالة مصر وعما إذا كان صحيحاً ما سمعوه من حصول ثورة فى القاهرة وفى الاسكندرية ، وشنق سبعة أشخاص ، وغلو أسعار الحاجيات لدرجة عظيمة ، وعما إذا كان أعلن الحكم العرفى .

وعلمت منهم أن هذه الأخبار أشيعت فى الاستانة ، واضطربت أفكار المصريين لأجلها كباراً وصغاراً ؛ فطمأنتهم بعدم وجود شىء من ذلك ، وأن البلد فى أمان ؛ وإنما

الأسعار ارتفعت أولا ارتفاعاً فاحشاً ؛ ثم لما منعت الحكومة تصدير شيء للخارج ، أخذت فى الهبوط ؛ ويمكن أن تكون الزيادة الآن عشرة فى المائة .

ثم بلغت أفندينا الرسالة التى كلفنى بها رشدى باشا ، فعرفته بمسألة ممانعة الانجليز فى عودته إلى مصر ؛ وشرحت لسموه أن شتهام قال للباشا نقلا عن اللورد سسل مستشار المالية الذى حضر مع ونجت باشا حاكم السودان لمصر قبل قيامى منها بيوم واحد بأن اللورد كتشنر قال ما يفهم منه أن الأصوب عدم رجوع أفندينا لبلده الآن . ولما استفهم رشدى باشا منه عن السبب ، أجيب بأنهم يخشونه وحاشيته ، ويخافون أن يعرقلوا إجراءات الانجليز فى مصر فى هذا الوقت ، ويدسوا الدسائس بين المصريين للقيام ضد الانجليز ، الذين لم تكن قوتهم كافية فى ذاك الوقت . فتخابر رشدى مراراً معهم ، وطلب إرسال برقية لانجلترا بأن هذا المنع فى غير صالحهم ، لأنهم يستفيدون كثيراً من وجوده ؛ حتى ولو فرض أنه حصل منه شىء ، لسهل عليهم منعه ؛ وأخيراً أجيب بأنه عند وصول العساكر الهندية لمصر يمكنه العودة .

وفى ٢٥ منه سألنى أفندينا عن مسألة إعلان مصر الحرب على ألمانيا والنمسا ، فأجبته بأن مقدمة الدكريتو الصادر فى هذا الشان تدل على أن مصر صارت كأنها انجليزية ، إذ قيل فيه : « نظراً لاعلان ملك الانجليز الحرب على ألمانيا ؛ ولما كان واجب الحكومة الانجليزية ، أن تتخذ كل الوسائل لصيانة ممتلكاتها ومستعمراتها من الخطر ؛ وبما أن الانجليز محتلون مصر ، وواجبهم يقضى بالمحافظة عليها من كل خطر ، فقد أشير على الحكومة المصرية باتخاذ الاجراءات الآتية .

ثم ذكر الدكريتو المواد المتضمنة الاحتياطات التى تتخذها كل دولة محاربة ضد عدوتها . فاستغرب الحاضرون ما قلته لأنه غير ما ورد برقياً من رشدى باشا ، فقال أفندينا : « ربما أن شفيق قرأه فقط فى الجرائد » فقلت : « نعم » وكأنه يقول إنه فاتنى أن أفهم الحقيقة من رشدى باشا . ثم استعلم سموه منى عن سبب صدور هذا الدكريتو بعد أن أعلنت مصر حيادها ، فقلت : « إن القائم بأعمال وكالة ألمانيا توجه على ما بلغنى إلى رشدى باشا وسأله : « كيف يتفق إعلان مصر الحياد ووجود الاحتلال الانجليزى فيها ، مع العلم بأن انجلترا محاربة لألمانيا الآن ؟ » وأنه على ذلك حصلت مخابرات مع انجلترا ، وطلب رجال الاحتلال استصدار هذا الدكريتو .

أردت ألا أذكر أمام الحاضرين أن رشدى باشا يرى خطراً كبيراً على مصر فيما

إذا دخلت تركيا هـذه الحرب ضد انجلترا ، وأنه تكلم مع شيتهام فى ذلك ، وأنه فى حالة دخولها يتعين تحديد مركز مصر من جديد ، وإعلان استقلالها عن تركيا . وعلمت من رشدى باشا أنه أعطى شتهام مذكرة فيها أساس شروط إعلان استقلال مصر وهى :

أولا — أن تحتل انجلترا بعساكرها قناة السويس للمحافظة عليها .

ثانياً — تضمن انجلترا لباقى الدول ديونها فى مصر ، فيكون لها مندوب بدلا من مندوبى الدول لدى صندوق الدين .

ثالثاً — ألا تضع مصر قانوناً على الأجانب إلا بعد تصديقها عليه .

وقد تحاشيت التكلم فى هذه النقطة أمام محب باشا ؛ لأنه كان وقتئذ متوددا للحكومة العثمانية ، وكان واسطة السعى للتوفيق بين أفندينا وبين الصدر ، وقد توترت بينهما العلاقات إثر حادثة الاعتداء على سموه ؛ غير أن الخديو دفعنى إلى الكلام فأفهمته المسألة مضطراً ، فسألنى عن صورة المذكرة التى قدمها رشدى باشا إلى شيتهام ، وأظهر أنه كان يجب على أن أحمل تقريراً وافياً بكل ذلك ، فقلت إننى طلبت كل هذا من رشدى باشا ، وقد وعدنى؛ ولـكنه لم يعطنى شيئاً كتابياً . فأمر سموه محب باشا أن يحرر له جواباً بغرضه . ثم سألت افندينا عما كان يرغب فى أن أحضره معى من المعلومات ، فقال :

أولا — نتيجة التحريات التى حصلت فى مصر بالنسبة لحادثة الاعتداء .

ثانياً — تفصيلات سبب استصدار الدكريتو القاضى بأن تكون مصر محاربة لألمانيا والنمسا .

ثالثاً — ما يقوله باقى قناصل الدول الجنرالية بالنسبة للحرب وحالة مصر .

رابعاً — المذكرة التى أعطاها رشدى لشيتهام بالنسبة لاستقلال مصر .

فقلت لسموه: إننى يامولاى قمت بالواجب على ولم أقصر فيه ؛ لأنى قلت لرشدى إننى تحت أمره فى هذا الوقت الصعب ؛ وإننى مستعد للحضور عنده فى أى وقت يريده فشكرنى ولـكن لم يطلبنى ؛ وفهمت أنه كثير التحفظ ، ثم إننى طلبت منه أن آخذ معى تقريراً مسهباً عن كل المسائل وصور البرقيات الشفرية التى أرسلها ولـكنه لم يعطنى شيئاً؛ واكتفى بالمعلومات التى شافهنى بها ليلة السفر، فرد أفندينا : « إننى لا أقول إنك قصرت فى واجباتك . »

عباس يروى لى حادثة الاعتداء : فى ٢٥ اغسطس اختليت مع عباس ، ورغبت أن أسمع منه شخصياً وقائع الحادثة المذكورة ، فقال : «أنت تعلم ياشفيق مقدار الصداقة التى بينى وبين منير باشا سفير الدولة العلية بباريس ، فلما دعوته لتمضية بعض أشهر الشتاء فى مصر ، طلبت منك عمل الترتيبات اللازمة لهذه الضيافة ، فأعددت له ذهبية ، ورتبت له كل ما يلزمه من أكل وشراب وعربة لفسحته ، فعاد لوظيفته شاكراً ممنوناً من حسن الضيافة .

« فلما سافرت فى هذه السنة إلى باريس ، وعلم بعزمى على قضاء شهر رمضان فى الاستانة نصح لى ، وأسر إلىّ بطريقة خصوصية بحتة بما كان يتوقعه من الاعتداء علىّ ، وألح بألا أسافر للاستانة ؛ ولكنى لم أعبأ بنصيحته واستبعدت وجود المؤامرة لاغتيال حياتى وسافرت إلى الاستانة غيرهياب ولا مكترث . وعقب وصولى إليها توجهت إلى السراى السلطانية حسب العادة وتشرفت بمقابلة السلطان ، فرحب بى ، وأظهر لى عطفه الأبوى .

« وفى ٢٦ منه ركبت عربة سلطانية لزيارة الصدر الأعظم فى الباب العالى ، وبرفقتى المهمندار الشاهانى ، وخلف العربة ياوران ، وبعض الجاويشية ، كما هى العادة . وكان جلال الدين باشا القبوكتخدا يتبعنا فى عربة أخرى ، وأمام الباب العالى مقر الحكومة التى كان يرأسها الأمير سعيد حليم كصدر أعظم ، اعتدى علىّ شاب مصرى ، كان منزوياً فى حانوت بابه مقفل ، فأطلق علىّ الرصاص من مسدسه . هنا استوقفت عباس ، وسألته عما جال فى فكره بمجرد حصول الحادثة فأجابنى : «تمكنت بصعوبة من إخراج مفكرتى وكتبت : « أتهم سعيد حليم ؛ لأنى كنت أشعر من زمن بعيد بعدائه لى ، وبالتفاف بعض المصريين حوله ينفذون إرادته . »

« ومن الغريب أنه عند إطلاق الرصاص علىّ ، وقف الحوذى بدلا من الاسراع فى سيره واتكأ المهمندار للوراء فى العربة ليفسح المكان لتمكين المعتدى من فريسته ، الأمر الذى أثار كثيراً من الشبهات . »

ثم سألت سموه : هل تظن يا أفندينا أن البرنس حليم كان يقصد من وراء هذه الحادثة أن يخلف سموكم فى مصر ؛ مع أنه رفض قبول العرش عندما دعاه كتشنر لذلك ؟ » فأجاب : « نعم » .

عند ذلك حضر أحد الأغوات ، وقال : « إن دولة الوالدة تريد زيارة أفندينا » فخرجت .

ومما يجدر بالذكر أن الخديو كان فى ذلك الوقت يقيم فى أحد اليالين فى جبوقلى ، بدلا من الكشك الذى فى أعلى الجبل؛ لسهولة معالجته ، وكانت تقيم معه خليلته «لوزانج» عند انفراده ، أما اليالى الآخر فكان معية للحاشية .

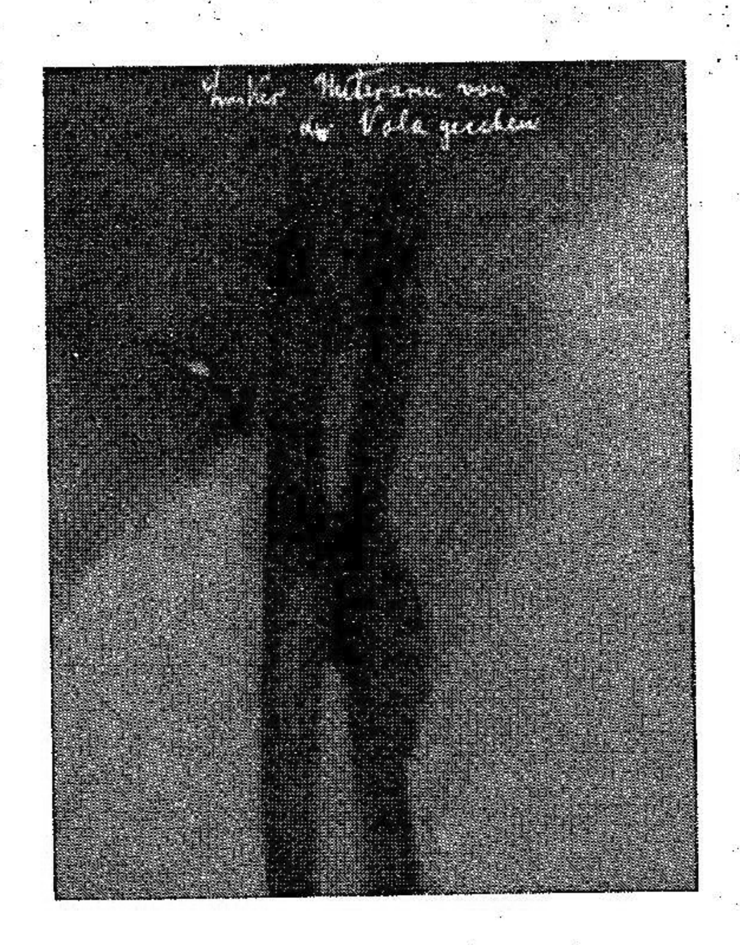
ولما تقابلت مع الخديو أمس ، عقب وصولى إلى جبوقلى ، وجدت ذراعه المصاب مرفوعاً وملفوفاً بقماش ، ولسانه يتلعثم ، فأخذ يحادثنى عن الاصابات ، وكلامه بطىء ونفسه ذو رائحة ؛ فسألت الدكتور كوتسكى بك طبيبه الخاص عن الاصابات، فقال : «عند خروج سمو الخديو من الباب العالى ، أطلق عليه ثمانى رصاصات : منها ما أصاب خده ، حتى أسقط بعض أضراسه وأسنانه وجرح لسانه ؛ ومنها ما أصاب ذراعه . » .

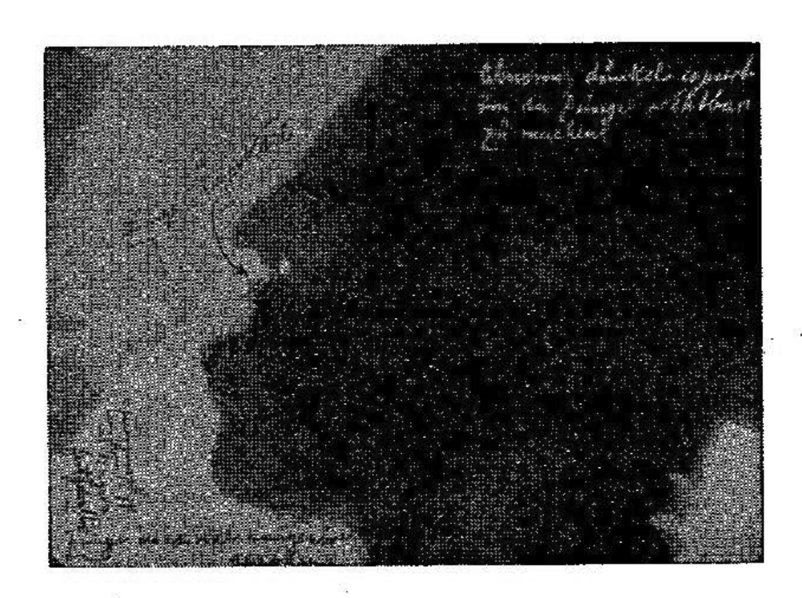
وفى ١٥ سبتمبر أملانى أفندينا خطاباً لرشدى باشا سلمه إلى الصباحى افندى . وسافر اليوم على باخرة «الحاج داود» ، ومما جاء فيه :

«إنه وإن كنا أرسلنا لكم تلغرافاً بأن صحة الجناب العالى ساعدته لعمل زيارات ، وأن الجروح التأمت ، والحكماء أعطوا للمرة الأخيرة قرارهم بأن صحته رجعت إلى ما كان عليه ؛ إلا أننا نحيط عطوفتكم علماً بأن الذراع المصاب لم يأخذ حركته الأصلية للآن ؛ مع العلم بأن التحسن مستمر ، والمرجو أنه عن قريب يتم شفاؤه . أما الفم فانه مع سقوط أربع أسنان ، يوجد أيضاً سن خامس انفصلت عنها أخواتها ، بحيث لا يمكن استعمالها . وإن الفك السفلى لم يأخذ موضعه تماماً بحيث إن الأسنان العليا لا تنطبق على التى تحتها كما كانت؛ ونحن فى انتظار أخذ رأى طبيب الأسنان . وإن محل جرح اللسان يفتح وقت تناول الطعام ، ثم يرجع إلى ما كان عليه ، وهذا يسبب عدم فوات وقت كاف على التئامه .

عثمان مرتضى باشا يحدثنى بما دار فى التحقيق : أردت أن أستق بعض معلومات عن التحقيق من عثمان مرتضى باشا رئيس الديوان الخديوى ، وهو من كبار القانونيين ، فقال لى : «بعد حصول الحادثة استدعانى الخديو لأكون فى خدمته باستانبول ، ولأقوم بالتحقيق، لكى نصل إلى العوامل الخفية التى دفعت المجرم إلى ارتكاب جريمته ، فقمت باستجماع الأخبار ، وتبين الوقائع من مصادر عدة؛ وعلى الأخص ممن كانوا مع سموه حين الاعتداء عليه ؛ ومن اطلاعى على محاضر وأوراق الاعتداء تبين بوضوح :

أولا — أن الشاب المجرم كان يتمرن على ضرب الرصاص منذ ثلاث سنوات . وقد وجدت فى غرفته صورة إنسان بارتفاعه الطبيعى، كان يقذفها بالرصاص من غدارته مصوباً إلى القلب ، حتى لا تخيب ضرباته عند الاعتداء .





صورة بالأشعة « راديوجرافير » أخذت في شهر ديسمبر بفينا ، تبين الاصابات بذراع الخديو وفه

ثانياً — أن ذلك المجرم كان يتعهده ويعاونه طبيب مصرى مستخدم فى قلم الأمنية العمومية ، بنظارة الداخلية ؛ وهو الدكتور احمد فؤاد ، وكان له اتصال مباشر وثيق مع طلعت بك والصدر الأعظم .

ثالثاً — كرر لى ماسمعته من عباس ، عما حدث من المهمندار الذى أثار كثيراً من الشبهات .

رابعاً — وجود كبير رجال البوليس السرى وراء القاتل ، وإقدامه على قتله على الفور ؛ مع أنه كان فى قدرته القبض عليه استجلاء للحقيقة ، ولمعرفة العوامل الخفية التى استخدمت هذا المجرم فى الاقدام على جرمه الفظيع . وكان هذا سبباً أيضاً يجعل الناس حيارى من إدراك الغرض من وجود رئيس البوليس السرى وراء المعتدى ، ومن تسرعه فى قتله عقب ارتكاب الجريمة ، رغم أنه لم يبد منه أقل اهتمام بالقبض عليه عند أول طلقة أطلقها ، بل تركه حتى أطلق جميع رصاص مسدسه .

وعلى ذلك كله أرسلت موظفاً مصرياً (كان قد حضر لمعاونتى فى التحرى) إلى نظارة الحقانية ، ليستوضح كل هذه النقط ، وليستوفى التحقيق الذى وقف جامداً — وعلى الأخص مع الدكتور فؤاد للأسباب الخطيرة المذكورة — فتباطأت النظارة فى إجابة الطلب ، فألححت من طريق آخر على نظارة الداخلية ، فحصل من الثانية ماحصل من الأولى واكتفت الحكومة العثمانية بما عمل فى الرسميات من المحاضر الأولية فى ضبط الواقعة ، وأسدل الستار نهائياً على هذا الاعتداء . »

ولما وجد الخديو والحاشية أن الحكومة العثمانية لم تهتم باجراء التحقيق الدقيق فى الحادثة ، وخصوصاً الأمنية العمومية بنظارة الداخلية ، وعلى رأسها الدكتور المذكور من دعاة الصدر ، والذى لم يساعد مرتضى باشا وبدر الدين بك عند حضورهما ، بل إنه عمل على معاكستهما ، فلم يتبين ما وراء هذه الحادثة ؛ لذلك شعر الخديو والحاشية بالخطر من وجودهم فى الاستانة ، وتقرر انتداب البكباشى شفيق ، والبكباشى البشرى لابلاغ الخديو هذا القرار الخطير :

* **تبشير عباس للمصريين بشفائه** . أرسل صديق فى ١٣ سبتمبر للقائمقام برقية قال فيها : إن صحة الجناب العالى تحسنت فى العشرة الأيام الأخيرة ، وقام ببعض الزيارات ويسرنى جداً أن أبلغ عطوفتكم بأن الأطباء الذين عالجوه ، عادوه لآخر مرة اليوم وقدموا تقريراً نهائياً عن صحة سموه ، ورد فيه أن الجناب العالى شفى تماماً من جروحه

بدون أن تترك أثراً ، وأنه أصبح متمتعاً بكمال الصحة . وقد بادرت باخبار عطوفتكم بهذا النبأ البشار الذى يهمكم معرفته ، لتنشروه للأمة المصرية .

* **وفاة مصطفى فهمى باشا** . فى برقية بتاريخ ١٣ سبتمبر أخبر القائمقام بأن مصطفى فهمى باشا فى حالة النزع ، فأرسل الخديو يبدى أسفه لذلك ، ويطلب منه عنوان زغلول باشا ؛ فرد القائمقام فى ١٤ منه بأن الفقيد وأصهاره رجعوا لمصر فى ٩ سبتمبر .

وفى ١٥ سبتمبر وردت برقية من المعية السنية بأن جنازة مصطفى فهمى باشا شيعت بالاكرام اللائق به .

وفى ١٥ منه أرسل الخديو برقية لمحمود صدقى باشا ، يقول فيها : « علمت الآن الخبر المؤلم بوفاة رئيس نظارى السابق مصطفى فهمى باشا ، فقدموا عزائى لجميع أسرته ، وبأنى أشاركها فى مصابها الأليم ، وأقدر هذا الرجل حق التقدير لتودده وإخلاصه لعائلتى . »

وفى ١٦ منه رد محمود صدقى باشا ببرقية ، جاء فيها : « إن عطف سموكم العظيم ترك أحسن الأثر لدى أسرة الفقيد فى هذا الظرف العصيب ، وقد كلفتنى بأن أكون رسولها فى تقديم شكرها للأعتاب الخديوية . »

تعزية عباس لسعد والرد : وفى ١٥ منه أرسل عباس إلى سعد زغلول باشا وكيل الجمعية التشريعية برقية يقول فيها : « تأثرت لوفاة رئيس نظارى السابق مصطفى فهمى باشا ، وأرى لزاماً علىّ بمناسبة هذا الحادث المفجع أن أعرب لكم عن عطفى الصميم ، وأتمنى لكم الصبر للاستمرار فى خدمة مليككم وبلادكم مدة طويلة . »

فجاء الرد فى ١٧ منه وفيه يقول سعد : « أرجو عرض إخلاصى وولائى لأعتاب أفندينا ، وشكرى الجزيل لعطفه العظيم الذى تنازل بتوجيهه إلىّ بمناسبة وفاة خادمه الأمين صهرى ، وهذا الاكرام العالى سيكون دائماً أحسن مخفف لمصابى ، وأقوى مشجع لخدمة الغاية السامية لمليكنا المفخم . »

* من ضمن برقية وردت فى ٢٥ منه ، قال رشدى إنه فى زيارته للوكالة الانجليزية قال له شيتهم : « إن برقية أفندينا لسعد بمناسبة وفاة مصطفى فهمى كان لها وقع سيىء ؛ لأنها لا تعتبر تشجيعاً للمعارضة فحسب ، بل تسببها . »

* **الحاح الانجليز بترك عباس للآستانة والاقامة فى ايطاليا** . سبق أن نوهنا عن زيارة سفير انجلترا لأفندينا فى ٣ سبتمبر ، وإلحاحه على سموه بترك الاستانة والسفر إلى إيطاليا ، ولم يرق فى نظر أفندينا إلحاح السفير الانجليزى فى أن يسافر إلى إيطاليا ؛ ولاسيما أنه من المحتمل أن يكون تدبيرهذا الشأن بين انجلترا وإيطاليا ، أو على الأقل أن يفاجأ فى أثناء سفره بمركب حربية تقوده إلى مالطه مثلا . ويمكن أن نقول إن التهديد بدأ من هذا التاريخ .

وفى١٤ سبتمبر زار محب باشا سفير انجلترا ، وسمع منه كلاماً جافاً بسبب امتناع الخديوعن تركه الاستانة ، والسفر إلى إيطاليا .

وفى١٥ منه أرسل سفير انجلترا خطاباً لمحمد عزت باشا ، يدعوه لزيارته ، فسأله عما ينويه الخديو بالنسبة لسفره لأوروبا ، فقال عزت باشا : « إن سفره غير مناسب فى الأحوال الحاضرة ؛ لأن المصريين ، وحتى الأجانب ، ينتقدونه فيقولون عنه إنه يتنزه فى حين أن مصر فى خطر ؛ وكان الأصوب أن يوجد هو أيضاً فيها . ولا أفهم حكمة منعه مع أن هذا المنع فى غير صالحكم . فقال السفير : « إنه ورد لسموه عشرة آلاف جنيه من مصر ليصرفها فى نزهة البحر الأبيض والذهاب إلى أوروبا . »

فأجاب : « إن شفيق باشا أحضر ثلاثة آلاف جنيه لسموه ، وأنه إذا كان قد فكر فى أن يتوجه إلى أوروبا وقتاً من الأوقات ، فانه كان ينوى أن يرافق نجليه إلى سويسرا للدراسة ؛ ولكن الخديو يفضل الاقامة هنا محل السيادة بما أنكم منعتموه عن دخول مصر . فتأوه السفير وقال : « كيف نعمل وعندنا عسكرى « كتشنر » يقودنا ؟ » ، وقد اعترف السفير للباشا بأن هذا العمل ليس فى صالح الانجليز؛ ثم طلب منه بصفته صاحب كتشنر أن يحرر له خطاباً خصوصياً يعرفه فيه بفكره ؛ فرد عليه عزت باشا : « كيف أن كتشنر الذى لم يسمع كلامك وأنت سفير ، يصغى لما أحرره له وأنا فرد بسيط ؟ »

وفى ٢٢ منه بلغنى أن سفير إيطاليا تقابل مع الخديو ، وقال له : « إن طلب انجلترا ذهابكم بحراً إلى إيطاليا معناه : تفضل يا خديو إلى مالطه . »

وفى ٢٦ منه حضر الترجمان الأول للسفارة الانجليزية لغرضين : الأول أخذ ميعاد لزيارة السفير لأفندينا ؛ والثانى لابلاغة طلب حكومته بأن يترك سموه الاستانة ليقيم فى إيطاليا .

فرفض سموه الكلام معه فى النقطة الثانية .

فلما تقابل مع سموه أخبره بأن وجوده فى الاستانة مشجع للأتراك على تجهيز مائة ألف عسكرى لاخراج الانجليز من مصر . لهذا فان السفير سيطلب ابتعاده عنها ؛ لأن وجوده بها مضر بهم . فأجابه سموه قائلا : « أنا أعرف منك بأفكار الانجليز فى لندرة نحوى ، بما علمته فى هذا الصيف . فلا تحاول شيئاً فى هذا الأمر . ومع هذا فتلك نقطة لا دخل لك فيها ، فسأشرحها للسفير . أما ما تدعونه من أن وجودى هنا أقنع الأتراك بارسال حملة على مصر ، فاننى فى غالب المدة التى أقمتها فى الاستانة كنت مريضاً ولم أخرج للزيارة إلا قليلا ، ولم أتقابل مع الصدر إلا نادراً ، وليس لى اختلاط مع رجال الحكومة العثمانية . فلو صحّ ماتقولونه أكون أكثر مهارة من بسمارك ، ويحق لى أن أفتخر بهذا العمل . » ثم قال لنا أفندينا إن الترجمان كان قد بدأ كلامه « من العالى » رغبة فى التأثير علىّ ؛ ولكن لما رأى منى العزيمة والشدة فى المناقشة ، خفض صوته .

ثم قال الترجمان إن دورية خيالة عددها ٢٠ نفراً من العرب وصلت إلى رفح ، تحيتها النقطة المصرية التى على الحدود ، وبعد أن مكثت الدورية يومين فى الأراضى المصرية رجعت ؛ وكان من الممكن أن تكون هذه الحادثة سبباً لقطع العلائق بين انجلترا وتركيا إلا أننا اقتصرنا على إرسال مذكرة للصدر فى يوم ٢٣ سبتمبر للفت نظره الى هذه الحادثة . وقال أفندينا : « إننى أستغرب ، لأن الصدر الأعظم واسماعيل حق بك القوميسير العثمانى بمصر الذى كان عندنا أمس لم يخبرنى بشىء من ذلك ، فهل نية الأتراك غير سليمة معنا ؟ » .

فأمر أفندينا عارف باشا بالتوجه إلى أنور باشا وتفهيمه المسألة ، واستحضار اسماعيل حق للتكلم معه فى هذه النقطة ، لنعلم هل الدولة لاتريد بقائى هنا كطلب السفير . وقد حضر إسماعيل حق والبرنس إبرهيم حلمى ، وكلف أفندينا الأول بالذهاب لطلعت بك ، والثانى للصدر

نصيحة الأتراك له بالرفض : فكان جواب الصدر أن السفير لم يعلق أهمية كبيرة على مسألة الدورية ، وأن أفندينا ليس له أن ينزعج بما يقوله السفير ؛ وما عليه إلا أن يجيبه بأنه يفضل البقاء فى الأستانة على التوجه لأوروبا

وكان جواب طلعت بك فى يوم ٢٧ منه : أن لا أهمية مطلقاً للمذكرة التى أخبر

الترجمان بها أفندينا ، وألا يسمع سموه ما سيقوله السفير من حيث السفر ، ولا يعطى له أهمية ، ويجاوبه بأنه قرر الاقامة في الاستانة .

أما أنور باشا فقال أمس لعارف باشا : « إننى سأعمل مايلزم مع الحكومة العثمانية لأجل منع السفير من إقلاق راحة الخديو بهذه الصفة ، لأنه ليس له حق فى منع سموه من الاقامة فى الاستانة ؛ ومع هذا فان الكثير فات ولم يبق إلا القليل . »

*قطع علاقته بالانجليز . فى ٢٨ سبتمبر جاء السفير السير لويس مالت فى الساعة الحادية عشرة . وكرر ما قاله الترجمان ، ثم قال أن حكومته استشعرت بمغزى بعض التلغرافات التى ظاهرها بسيط ، وباطنها ذو معنى سياسى ؛ من ذلك التلغراف الذى أرسل فى العيد الصغير من الجناب العالى إلى حسين رشدى باشا ، وفيه يشير سموه إلى أنه كان يود أن يكون بين المصريين فى هذا العيد ؛ وأضاف إليه ملاحظة على إرسال برقية لسعد باشا عند وفاة صهره ، يفهم منها أن الخديو يثق بسعد باشا أكثر من رجال حكومته ، وكذلك أبدى ملاحظة على برقية محب باشا للقائمقام يبشره بشفاء عباس ، وبتبليغ ذلك للمصريين ؛ وقال إن هذه المسائل أولت بطريقة تشوش الأفكار . فأجابه أفندينا بأن لعلمى بأن سعد باشا محب لرشدى باشا ، وساعده فى الجمعية التشريعية ، وهو من الرجال الأكفاء ، أرسلت له كلمتى تشجيعاً على مساعدة رشدى باشا ؛ وسبب إرسال تلغراف محب باشا ، أنه أشيع أننى فى حالة صحية خطرة حتى صرت معتوهاً ، فأردت تكذيب هذه الاشاعات ؛ أما بالنسبة لرشدي باشا ، فاننى أحبه ، وأثق به ، وهو من عائلة أصلها من قوله كأصلى ، ولا أرغب مطلقاً فى أن أجرحه فى شىء ما .

وتكلم السفير معه أيضاً فى عدم مناسبة وجوده بالاستانة ، بسبب مايقال عنه من أنه يحض الأتراك على دخول الحرب ضد الانجليز ، وأن الأولى أن يسافر إلى إحدى مدن إيطاليا على يخت المحروسة ، والحكومة المصرية تكترى له قصراً لطيفاً لمدة بضعة أسابيع . فقاطعه الخديو ، وقال : « بضعة أشهر . » ثم أضاف السفير : « وإن لأفندينا منافع مادية ومعنوية فى مصر ، فلا ينبغى له إهمالها » فأجابه سموه بما أجاب به ترجمان السفارة ، وأضاف : « صحيح أن لى مصالح فى مصر ولكن لم يعتن بها الانجليز ؛ لأننى لما اشتريت من الحكومة سكة حديد حلوان دفعت لها أربعة آلاف جنيه عن كل كيلو متر ، مع أنها لم تدفع لى إلا ثمنمائة جنيه للكيلو متر فى سكة حديد مريوط . » فقال السفير : « إن هذا الثمن جيد » فأجابه سموه متهكما : « أنا متشكر » . ثم قال :

أما منفعتى المعنوية فهى فى عدم ذهابى لايطاليا ؛ لأنه لا يمكننى أن أخرج فى الطريق بل أكون محبوساً فى القصر ، لأن كل من يرانى يقول : هـذا ملك غريب ! ترك بلاده فى ساعة الخطر ليلهو بعيداً عنها ».

ثم إن أفندينا جس نبض السفير فيما يختص بالاقامة فى سويسرا ، فأجابه بأن الحال فيها غير مطمئنة ، وينتظر حصول قحط ، فاستنبط سموه من ذلك أنه لابد من وجود اتفاق بين إيطاليا وانجلترا على إقامته فى إحدى المدن الايطالية ، حتى يكون محاطاً بالجواسيس، ولا يمكنه أن يتمتع بحريته ؛ كما أن الاصرار على السفر فوق المحروسة ، أوجد الشك عند سموه فى نية الانجليز ، وأنه ربما كان الغرض القبض عليها فى البحر ، وإرسالها إلى مالطة مثلا ؛ حتى إن السفير لم يستحسن أن يسافر سموه إلى الضلمان . وقال : « أنا فى المرة الأولى رأيت جنابكم ميالين للسفر ، ولكنى الآن أرى تغيراً ، وأجدكم غير مترددين فى البقاء ؛ فربما أنكم مستندون إلى الأتراك » . فأجابه سموه : « حقاً فكرت فى السفر ، ولم أكن قد ملكت صحتى ، وفضلته لتغيير الهواء ؛ ولكنى الآن فى صحة تامة ، لا تحتاج إلى السفر ؛ خصوصاً وأنى بين أهلى وعشيرتى ورجال معيتى . » فقال السفير : « الأحسن أن تتروى فى طلبى ، ثم تعطينى الاجابة القطعية » . قال : « فليكن . »

ولكن السفير ظن أنه فى تردد ، وأنه ربما يمكنه أن يؤثر على سموه ويأخذ جواباً مرضياً . فقال : « إنى أرى أن صالح أفندينا يقضى باجابة طلب حكومتى ، فأعطنى رأياً صريحاً قطعياً الآن . » فاجابه : « إن تربيتى تمنعنى من أن أخفى رأيى ؛ ولذا فاننى أرفض إجابة الطلب . »

وفى أثناء المحادثة قال السفير : « إن وجود سموكم فى إيطاليا أقرب لمصر من الاستانة . » تلميحاً لما ينتظر من رجوعه لبلاده ؛ فأجابه إننى متعود على السفر ، ولى قدرة على أن أطوف حول أفريقية حتى أصل إليها . »

قال السفير : « فلى حينئذ أن أخبر حكومتى برفضكم ؟ » قال : « نعم » .

ثم سلم جنابه عليه ، فقال له سموه : « أنا أشكر لكم عنايتكم الشخصية بى ، وإنى متأكد من أنكم فى تقاريركم التى ترسلونها لحكومتكم بخصوص حركاتى وسكناتى تراعون الحقيقة . » ولم يظهر على وجه عباس وهو يروى لنا مناقشته مع سفير انجلترا شىء

من التأثر لقطع علائقه مع الانجليز؛ ولكننى شعرت بأنه يفكر فى عواقب هذا الحادث لا من الوجهة السياسية ، بل من الوجهة المادية ؛ وقد أخبر والدته بنتيجة زيارة السفير.

بعد مقابلة السفير الانجليزى فى ٢٨ سبتمبر ، فكر الخديو فى مقابلة سفير إيطاليا ، ليستعلم منه عن وجود مخابرات بين حكومته وحكومة انجلترا فيما يختص بسفر سموه إلى إيطاليا ، فأرسل له محب باشا يرجوه فى المقابلة ، فحضر اليوم ، وعلم منه الخديو عدم وجود محادثات من هذا القبيل ، ثم أكد لسموه أنه إذا أقام فى إيطاليا فإنه يكون حراً فى أعماله وحركاته وسكناته كما لو كان هنا ؛ وعرض عليه مخابرة حكومته فى هذا الشأن ليتأكد من ذلك ، فأجابه بألا ضرورة لهذه المخابرة الآن ، وطلب منه أن يبقى فى نفسه ما علمه حتى الوقت المناسب . وقد استغرب السفير الايطالى منع الانجليز له من رجوعه لمصر ، وقال إنها غلطة كبيرة ؛ وكان الأحسن لهم أن يكون بمصر تحت نفوذهم .

* تابع المخابرات الرسمية والحوادث .

فى ٢٥ منه أبرق رشدى لمحب يقول : « إن الوكالة البريطانية طلبت مراراً وقف الجمعية التشريعية إلى أن تنتهى الحرب ، بحجة إمكان تداخلها فى المسائل السياسية ، وضرورة اتخاذ وسائل قانونية عاجلة تقتضيها الظروف . فرددت بأن هذه الاجراءات ربما لا ترضى الرأى العام ، وتعتبر تقهقراً فى وجهة النظام الدستورى ؛ وإن الحل الوحيد هو تأجيل الجمعية التشريعية إلى تاريخ انعقادها المقبل . وكل قانون يصدر فى هذه الفترة يعرض بعد ذلك على الجمعية ، فينظر فيه كالمعتاد ، فقبلت الوكالة هذا الاقتراح ، ومن جهة أخرى نرى أنه موافق نظراً للحالة الراهنة ، وإن الرأى العام يقبله بدون اعتراض .

وفى ٢٦ منه أجاب محب بأن الخديو لا يوافق على تأجيل موعد افتتاح الجمعية التشريعية ، لفائدة البلاد فى الظروف الحاضرة ، لأنها لا تشتغل إلا فى المسائل الداخلية وأن القوانين التى تصدر بين دورتى الانعقاد ، تعتبر مؤقتة ، ولا يعمل بها فيما بعد ؛ وتفادياً من المعارضة فى القوانين الهامة ، التى كان يجب أن تعرض على الجمعية لابداء رأيها فيها ؛ فلذلك رأى سموه أن يتجنب بقدر الامكان إصدار قوانين من هذا القبيل .

فكل هذه المسائل لها أهمية عظيمة ، وسموه يريد ألا تتخذ قرارات من هذا القبيل إلا بعد استشارته .

الرتب والنياشين : وفى ٢٥ منه أبرق رشدى لمحب يقول : « إن السردار استعلم

عما إذا كانت الرتب والنياشين التى تمنح عادة بمناسبة عيد الأضحى للعسكريين والملكيين فى الجيش يلزم عرضها على سموه ، أو يكتفى بطلب منه .

فرد عباس فى ٢٧ منه : « بناء على الحالة ، أجلوا طلبات الانعام على العسكريين والملكيين برتب ونياشين ، والسبب هو منع استمالة الضباط المصريين للانجليز .

وفى ٢٩ منه أرسل عباس برقية للقائمقام جاء فيها : « برقيتك المهمة لم تقنعنى ، سفير انجلترا حضر أمس ليبلغنى رغبة حكومته الأكيدة بسفرى إلى إيطاليا ، فرفضت . وبعد كل ما حصل لى ، فأنا أتساءل : كيف يمكننى أن أقبل حتى رجوعى إلى مصر ؟ والتفصيلات[1] بالبوستة .

كنت أحب أن أراك هنا لو أمكنك عمل اللازم .

وفى ٤ أكتوبر قال الخديو لمحب باشا : إذا لم تحضر برقية بعد يومين أو ثلاثة بسفر رشدى باشا للاستانة كطلبنا ، فتذهب أنت وتقنعه بذلك ، ثم ترجع . وسأله عما إذا كان يمكنه الرجوع ، فقال : إننى أفعل كل شىء حتى أرجع ، ثم إن سموه أظهر تألمه أيضاً من عثمان مرتضى باشا ؛ لأنه لم يوافه بأخباره .

وفى ٧ منه أبرق عدلى لصديق بأن الخطابات الواردة منه لم تغير من رأيه ، وأنه يشارك القائمقام فى كل نظرياته حتى الآن .

فى ٨ منه توجهت إلى جبوقلى ، فعلمت أن عدلى باشا ناظر الخارجية أرسل برقية مفتوحة ليوسف صديق باشا ، يقول فيها إنه أخذ خطاباته ولكنه يخالفه فى رأيه ، وأنه مقتنع بما أرسله رشدى باشا فى كل المخابرات حتى الآن ؛ فكأن رشدى وعدلى ، وطبعاً باقى إخوانهما من النظار — أى الحكومة — فى جانب ؛ والخديو فى الجانب الآخر .

وقد تألم الخديو من فحوى هذه البرقية ، وكان ألمه أشد لأنها جاءت مفتوحة (بدون شفرة) ؛ وقد علل سموه ذلك بأنه إما أن يكون الانجليز أمسكوا خطابات يوسف صديق ، وطلبوا من عدلى أن يبدى رأيه لهم ، فقال إنه على غير رأى يوسف صديق ، وحينذاك أملوا عليه البرقية ؛ وإما أنه أرسلها من تلقاء نفسه ، دون ضغط عليه ، فيكون عمله إرضاء للانجليز — وما كان يعهد فيه أن يعمل هذا العمل .

وقرر سموه أن يسافر محب باشا لاقناع رشدى باشا وعدلى باشا بوجهة نظره .

---

(١) التفصيلات المنوه عنها موجودة تحت عنوان « قطع العلائق بين عباس والانجليز » .

في ١٢ منه سافر محب إلى مصر بعد أن تناقش مع الخديو في موضوع مهمته، وهى إقناع رشدى باشا بالسير على الخطة التى اختطها سموه لنفسه ، أى الاتفاق مع الأتراك ضد الانجليز، الذين لم يرضوا برجوعه إلى بلده، ولا بماعرضه عليهم رشدى باشا من استقلال مصر ، مع إلحاحهم فى خروج سموه من الاستانة والتوجه لايطاليا ؛ وأن يقنع رشدى باشا بأن يتخذ خطة حازمة أمام المحتلين، بدلا من قبول كل ما يطلبونه منه، لأنهم مجبرون على موالاة المصريين الآن .

وفى ١٩ منه جاءت برقية من محب ، بجمل موضوعة لا يعرفها إلا يوسف صديق يقول فيها : « إن الانجليز منعوا رشدى باشا من إرسال برقيات » (شفرة طبعا) .

وفى ٢٠ منه سافر إلى مصر أحمد صادق بك وكيل الأوقاف الخديوية ، بعد أن أن قضى ليلتين فقط فى الاستانة ، مزوداً بتعليمات من أفندينا لرشدى باشا ، منها إرسال عدلى باشا ناظر الخارجية للاستانة للتفاهم مع أفندينا .

فى ٢٠ اكتوبر حضر سفير هولاندة ، وزار عباس ؛ وكان قبلا قنصلا جنراليا لهذه الدولة فى مصر ، وله صلات ودية قديمة مع سموه وعائلته . ودار الحديث بينهما فى منع الانجليز لأفندينا من الرجوع إلى مصر مع أنه كان يود ذلك ، فقال السفير إن سفره على يخت المحروسة كان خطراً عليه ؛ لأن الدوارع الانجليزية كانت تقوده إلى مالطة .

كنت عرضت أول أمس على أفندينا أنه لايحسن استمرار المؤيد المنسوب لأفندينا على اتخاذ خطة مخالفة لخطتنا ، لأن الأهالى يكونون متحيرين فى تصديق أى جانب ؛ فمنعاً لسوء التفاهم ، يجب أن يعدل المؤيد خطته ، وإننا نطلب حافظ عوض بك للاستانة . وبناء على الأمر أرسلنا برقية لعثمان مرتضى باشا بذلك ؛ فجاء الرد أمس بأن حافظ بك يفضل عدم السفر لأسباب متعددة ، فساءنا هذا الرد . وبما أننا كنا أفهمنا أحمد صادق بك أسباب طلب حافظ عوض ، فقد قررنا الانتظار لمعرفة ما سيكون عند وصول المندوب لمصر .

وفى ٢٢ اكتوبر أرسل القائمقام برقية ، وصلت فى ٢٧ منه للياور النوبتجى ، ذكر فيها أن محب باشا وصل ؛ وليس لى إلا الرجوع إلى برقياتى السالفة ، وقد أوضحت فيها كل الوسائل المهمة التى اتخذتها . ولم أنفذ شيئاً مهماً إلا بعد إخطار سموه ؛ ومع ذلك فانه لم يصلنى منه أى اعتراض على أعمالى .

وأما تأجيل اجتماع الجمعية التشريعية شهرين ، فكان قبل حضور محب باشا ، ولم أتسلم البرقية التى قال محب بأن سموه أرسلها إلىّ بهذا الخصوص . »

وفى ٢٥ منه حضر من مصر عبد الله افندى سليم البشرى ومحمود خيرى افندى ، من المعية السنية ، وأخبرا بما يأتى :

أولا — رشدى باشا لا يثق بعهود الأتراك ووعودهم .

ثانياً — أنه مخلص لأفندينا ، ومستعد للاستقالة ، إذا رغب سموه ؛ وأن سبب عدم إجابته عن طلب بيان القوة العسكرية المحتلة ، والتى حضرت ، وتوزيعها هو أنه لو سأل الانجليز عن هذا البيان ، لشكوا فى سؤاله ، وأولوه بأنه تجسس ؛ فضلا عن أنهم لا يصدقونه .

ثالثاً — قال إنه أرسل برقية عقب رجوع محب باشا

رابعاً — محب باشا لم يتمكن من إقناع رشدى باشا وعدلى باشا .

خامساً — عدلى باشا أرسل برقيته المفتوحة من تلقاء نفسه .

سادساً — بعض النظار قالوا عن أفندينا : « خليه هو هناك ونحن هنا نشتغل » أى أنهم مستغنون عنه .

سابعاً — الأهالى متذمرون من تسيطر الانجليز عليهم ، ولأخذ كل شىء بما فى ذلك الأساور والحلى الذهبية ؛ ومتضررون من أن المستشار المالى قرر أن يكون قنطار القطن بستة ريالات ، بعد أن كان يباع فى السنة الماضية بعشرين ؛ وأن كل من يأخذ مبلغاً من البنك الأهلى فى نظير تسليم قطنه ، يشترط عليه قبول الثمن الذى يبيع به البنك هذا القطن مهما كان منخفضاً .

ثامناً — الأهالى خائفون لأن الانجليز يهددونهم إذا قاموا ضدهم ، ومن جهة أخرى فانهم خائفون أيضاً من تذمر الأهالى ؛ والجواسيس منتشرون فى كل البلاد ، حتى على بواخر الشركة الخديوية ، لمراقبة الذاهبين والعائدين ؛ والتفتيش عليهم فى الجمرك ، حتى على السيدات صعب جداً .

* رسالة انتقاد من عباس على رشدى يعقبها ثقة وثناء .

علم الخديو بأن رشدى باشا قد انفعل من برقية سموه إلى سعد باشا ؛ وظن أن نتيجة ذلك تعيين سعد محله عند رجوع سمو الخديو إلى مصر ؛ فأراد الجناب العالى

أن يمحو أثر هذه البرقية بابداء ثقته فى قائمقامه ؛ فأرسل الخطاب الآتى بالفرنسية بتاريخ ٢٩ أكتوبر :

عزيزى القائمقام : لاحظت أن بعض قراراتكم اتخذت بحجة أنكم لم تصلكم منا أوامر بخصوصها ، فكان الواجب عليكم من باب الحيطة أن تتأكدوا من وصول برقياتكم لنا ، وكان عليكم إرسال صورة برقياتكم بالبريد أو برسول خاص . ولو أنكم استعملتم هذه الطريقة لما حصل سوء تفاهم ، مع أنه لم يصلنا منكم شىء من ٢٧ أغسطس إلى ٢٢ اكتوبر ، فى هذه الظروف الصعبة ، كان من الواجب ، بالنسبة للمسائل المهمة ، ألا تتخذوا أى قرار قبل أن أعطيكم موافقتى عليه . فمثلا بخصوص تأجيل الجمعية التشريعية ، علمنا أن ردنا لكم بالبرق لم يصلكم ، فكان عليكم أن تطلبوا منا الرد تحريرياً . وكذلك بما أن الحالة الحاضرة لا تستدعى الاحسان برتب ونياشين ، فقد علمنا من برقية وردت لنا من السودان أنكم صرحتم ببعضها ، مع أننا فى ردنا لكم بخصوص ذلك ، أمرناكم بعدم منحها . فاحتياطاً لهذه الأحوال نلح عليكم أن تعلمونا بكل قرار مهم لأخذ رأينا ، خصوصاً فى المسائل الخطيرة التى سنواجهها . وقد سبق أن أعربنا لكم عن رضائنا بوجودكم على رأس حكومتنا ، وإننا ننتهز هذه الفرصة لتكرار هذا الرضاء والتنويه بثقتنا التامة بكم ، وإخلاصكم الوطيد لنا ولوطنكم . وإنا لا نشك فى صداقتكم وفطنتكم ، فعليكم أن تعملوا بشجاعة وثبات وصبر متواصل لصالح بلادنا العزيزة . واعتقدوا يا عزيزى القائمقام ، بأحسن عواطفنا *



حسين رشدى باشا

---

* وفى هذه اللحظة وصلتنا برقيتكم بخصوص مقالة طنين بتاريخ ٢٤ اكتوبر . ونحن لا نجد فيها ما يستحق الاهتمام ، فالجرائد فى مصر أو فى استنبول تنشر أخباراً كثيرة ليست صحيحة ، ولا تستوجب أن تعطوها هذا الاهتمام ، وعلى كل حال فاننا نستغرب كيف اطلعتم على هذه الجريدة ، لأنها لا يمكن أن تصلكم فى تاريخ برقيتكم .

* **منع الحج ومنع التضحية والاكتتابات للصليب الاحمر جبراً** . فى ٢٩ اكتوبر أرسل رشدى للياور النوبتجى برقيـة قال فيهـا : « جريدة طنين (التركية) نشرت حوادث يلزمنى تصحيحها لأنها تمسنى شخصياً ، فادعاؤها منع الحج فى هذه السنة ومخالفة فتوى المفتى ، وإقفال أبواب الأزهر ، كل ذلك افتراء محض . فالحقيقة هى أن الممالك التى كانت تمون مصر بالدقيق ، منعت تصديره بسبب الحرب . ومن جهة أخرى فاننـا قررنا إنقاص زراعة القطن لزيادة زراعـة القمح فى سـنة ١٩١٥ لتموين البـلاد وللتقاوى اللازمة لزراعته ؛ ولأجل ذلك فان الحكومة منعت تصدير الكمية التى كانت ترسلها من القمح إلى الحجاز ، مما يؤدى إلى تعـدى العربان على الحجاج . وفضلا عن ذلك عـدم وجود وابورات صحية كافية لنقل الحجاج . وأخيراً فان الحكومة المصرية نظراً للحالة الحاضرة ترى نفسها غير قادرة على تنظيم خدمة كرنتينات لائقة ، بحيث تقوم بمنع خطر الأمراض الوبائية عن البلاد ، الأمر الذى يستلزم وجود الحجاج تحت مراقبة طويلة ، بدلا من إخراجهم بمجرد إتمام الاجراءات الصحية وعليه فالحكومة عرضت كل هذه الملاحظات على المفتى ، الذى أصدر فتوى بأنه فى هذه الحالة ينصح بعدم الحج فى هذه السنة . والحكومة أعلنت هذه الفتوى على الجمهور ، وتركت له الحرية فى اتباع النصيحة ، وطلبت فقط من المسافر ترك مبلغ كاف للانفاق عليه لرجوعه عنـد الحاجة كما حصل فى سنة ١٩١١ ؛ ومع ذلك فان الكسوة الشريفة أرسلت مع مخصصات مكة ، وكل ما أجرته الحكومة فى هـذه المسألة لم يثر اسـتياء الجمهور ، والبـلاد استمرت وستستمر هادئة .

وكذلك ما قيل من أن الحكومة منعت التضحية كذب . وإنما بالنسبة لأن البلاد معرضة لقحط المواشى ، ونظراً للحالة الحاضرة ؛ فان الحكومة طلبت من كبار العلماء تحت رياسة المفتى إبداء النصيحة للجمهور بانقـاص الضحايا إلى أقصى ما يمكن ، وقد صدرت الفتوى بالموافقة . وعليه ، فان الحكومة اكتفت بنشر الفتوى دون أى تعليق عليها ، ولم تتخذ إجراءات أخرى .

ومن الافتراء أخيراً ما قيـل من فتح اكتتابات عامة للصليب الأحمر الانجليزى جبراً . والحقيقة أن بعض الاكتتابات القليلة التى حصلت كانت تقريباً كلها من أفراد ، حتى أنه أشير بالنهى عن ذلك . »

زيارة عباس لشكر الخليفة والعائلة السلطانية والسفراء . فى ٣١ أغسطس زار أفندينا الصدر الأعظم فى « ينى كوى » ، وهى أول زيارة عملها بعد الحادثة . وقد شكره على مساعيه الخاصة برجوعه لمصر ، وكانت الزيارة ودية للغاية .

ثم قابل السلطان فى قصر يلدز ، وكان بمعيته الباشوات محب ومرتضى وأباظه وصاحب المذكرات ، ويوسف صديق ، وغيرهم من الحاشية ، وكان ذلك فى الكشك المسمى « جادر » الذى بناه السلطان عبد المجيد فى نقطة جميلة لها منظر على البسفور كأنه بحيرة أمام الناظر ، وله منظر آخر على بحيرة صناعية فى الجنينة ، وقد نزل السلطان من يلدز إلى هذا الكشك ليسهل على أفندينا مقابلته . وكان الترتيب أن سموه يحضر بالرفاص إلى سراى « جراغان » ، ومنها بالسيارة إلى الكشك المذكور ، مخترقاً الشارع من محل خصوصى . وقد استقبله على السلم الباشمابنجى ورئيس التشريفات ورئيس الأطباء وغيرهم ، فدخل أفندينا عند السلطان ؛ أما نحن فمكثنا مع حاشية جلالته مدة ٤٥ دقيقة ، بعدها حضر رئيس التشريفات ودعانا إلى مقابلة جلالته ؛ فخرجنا فى البهو الذى كان بين غرفة السلطان وغرفتنا ، فوجدنا أفندينا واقفاً ، ثم حضر السلطان ، فأدينا التحية بأخذ السلام ، وقدمنا سموه إلى جلالته .

ثم زار فى أول سبتمبر أيضاً سفير النمسا ، وقد رحب بسموه كثيراً ، وأظهر له ممنونية عظيمة لرؤيته فى صحة تامة ، خصوصاً وأن الصلات الحبية بين الاثنين كانت كبيرة وقديمة .

ومن هناك ذهب لسفارة أمريكا ، فلم يجد السفير ومنها زار سفير ألمانيا ؛ وسمع منه أن الألمانيين مصممون على سحق وتخريب الدولة البريطانية ، وعندهم مدافع برية ترمى إلى بعد ٣٢ كيلومتراً لاستعمالها بوضعها فى كاليه عند أخذها ، لمنع وصول المراكب التجارية من انجلترا ، لما هو معروف من أن المسافة بين كاليه وبين الشواطىء الانجليزية أقل من ذلك أو تقرب منه ، وكذلك عندهم الطيارات المسماة «زبلن» فسيكون لها شأن فى محاربة الانجليز ؛ وزار سفير إيطاليا ؛ ثم سفير روسيا ، ولم يجده فترك له بطاقته .

أما سفير انجلترا فكان أفندينا قد أخر زيارته للغد ، فألح محب باشا فى أن يزوره اليوم ، وأرسل الباشا جواباً للترجمان بذلك . ولكن هذا رد باعتذار السفير لعدم وجوده .

وزار أيضاً اليوم بعد الظهر سفير فرنسا ، فأبلغه أن الانجليز والفرنسيين لايفكرون فى اقتحام الدردنيل لمناعته ، بوضع الألمان مدافع كبيرة فى الحصون ، والغام

البحر ، مما يصعب معه على الأسطول أن يخترق الدردنيل . ثم حضر حسن بك رئيس تشريفات ولى عهد السلطنة، للسؤال عن صحة أفندينا من قبل سموه الملوكى ، فشكره أفندينا وأمر بكتابة رسالة لطيفة لولى العهد ووقعها ، وانتدب محب باشا وعارف باشا لحملها وتقديمها ، ثم زيارة وحيد الدين افندى وغيره من العائلة السلطانية ، شكراً لهم من قبل أفندينا على سؤالهم عنه مدة مرضه ، والاعتذار لهم عن عدم إمكانه زيارتهم شخصياً .

وفى يوم ٤ منه حضر سفير روسيا لرد الزيارة لسموه ، وقال له : إن الأحسن وجوده بالاستانة ، لينصح المتهوسين من الأتراك بعدم خوض غمار الحرب الحالية كما تريد ألمانيا ، وهو يقبح عمل انجلترا من حيث طلب خروجه من الاستانة ، وقال السفير إن هذه الحرب تطول ستة أو سبعة أشهر .

وفى ٩ سبتمبر جاء سفير النمسا وقابل الخديو ، ففهم من حديثه أن حالة الجيش النمساوى ، سيئة وأنه ينتظر بفروغ صبر انتهاء القتال مع الفرنسيين ، حتى تتمكن ألمانيا من إرسال نجدة عسكرية لمساعدة النمسا .

عباس والصدر والحزب الوطنى . فى ٣ سبتمبر وردت للخديو رسالة من محمد فريد رئيس الحزب الوطنى يهنئه فيها بسلامته من التعدى وبحلول العيد ، ويظهر امتنانه من عطف سموه على رجال الحزب مثل الصوفانى وغيره ، وقال ما معناه : « إنه يلزمنا انتهاز الفرصة الثمينة الحاضرة للعمل معاً » .

وفى اليوم نفسه كنت تحدثت مع اسماعيل أباظه ويوسف صديق وعثمان مرتضى فى تنظيم برنامج للسير بمقتضاه ، ثم عرضه على أفندينا؛ ولكن علمت من الأول أنه لا يبت فى شىء إلا بعد حضور محمد فهمى بك التشريفاتى من مصر، وإطلاعنا على الأوراق التى يحملها من قبل رشدى باشا . وقال أباظه باشا : « إن أفندينا يفكر فى الذهاب والمكث فى الضلمان ، لأنه إذا ذهب إلى إيطاليا يدعى الحزب الوطنى أنه يسعى ضد صالح مصر » .

وفى ٧ منه ركبت مع أفندينا واسماعيل أباظه وذهبنا إلى ببك فى الصباح ، وبعد وصولنا إليها حضر يوسف صديق، والدكتور سيد كامل ، وكانا منتدبين لمرافقة محمد فريد بك ، لأنه وصل من سويسرا للاستانة أمس الأول ، فأخبر يوسف صديق أنه لما تقابل مع فريد صباح اليوم فى الفندق ، رأى منه ميلاً للتفاهم مع الخديو ، واعترف بأنه لا يمكن للحزب ، ولا للأتراك عمل شىء بدون مساعدته .

ولما قابل فريد بك أفندينا أخـذ ينفى عن نفسه تهمة التعدى ، ثم قال إنه يعتذر عما حصل منـه من الخطأ ، لأنه كان مقتنعاً بأن أفعاله كانت فى صالح الوطن ؛ فطمأنه أفندينا ، وعرفه بأنه لم يخطر بباله أنه تدخل فى حادثة التعدى عليه ، وقبل اعتذاره بكل صفاء ، فى هذا الوقت الذى يلزم فيه جمع شمل المصريين .

ثم أمره أن يتوجه لطلعت بك وأنور باشا لمعرفة ماينوى الأتراك عمله فى مصر ، وتبليغه لنا . وبعدها بقليل حضر الشيخ البوريني يرافقه الشيخ عبد العزيز جاويش الذى نفى عن نفسه تبعة الحادثة ، وتبرأ منها ؛ فقال له أفندينا : « أنا لا أخليك من المسئولية ، لأنه كان يجب عليك أن تنصح لهؤلاء المتهوسين من الشبان أن يتبينوا الأمور ويعقلوها ؛ فان مصر لا تنتفع من ضررى . وعلى كل حال فان الوقت يقضى علينا أن نكون الآن كتلة واحدة ، للعمل لما فيه صالح مصر والمسلمين ، وأن نفكر فى العمل الذى تنويه الدولة فى مصر . »

فقال الشيخ جاويش : « أنا أعرف أنك يا أفندينا تحادثت مع أنور باشا ، وأعرف أنه متحقق من شيء ، وهو أن الدولة لا يمكن أن تعتمد فى عملها على شخص خلاف أفندينا ، وأنه أخبر الاتحاديين بذلك » . ثم خرج الشيخ جاويش مسروراً مما سمعه .

وفى ٩ منه حضر محمد فريد بك إلى اليالى (قصر بيك) ومعه اسماعيل لبيب بك من أركان الحزب الوطنى ، الذى حضر من مصر وأفضى لسموه بحالة البلاد وأعمال الانجليز .

وفى هـذا اليوم قابل سموه على الشمسى بك عضو الجمعيـة التشريعية ، وتداولوا جميعاً فيما يجب عمله .

وفى ١٢ منه حضر محمد فريد بك واسماعيل لبيب بك ، وقابلا أفندينا ، وأعلماه بحديثهما مع أنور وطلعت .

وفى ٥ اكتوبر تقابل سموه مع محمد فريد بك واسماعيل لبيب بك فى قصر بيك بعد الظهر ، وكلفهما بكتابة أسماء الفدائيين الذين يعول عليهم من أعضاء الحزب الوطنى ؛ وذكر أن الواجب التفكير فى طريقة تحريض الطلبة المصريين على القيام بواجبهم نحو الوطن .

وفى ٧ اكتوبر قابل الجناب العالى فى بيك فريد بك واسماعيل لبيب ، وتحادثوا فى الشئون المصرية .

وفى ١٢ منه جاء محمد فريد بك واسماعيل لبيب ، فجمعنى الخديو بهما بحضور

يوسف صديق والسيد كامل ، وتباحثنا فى الحالة ، فتقرر تحضير منشور من سموه يوضح فيه الغرض من إخراج الانجليز ، والمحافظة على الأرواح ، من مصريين وأجانب ، والعفو عن المحكوم عليهم سياسياً ، والوعد باعطاء الدستور التام .

وفى ١٤ منه حضر لجبوقلى محمد فهمى رئيس جمعية أبى الهول فى جنيف مع على الشمسى بك وكيل هذه الجمعية والعضو فى الجمعية التشريعية ، ومعه أحد أصحابه مسيو فلاك مكاتب فرانكفورت روتنج ، وقابلوا الخديو .

وفى ١٧ منه قابل سموه بعد الظهر فى ببك محمد فريد بك ، واسماعيل لبيب ثم صاحب جريدة ألمانية كانت تطبع فى مصر (يجبتن ناخرختن) وعطلت عقب إعلان الحرب من انجلترا على ألمانيا ، ثم محمد فهمى بك وعلى الشمسى بك ، وأخيراً حضر أنور باشا ومكث مع سموه ساعة كاملة .

وفى ١٨ منه حضر محمد فريد بك واسماعيل لبيب بك لجبوقلى بعد الظهر ، وقابلهما سموه مع وجودى أنا ويوسف صديق باشا ؛ ومن المحادثة علمنا أن البرنس ابراهيم حلمى أخبر أفندينا بأن الصدر كلمه عن فريد ، وانتقده على وضع شارة مكتوب عليها مصر للمصريين ؛ وأنه سأله عن البرنامج الذى ينوى السير عليه ، فأجابه بأن لا برنامج عنده ، وعلى هذا حكم الصدر على الحزب الوطنى بأنه دجال ؛ فقال فريد : « نعم إننى توجهت لمنزل الصدر وقابلته ، ولم أرد أن أعلمه بشىء لأننى لا أثق به ، وإنه أرسل مع محمد راسم بك يقول : إن الصدر مستعد لمقابلته ليلا بمنزله ، ولكنه لم يتوجه إليه . فقال الخديو :

« إن الصدر لما رأى التفافكم حولى ، استشاط غضباً ؛



سعيد حليم باشا « الصدر الاعظم »

لأنه يرمى إلى غرض آخر ، يشتغل فى تنفيذه مع الشيخ عبد العزيز جاويش والدكتور احمد فؤاد وحلمى المسلمى افندى ومحمد عماد الدين » . فقال فريد : « بلغنا أن فى عزمهم تشكيل حزب وطنى آخر » .

فقال الخديو : « إن غرض الصدر هو أن يكون خديوياً على مصر » . فقال فريد واسماعيل لبيب : « هذا مستحيل ، وإن المصريين لا يرضون بأحد غير أفندينا » . فأجاب سموه مقسماً ثلاثاً : « إننى لا أطمع إلا فى خلاص مصر من الاحتلال ؛ ثم إن أرادت الأمة غيرى ، فاننى أسلمه الأريكة » . فكرر الحاضرون قولهم بأنهم لا يرضون عنه بديلا ؛ فقال سموه : « والذى يؤسفنى هو أن الصدر ملتف بمصريين منشقين يعلنون عداءهم لنا ، مع أنه لا يليق بصدر هو رئيس حكومة ، أنا موجود فى ضيافتها ، وهو من أسرتى ، أن يفتح بابه لمثل هؤلاء الناس » .

وفى ١٩ اكتوبر حضر إلى بيبك الشيخ عبد العزيز جاويش وقابل الخديو ، ملتمساً منه أن يأمر محمد فريد بك باشراكه معه فى البرنامج الذى ينفذه ، مع أنه كان يبتعد عنا .

ولما خرج الشيخ جلس معى ومع الشيخ البورينى ، وأخذ الشيخ جاويش يذكر معلومات عن الحركة القائمة فى فارس والأفغان وفى عدن وفى الهند ضد الانجليز ؛ ولما جاء ذكر مصر ، والأمل فى تحريرها ، ونشر التعليم فى جميع جهات القطر ، قال الشيخ البورينى : « وعندها يعين الشيخ جاويش للاشراف على نشر التعليم » .

وفى ٢٠ اكتوبر حضر محمد بك فهمى ، وعلى بك الشمسى فى بيبك ، وقابلا أفندينا وأخبراه بما دار من الكلام بينهما وبين سفير ألمانيا صباح اليوم .

وفى ٢٣ منه دعا سموه لتناول الغداء فى الكشك الكبير محمد فريد بك والشيخ عبد العزيز جاويش ، واسماعيل لبيب ، والأستاذ محمد فهمى ، وعلى الشمسى بك ، ثم جلال الدين باشا صهر سموه ، ويوسف صديق باشا وعارف باشا ، والدكتور السيد كامل افندى ، والشيخ البورينى ، وابراهيم ادهم بك الياور ، وصاحب المذكرات ؛ وهى أول دعوة أقامها بعد شفائه ، وحضرها بنفسه ، وأكل فيها لحماً ؛ وكان الحديث فى أثناء الطعام ودياً ، والشيخ جاويش مسروراً ؛ وبعد شرب القهوة جلسنا مدة ساعة ، ثم انصرفوا ما عدا فريد بك واسماعيل بك .

وفى ١٣ نوفمبر سمعت من تصريحات الخديو ، أن حلمى المسلمى افندى الموظف

بالخارجية العثمانية، والذى ينتمى للصدر يجمع فى غرفته الشيخ جاويش، والدكتور احمد فؤاد وفؤاد سليم بك لتأليف حزب، يسمى حزب مصر العثمانية، يرمى إلى جعل القطر المصرى فى صف الولايات؛ ولاحظ سموه أن فريد بك غير قوى ولا نشيط؛ وكان من الواجب أن يجمع هؤلاء تحت جناحه، فهو غير قادر على مقاومتهم وهم خصوم، ويجب على فريد بك أن يكون يقظاً لهذه التدابير التى يحكمها الصدر.

وفى ١٤ منه قابلت، والسيد كامل افندى، واسماعيل لبيب بك، الجناب العالى، فأخبرنا أن البرنس ابراهيم حلمى باشا وسيف الله يسرى باشا حضرا عند سموه، وهما مكلفان من الصدر أن يبلغاه: —

أولا — أن الصدر بلغه خبر بأن أفندينا عين فريد بك رئيساً للمجلس النيابى.

ثانياً — أن فريد قال إنه يجب خروج العساكر التركية من مصر بعد دخولها فيها بأربع وعشرين ساعة.

ثالثاً — ينتقد على فريد بك ادعاءه بأن مصر للمصريين.

رابعاً — إذا كان الأمر كذلك فلا لزوم لتوجه أفندينا مع الحملة.

فقال سموه: «لو كان فريد بك يستهوى لهان الأمر من زمن بعيد» ثم شرح كيف أن فريد بك قد انضم إلى سموه بعد أن أرسل إليه خطاباً قال فيه: «إنه قد آن الأوان للاتحاد والوئام، وانتهاز هذه الفرصة لخلاص مصر.»

وقال فريد بك: «لقد قابلنى سيف الله يسرى باشا فعلا فى طوقاتليان وأخبرنى بما قاله الصدر عنى، فأظهرت عدم اكتراثى بهذا الكلام» فرد عليه الباشا قائلا: «يجب ألا تستخف بما أقوله لك، وإلا اضطر الصدر إلى اتخاذ إجراءات» فقلت: «إذا أراد الصدر أن أذهب إليه وأتفاهم معه فانى مستعد لذلك.»

ولما سمع الخديو ذلك قال: «إننى أنوى زيارته لأبلغه جوابى عن هذا الكلام».

وفى ١٤ نوفمبر قال لنا سمو الخديو: «لقد طلبت من البرنس ابراهيم حلمى أن يحمل إلى الصدر ردى على جميع النقط التى أبلغنى إياها، وقلت له إنه لا حق له فى انتقاد حاشيتى لقولها: إن مصر للمصريين؛ لأن هذا مطابق للفرمانات التى تخول لمصر استقلالها الداخلى، وما قلنا يوما بالانفصال عن تركيا فيما لها من السيادة الخارجية، والمصريون متعلقون بتركيا شديد التعلق، بدليل التبرعات الكثيرة التى جمعت فى زمن الحرب

الطرابلسية ، والحرب البلقانية . وأما ما أشيع عن فريد بك من قوله بعدم وجود الجيش التركى بمصر بعد دخوله فيها أكثر من أربع وعشرين ساعة ، فهذا غير صحيح ؛ لأن هذا الجيش لا بد أن ينتظر نتيجة انعقاد مؤتمر الصلح الذى تعرض عليه المسألة المصرية ؛ وذكر سموه أن البرنس ابراهيم قال له : إن الصدر ينتقد على كسوة سموه العسكرية ، فأجاب بأنها ليست كسوة انجليزية ، بل عملت بواسطة الأمريكيين الذين كانوا قد حضروا إلى مصر بصفة أركان حرب فى مدة جده ، وليس فى وجود كسوة عسكرية مخالفة لما هو فى الجيش العثمانى ما يستوجب النقد ؛ لأن لباس الجيش البافارى مخالف للباس الجيش البروسى ، فاذا كان رجال الدولة يريدون أن تكون مصر بالنسبة لتركيا مثل بافاريا لبروسيا ، فلا محظور حينئذ من أن تكون للجيش المصرى كسوة مخصوصة . وذكر سموه أن البرنس ابراهيم قال له : إن الصدر يهدد فريد بك بنفيه إلى سينوب ، فقال سموه : « إلا هذه المسألة فليس للصدر سلطة عليه . وإذا كان هذا الأمر جائزاً فى تركيا فانه لا يجوز فى مصر . »

وكان الصدر قد قال أيضاً إنه نبه على طلعت بك بألا يقابل فريد بك ، وكذلك على انور باشا ؛ فقال سموه . « إن الصدر يتكلم ضدنا من بعيد ، فيرسل إلينا كلاماً بواسطة البرنس ابراهيم ، وأنا لا أستطيع السكوت على ذلك ، فسأذهب إليه وأعرفه بأنى سأزور أنور باشا وطلعت بك وسفير ألمانيا ، وأبلغهم هذا الكلام . ثم كلف سموه فريد بك زيارة انور باشا والسفير ، ومخاطبتهما فى هذا الموضوع ، وليعمل ترتيباً بأن يطلب طلعت بك مقابلة فريد بك ، ويكون هذا بمثابة ترضية عن قول الصدر بأنه منع طلعت بك من مقابلة فريد . »

وفى ١٥ منه تقابل فريد بك مع طلعت بك ، ولما أخبره بما قاله الصدر فى حقه ، أجاب بأن أقوال الصدر لا قيمة لها ، والدليل على ذلك أنه تقابل معه . ثم أضاف : « لا تعيروا هذه الأقوال التفاتا ، ولكن من جهة أخرى يلزم أن تنصح للمصريين بأن يكموا أفواههم عن الكلام غير المناسب ، فبعضهم يقول برجوع الخديو لمصر ، وآخر يقول بعكس ذلك ؛ وتغالوا فقالوا بتعيين كل من يكون فى ولاية عهد السلطنة خديوياً على مصر ، حتى يكون سلطاناً فينتقل إلى الاستانة ، وولى عهده يذهب إلى مصر ؛ وهكذا من الأقوال الدالة على الغباوة . فالأحسن أن تتفقوا وتتحدوا » ، فأجابه فريد بك : « إن المصريين جميعاً لا يريدون خديوياً غير عباس حلمى باشا » ولما سمع الخديو هذه الرواية ، قال : « هذه تدبيرة من عماد الدين وكيل الصدر ، والشيخ جاويش ، والدكتور احمد فؤاد

وخلقى المسلى افندى ؛ والغرض من ذلك إيجاد التشويش فى الأذهان ، والترويج لأن تكون مصر ولاية عثمانيـة . واتفق فى الحال على أن ينشر فريد بك فى الجرائد خبر مقابلته لطلعت ، بك فيكذب بهذا ادعاء الصدر

وفى هذا اليوم حضر اثنان من المصريين ، وهما (م . افندى و ى . بك) ؛ فأخبرهما سمو الخديو بمسألة الصدر ، وقال : « إننى لم أتعاقد مع فريد بك ولا تكلمنا فى تعيينه فى أية وظيفة ، وأن مصر لا يمكن أن تكون إلا للمصريين ، فاذا مت بعيداً عن مصر ، فأرسلوا جثتى لتدفن فيها . فلا معنى لانتقاد الصدر على فريد بك ، لأن هذا يقول إن مصر لأهلها ؛ نعم إنها ولاية ممتازة تابعة للسلطان وللدولة ؛ وقد قلت لعمى ابراهيم إننى أعترف بخلافة السلطان وأعترف بسيادة الدولة على مصر والعملة باسم السلطان ؛ وفى الجواز المصري أن حامله من التبعية العثمانية . »

وفى ٢٢ منه ذكر فريد بك أنه لما كان على محطة حيدر باشا لتوديع جمال باشا وكان واقفاً مع الشيخ جاويش ، مر عليهما جاويد بك ، فحيا فريد بك أحسن تحية ، ولم يقرىء الشيخ جاويش السلام ؛ فاذا قورنت هذه الحادثة بما سمع مراراً من طعن الشيخ جاويش فى جاويد بك ، سواء أيام كان ناظراً للمالية أو بعد استقالته ، استنتج من ذلك أن العداء مستحكم بينهما ؛ ولما كان من المعروف أيضاً فى الاستانة أن خيرى افندى شيخ الاسلام فى الدولة هو الذى أخرج الشيخ جاويش من موضوع الجامعة الاسلامية فى المدينة وأبعده عنها ، وأنه ترتب على ذلك وجود عداوة بين الشيخ وخيرى افندى شيخ الاسلام ؛ فحينئذ يكون من المحقق وجود عدوين من كبار رجال الدولة للشيخ جاويش : أولهما خيرى افندى وثانيهما جاويد بك .

وفى ٧ ديسمبر ارسل سمو الخديو عارف باشا إلى الصدر ليبلغه أن سموه سيحضر لزيارته غداً الساعة العاشرة صباحاً فى « ينى كوى » ، فأجابه الصدر بأنه وإن كان مريضاً اليوم ، حتى إنه لم ينزل لمقابلة السفراء فى الباب العالى ، فانه سيستعد لاستقبال سمو الخديو فى الميعاد .

وفى اليوم نفسه ذهب الجناب العالى إلى ميركون وأخذ البرنس ابراهيم حلمى باشا معه ، وتوجها لزيارة الصدر .

وبعد هذه الزيارة توجه سموه فقابل سفير ألمانيا . وربما كان قد أطلعه على مادار من الحديث بين سموه والصدر ، وما دار كذلك بينه وبين طلعت بك وخليل بك

أمس . ولما عاد من زيارة سفير ألمانيا تناول الغداء فى ببك ؛ وكان معه غير الحاشية كل من البرنس ابراهيم حلمى ، ومحمد عزت باشا .

وفى بداية تناول الطعام حضر الشيخ عبد العزيز جاويش ، فنزل الدكتور السيد كامل بأمر الخديو لدعوته ، فتناول الطعام مع سموه والحاضرين .

وفى ١٠ ديسمبر قابل على جلال باشا سمو الخديو بعد الظهر ، ودار بينهما حديث عده الخديو جرأة وقحة ؛ إذ قال لسموه (معرباً طبعاً عن أفكار الصدر) بأن سفره إلى الخارج خطر جداً .

فسأل سموه : « ومن أى وجه ؟ » فقال جلال باشا ؛ إذ تكثر التقولات عن سموه . فقال سموه ، إنه يسمع كثيراً منها وهو فى الآستانة ، قال الباشا . ولكنها تتضاعف وتكثر عند سفره ، فقال له : « لهذا أسافر حتى لا أسمع شيئاً من هذا » فقال الباشا بوقاحة إن سموه يعتمد على الأقاويل التى تحكى فى طوقاتليان .

فرد سموه : « إن تلك الأقاويل التى تحكى فى طوقاتليان تنقل إلى ينى كوى » ثم أذن له سموه بالانصراف ، فاستأذنه جلال باشا بالانتظار فى الطابق الأسفل ، فأذن له . مع أن الواجب كان الخروج فى الحال من السراى .

وفى هذا اليوم ذكر يوسف صديق باشا أن سمو الخديو مهتم بمسألة انتداب البرنس ابراهيم حلمى باشا ، ليسير مع الحملة التركية ، حتى إذا وصلت إلى مصر ، كان دولته قائمقام خديو . وقد قبلت ألمانيا هذه الفكرة ، أما الصدر الأعظم فقال إنه لايستطيع البت فى هذه النقطة إلا بعد محادثة أنور باشا . أما طلعت بك فقال إنه سيستشير الصدر .

الاتفاق الثلاثى بين ألمانيا وتركيا وعباس . فى ٨ سبتمبر زار أنور باشا أفندينا فى بيك ، ومكث عنده نحو ٤٥ دقيقة ؛ وعلمنا منه أنه قال بأن تركيا لايمكنها أن تدخل الحرب إلا بعد شهر ؛ وأن ألمانيا لاتنتهى من حربها مع فرنسا قبل عشرين يوماً ؛ وأن رومانيا مترددة فى دخولها الحرب مع تركيا وبلغاريا ضد روسيا .

وفى ١٠ سبتمبر سمعت من الخديو أن ألمانيا أرسلت للدولة ثلاثة ملايين جنيه وألفى بندقية ، و٤٥ بطارية مدافع وذخائر ، و ٦٠٠ ألمانى يحذقون الرمى والمدفعية ؛ ووعدت الدولة أنها إذا دخلت فى الحرب فانها تعطيها جزءاً من الغرامة الحربية التى تأخذها من فرنسا ، تساعدها على دفع ديونها .

وفى ١٢ سبتمبر سمع الخديو بأن نجل أمبراطور ألمانيا المسمى يواقيم أصيب فى ميدان فردون بقطعة من قذيفة الشرنبل ، وجرحته ، فأرسل برقيـة لوالده يهنئه فيها بنجاة نجله ، ويسأل له الشفاء . فأجابه غليوم برقياً بعبارة لطيفة ، وكلف سفيره بالاستانة تبليغها . وقد حضر السفير فى هذا اليوم نفسه بصفة رسمية ، وقابل افندينا ، وسلمه نسخة من البرقية بعـد أن قرأها عليه بالألمـانية ؛ وقد لاحظ سموه أن السفير لمـا قرأ الجملة الأخيرة «سعادة مصر» نظر إليه كأنه يقول : افهم معنى هاتين الـكلمتين جيداً .

أما البرقية فهى : « إننى أشكر لسموكم أحسن الشكر على برقيتكم التى أرسلتموها بمناسبة جرح ابنى يواقيم ؛ وأطمئنكم بأنه فى القريب العاجل يشفى من جراحه ؛ ويعود لسـاحة الفخر . وإنى أنتهز هـذه الفرصة لتبليغ سموكم إحساساتى لشخصكم ، وتمنياتى لسعادة مصر . »

فقال الخديو : هذه البرقية ذات معنى ، لأنني فى برقيتى لم اتكلم عن المانيا ولا عن الحرب ، فكون الأمبراطور لايقتصر فى الرد على الشيء الشخصى ، وقال « سعادة مصر » كأنه يقول : « إننى لا أنسى مصر » .

من خطاب سلمه عباس للصباحي فى ١٥ سبتمبر لرشدى باشا جاء فيه : أصدرت الحكومة العثمانيـة قراراً بالغاء الامتيازات الأجنبيـة ، وأبلغتـه للدول ؛ وقد حصلت مظاهرات فرح من الأمة ثلاثة أيام . ومجلس الوكلاء سـيقرر فى جلسته المقبـلة تبليغ الالغاء لمصر لتنفيذه ، فعندها يلزم على قائمقام الخديو أن يتروى جيداً ، ويظهر الشجاعة والشهامة ، وألا يقرر شيئاً إلا بعد عرضه على افندينا ، وأن يلقى المسئولية على سموه .

فى ٢٠ سبتمبر جاءت برقية فى المساء من رشدى ، بأن العساكر الهندية وصلت ، وعملت الأجراءات اللازمة كالتبخير وغيره لمنع الـكوليرا ، فيما إذا كانوا حملوها من بلادهم .

وفى ٢١ منه أرسل افندينا عارف باشا لأنور باشا ناظر الحربية ، يعلمه بورود برقية حسين رشدى ، بوصول عساكر هندية إلى مصر .

وتقابل افندينا مع أنور باشا فى سفارة المانيا ، وتكلم معه ؛ وأظهر له كل الاستعداد لمساعدة الدولة ؛ وقد روى لى ذلك يوسف صديق باشا .

وفى ٢٨ منه أرسل الخديو برقية رداً على ما جاء من رشدى باشا بخصوص حضور عساكر هندية بمصر ، فقال إنه لم يعرف مقدارها ، ولا أنواعها ، ولا المحلات التى عسكرت فيها ، ولا التأثير الذى حصل للأهالى من حضورها ؛ وطلب تعريفه عن ذلك .

وفى ٣٠ منه حضر أحد رجال الحرس الخديوى من مصر ، ومعه أشياء لسموه وخطابات ؛ وأخبرنا أن الهنود ، وعددهم عشرة آلاف ، وزعوا بين رمل الاسكندرية ومصر الجديدة ، وبلبيس ؛ وأن نصف فرقة انجليزية فى السويس، وأخرى فى الاسماعيلية وثالثة فى بور سعيد ؛ وأن عدد العساكر الانجليزية فى القاهرة ألفان ؛ وسافر الباقى وعدده أربعة آلاف إلى مرسيليا ؛ أما القوة الهندية فبعد أن استراحت سافرت هى أيضاً إلى مرسيليا، وحلت قوة أخرى محلها، تقدر بثمانية آلاف وزعوا كالآخرين. وبين الرجال من هو مسلم ومن هو وثنى ، ومن هو حليق ومن هو بلحية .

ومعهم ثلاث بطاريات (ميدان) وفرقة مكسيم ، وأن العساكر الهندية تمر بشوارع مصر لارهاب أهلها ، ويقول الراوى إنهم ضعفاء ، حتى أن بعضهم وقع من تعب المرور فى المدينة .

وذكر أن كثيراً من السكان عرفوا أن سبب بقاء سموه خارج القطر هو منع الانجليز له من الرجوع لبلاده ، وأنهم خائفون عليه .

فى ٢ نوفمبر عرض الدكتور سيد كامل فكرة مؤداها أن سفر أحد المصريين إلى مصر مفيد فى الوقت الحاضر : أولا ليدل الناس المخلصين هناك إلى الانضمام إلى تركيا وحليفاتها ، بحيث تكون الحركة فى مصر موافقة لحركتنا فى الاستانة ؛ وثانياً ليقابل أعضاء الجمعية التشريعية الذين يعرفهم ، ويقنع العدد الممكن منهم بصواب خطة الخديو .

وفى ١٢ منه تكلم سمو الخديو عن مقدار نفوذ سفير ألمانيا فقال : « إننى إذا حادثته فى شىء مما يهمنا ، قال : بأنه ممتن لما وصل إليه من الاتفاق مع الأتراك ، وليس فى استطاعته التدخل فى التفاصيل ، ثم أضاف سموه : إننا فى بداية الأمر أظهرنا لسفير ألمانيا ما نقدر على عمله وما لا نقدر ، ليعلم كل ما يمكننا عمله ، ولو كانت لدينا قوة ذاتية يعتمد عليها ، لرأينا سفير ألمانيا هو الذى يسعى إلى مقابلتنا .

وفى ١٥ منه أمر أفندينا الزائرين المصريين م . افندى و ى . بك بالتوجه إلى سفير ألمانيا مع فريد بك ، وتفهيمه أنهم متفقون مع سموه فى كل شىء ، وأنهم يظهرون استياءهم من كلام الصدر .

وذكر (م . افندى) أنه اتفق منذ أسبوع مع السفير على أن يتوجه إلى جنيف ، ويكتب فى جرائدها لمصلحة التجريدة المصرية ، ويفهم العالم أن الأتراك هم الذين قرروا ذلك ، وليس لألمانيا دخل ، يعنى أنهم غير مسوقين ، أما (ى . بك) فقد تقرر أن

يرجع إلى مصر لافهام الناس ـ وخصوصاً أعضاء الجمعية التشريعية ـ بكل ما هو حاصل هنا من الاتفاقات بين ألمانيا ورجال الدولة بالنسبة للتجريدة ، وأن الغاية طرد الانجليز لا احتلال البلاد ، ويأخذ معه صورة من منشور الخديو وصورة من إعلان السلطان للجهاد (وسننشر صور هذه المنشورات فيما بعد)

أما مهمة (د. افندى) بسويسرا فهى أن يقيم فى جنيف ، ويتقابل مع موسيو زجرلر الألمانى ، الذى كان واسطة فى إرساله إلى الاستانة ، ويتفق معه على خدمة المسألة المصرية ، ثم ليعلمنا الأخبار غير السارة عن انهزام الجيوش الألمانية والنمساوية ، أو طلب مفاوضات الصلح مما لا تذيعه جرائد الاستانة ، وليكلم قنصل إيطاليا ويعطيه التأكيدات اللازمة بعدم التخوف من حركة المصريين وتركيا فى مصر ، ويفيدنا عما يصل إلى سويسرا من أخبار مصر ، أى أن مهمة (د. افندى) هى أن يقفنا على ما لا يمكن أن نقف عليه فى الاستانة ، وقد وضعنا لكل هذه الحالات اصطلاحات .

وقد أوصى أفندينا (م . افندى) بأن يكون كل ما يكتبه لمصلحة مصر قبل كل شيء ، وأخذ معه صورة فرنسية من المنشور الخديوى ، بحيث لا ينشرها إلا عندما تصل إليه برقية من عندنا ؛ كما نبهنا على اسماعيل لبيب بك بذلك ، وقد أخذ معه ألفاً وخمسمائة نسخة من المنشور باللغة العربية .

وفى ١٩ منه لم يستطع (ى. بك و م. افندى) السفر إلى أوربا ، وذلك لتأخرهما عن اليقظة مبكرين ، وقد حضر بعد ظهر اليوم ثانيهما إلى سراى ببك ، وعرض على الخديو أنه كتب حديثاً باللغة الفرنسية عن أحوال مصر ، وكان قد خصصه لمسيو شويدلر الألمانى ، باعتباره محرراً فى (عثما نيتشرلون) ، وباعتباره وكيلا لشركة وولف التلغرافية الألمانية ؛ ولكنه فكر فى إيصاله أيضاً إلى الشركه العثمانية التلغرافية ، فصرح وكيل هذه الشركة — وهو عثمانى — بأن فى هذا الحديث نقطة خطيرة ، وهى النص على ضرورة المحافظة على فرمان تولية الخديو الحالى؛ وفضل أن يرجع إلى الصدر الأعظم ، وطلعت بك فى قبول نشر أو رفض هذا الحديث بواسطة الشركة العثمانية . وقد أظهر أفندينا عدم الاهتمام بهذا التردد من جانب وكيل الشركة العثمانية .

فى ١٧ نوفمبر حضر إلى سراى جبوقلى (م. افندى و ى. بك) وقد أمر سموالخديو أن تؤلف جلسة منهما ومنى والدكتور سيد كامل لعمل شفرة يأخذ منها (د. افندى) نسخة لاستعمالها فى مهمته بسويسرا ، وتبقى أخرى عندنا . وقد وضعنا فعلا هذا القاموس

وفى ٢١ منه قال سموه : « لقد أعطيت كلمتى فى نفس سفارة ألمانيا أن أسير بالصراحة مع العثمانيين . »

ولايضاح هذا أذكر أن سموه اجتمع فى يوم من الأيام العشرة الأخيرة من شهر سبتمبر الماضى فى السفارة مع أنور باشا ، فتعاهدوا جميعاً على أن يسيروا بالاتفاق والصراحة ، إذ كان السفير قد عرض إرسال تجريدة عثمانية على نفقة الحكومة الألمانية إلى مصر . وقد قبل أنور باشا هذا العرض .

وحدث فى جلسة أخرى بين سمو الخديو، وأنور باشا فى سراى بيك ، أن كشف سموه عن تحرشات الصدر ، وسعيه للاساءة إلى سموه ، فمد أنور باشا يده لجنابه العالى معاهداً له على أن يكون فى خدمته فى كل شىء ، وأنه وإن لم يكن ناظراً للداخلية أو الخارجية ، فان كل شىء يحتاج إليه سموه يكفى أن يخبر به أنور باشا وهو يقضيه له .

وفى ظهر ٢٥ منه حضر مسيو باول ، وهو الذى جاء بالأمس من برلين، وقد كان ترجماناً أول بالسفارة الألمانية مع البارون مارشال سفير ألمانيا فى عهد السلطان عبد الحميد ، وقد تعين بعد قنصلا لدولته فى بيروت ، ثم تعين مديراً للبنك العقارى بمصر . وكان سموه يثق به تمام الثقة ، ويذكر أنه جاء إلى مصر، فما خدم مصالح البنك الذى هو مديره أكثر مما خدم مصالح سموه ؛ أما سبب حضوره إلى الاستانة فهو أن سموه أمر يوسف صديق باشا بتكليف البنك الشرقى الألمانى باستدعاء المسيو باول هذا من ألمانيا ، فأرسل البنك المذكور تلغرافاً يخبره فيه بأن الجناب العالى يطلب حضوره إلى الاستانة ؛ ولكن هذا التلغراف لم يصل ، وقد ظن سموه من عدم وصول هذا التلغراف إليه، أن الحكومة التركية أرادت أن تمنع وصول المسيو باول؛ إن لم تكن قد أرادت أن تقطع علاقات سموه مع الخارج . أما حضور المسيو باول إلى الاستانة فكان لمجرد المصادفة ؛ ذلك لأن الحكومة عينته فى هذه الأيام قنصلا لدولته فى دمشق . ولم يعرف ما جرى من الحديث بين الخديو وبين مسيو باول فى هذه الزيارة ؛ ولكن سموه ذكر فى أثناء تناول الغذاء ، أنه وجد مسيو باول لا يعرف شيئاً مما حدث له ، وأن سموه لم يرد أن يعلمه بشىء منه .

وفى أول ديسمبر قابل مسيو شويدلر مدير شركة وولف الألمانية بالاستانة الخديو ؛ ومما علمناه منه أنه كتب بالأمس قطعة فى جريدة « الأوسمانيشر » الألمانية عن زيارة سموه لسفير ألمانيا ، فرفضت المراقبة العثمانية على المطبوعات والجرائد نشر

هذه العبارة من الكتابة ، وهى عبارة « حقوق مصر » ، وأن الأتراك لايحبون أن يقرأ الشعب العثمانى اسم الخديو ؛ ومما رواه أيضاً أنه كتب بايعاز من سفير ألمانيا مقالة عن مهمة المارشال فون درجولتز ، وهذا المارشال تعين ليكون ياوراً لشخص السلطان ، وزكى باشا الذى كان قومندانا للحملة الزاحفة على مصر تعين ليكون ياوراً لجلالة أمبراطور ألمانيا ، وهذا التعيين حسب التقاليد القديمة بين «دولتين متحالفتين» ، فآثرت مراقبة المطبوعات العثمانية حذفها برمتها أيضاً .

وأبدى مسيو شويدلر تخوفه من سياسة الأتراك بالنسبة لمصر ، فقال ، (وهو رأيه الشخصى بالطبع ؛ وربما كان أيضاً الرأى الذى يقال فى سفارة ألمانيا) : إن الأتراك متى دخلوا مصر ، فأول ما يعملون هو طرد الانجليز من وظائفهم ، وإحلال رجال الاتحاد والترقى من الأتراك فى هذه الوظائف ، وأن هذه الحالة ستكون سيئة لأنه يفضل أن يتعامل مع موظفين انجليز من أن يتعامل مع موظفين أتراك ؛ لأن الأولين وإن كانوا غلاظاً فى المعاملة إلا أنهم شرفاء ، أما الأتراك فتغلب عليهم الرشوة ، ثم قال : إن مركز الخديو بعد دخول الأتراك مصر لا يكون أحسن مما كان قبلا ، بل إنهم قد لا يرغبون فى الخديو ؛ وقد لبث المسيو شويدلر مع الخديو نحو نصف ساعة .

وفى ٣ منه سمعت من صديق باشا أن سمو الخديو افتكر فكرة هامة جداً ، ترضى الألمان وترضى الأتراك وترضينا ، وقال : « عسى أن يحضر اليوم طلعت بك والمسألة تنتهى فى عشر دقائق . »

وفى ٦ منه حضر يوسف باشا وأبلغ سموه أنه علم من جاويد بك أن طلعت بك وخليل بك سيزوران سموه « فى بحر هذا الاسبوع » ، وعند ذكر العبارة الأخيرة ضحك سموه ضحكة السخرية ؛ لعدم تحديد يوم . واستمر يوسف باشا فى روايته عن جاويد بك ، فقال : إن البك المذكور قال له بأن الغلطات الماضية لن تعود ، وأن الحالة تغيرت لأن سفير ألمانيا يتكلم الآن فى هذا الموضوع باسم حكومته .

وقد ذهب يوسف باشا لمقابلة عماد الدين بك فى منزله ، فأظهر له البك أنه من المصلحة والأوفق ألا يكون هناك حجاب بين الصدر وبين الخديو ؛ وأنه يحسن أن يتقابلا ويتزاورا ليزول كل سوء تفاهم .

وفى ٧ منه جاء طلعت بك ناظر الداخلية ، وخليل بك رئيس مجلس المبعوثان

وتشرفا بمقابلة الجناب الخديوى ، ولبثت الزيارة من الساعة الثالثة إلى الساعة الرابعة بعد الظهر .

وظهر فيما بعد أن موضوع المحادثة كان خاصاً بكدر سمو الخديو، فأكدا لسموه أن إحساسهما نحوه لايتغير ، وطلبا منه أن يزور الصدر .

وفى ٩ منه ذكر الدكتور سيد كامل لشويدلر أن طلعت بك ، وخليل بك زارا سمو الخديو ، فأظهر سروراً عظيما وقال : إن مسيو باول الذى زار الخديو يتكلم مع سفير ألمانيا بشدة عظيمة ، ولمصلحة الخديو ؛ وأنا أرى أن زيارة طلعت بك ، وخليل بك هى نتيجة محادثة ومسعى مسيو باول لدى السفير .

الحملة التركية على مصر. فى ١٨ سبتمبر اجتمعنا مع سمو الخديو ، فقال : «إن الأتراك يعملون أعمالا هامة اليوم لتجهيز الحملة على مصر ، ويمدون الخط الحجازى إلى حدود مصر ، ونحن إذا لم نقم بأى عمل ، فعند الحساب يقولون إنهم هم الذين قاموا وحدهم ، وطردوا الانجليز ، فنخسر كثيراً من امتيازاتنا . فيجب عمل برنامج للسير على موجبه ؛ وإننى آسف لخروج أركان الحزب الوطنى من مصر ، وحضورهم إلى هنا ؛ مع أن العمل هناك ؛ ثم يحسن بنا أن نستدعى أحد أقطاب حزب الأمة للاتحاد مع رجال الحزب الوطنى لعمل هذا البرنامج .» فوافقنا جميعاً على ذلك ، فاقترح يوسف صديق باشا استدعاء سعد زغلول باشا ؛ ويكون حضوره بحجة الشكر لجناب الخديو على تعزيته ؛ ثم يحصل اجتماع تحت رياسة أفندينا لرسم الخطة اللازم اتباعها ، وتناقشنا فى الموانع التى تعوق حضور سعد باشا ، ومنها قرب موعد افتتاح الجمعية التشريعية ، ومنها أن الانجليز ربما يمنعونه من الرجوع لمصر بعد حضوره .

وحصل الكلام أيضاً فى عبد الحميد سعيد ، نجل ابراهيم سعيد باشا؛ لأن له نفوذاً بين الشبان المنتمين للحزب الوطنى ، وأن محمد فريد بك نفسه يحسب له حساباً ، وقد حضر من مصر مع آخرين من الحزب ، خوفاً من اضطهاد الانجليز لهم .

وفى ٢٠ منه رأى محب باشا علامات التفكير الشديد على الخديو ، فسأله عن السبب ؛ فقال : أفكر فى حالتنا الحاضرة ؛ أرى أن الأتراك يجدون فى التحضيرات ، فان أنور باشا قال لى إنه سيطلب مد خط السكة الحديد الحجازية لغاية حدود مصر ؛ ولكن بلغنى أن مجلس الوكلاء رفض ذلك لعدم وجود نقود ، فان الموجود منها يحتاج له الحال فى أمور أخرى أهم من ذلك .

وفى ٢١ منه بناء على أمر الخديو توجه عارف باشا لأنور باشا ، فعلم منه أن كل شيء سائر على ما يرام. وأن هيئة من ضباط أركان حرب تحت رياسة أحد ضباط ألمانيا الأكفاء سترسل إلى الشام ، لعمل المباحث والترتيبات للحملة على مصر ؛ وأن جميع الاتحاديين مع الجناب العالى قلباً وقالبا .

وفى ٢٤ منه قابل الخديو الشيخ عبد الحميد الزهراوى رئيس المؤتمر العربى فى باريس سابقاً ، وهو من أعضاء مجلس الأعيان بالاستانة ، وأصله سورى ، فسأله سموه عن سفر شكيب أرسلان بك ، وعبد الرحمن يوسف باشا ، فأجاب بأنهما سافرا براً ولم يعلم السبب ؛ وإنما قال إنهما غير مندوبين من طرف الحكومة ، وأن الأول لا يمكنه تحريك العربان ، اللهم إلا إذا كان إرساله لتهدئة خواطر الجبليين ؛ أما الثانى فلا علاقة له بقبائل البدو؛ وأما من جهة ما سمعه أفندينا بأن هؤلاء العربان تعهدوا باحضار عشرين ألف جمل ، فقد قال الزهراوى — هـذا ممكن بسهولة ؛ وإن الدولة لا يمكنها أن تقوم بأعمال حربية جدية إلا إذا اشترك هؤلاء العربان مع جيشها .

وفى ٢٢ سبتمبر بلغنى أن سفير انجلترا لما تكلم مع الصدر الأعظم واعترض على تجاوز فرسان العرب حدود مصر، وتمضية يومين، ورجوعهم ثانياً، أجابه الصدر : أى حدود تتكلمون عنها ؟ أنا أعرف أن لا حدود بيننا وبين مصر .

وفى ٥ اكتوبر حضر محمد عزت باشا زوج فائقة هانم ؛ وأخبر الخديو أنه قابل سفير ألمانيا، وعلم منه أن الدولة تتباطأ فى الزحف بجيشها على مصر، فوجد سموه فى هذا الخبر مخالفة لما يقوله الاتحاديون ، من عزمهم على إخراج الانجليز من مصر .

وذكر أن السفير متذمر من عدم تسيير حملة عسكرية عثمانية بسرعة على مصر ويقول إن الوقت حان لسفرها، وقد عرف سموه أن الحكومة الألمانية تود الاسراع فى هذه الحملة ، ليخف ضغط الجيش المحارب أمامها فى فرنسا .

وفى ١٢ اكتوبر حضر طلعت بك وزير الداخلية التركية فى بيك ، وزار الخديو فساله عن الوقت الذى ستتحرك فيه الحملة على مصر، فأجابه : بعد ثلاثة أسابيع. فقال سموه : إذا كانت الدولة لا تنوى السير الآن، فأنا أتوجه للضلمان . فقال طلعت: لا مانع ، وعند تحرك الحملة نطلب سموكم للحضور .

وفى ١٧ اكتوبر حضر البرنس ابراهيم باشا حلمى ، وأخبر الخديو أنه تغدى

أمس عند الصدر، وحرك فيه دم أجداده، فقال له : إنك يا برنس هنا على رأس الحكومة العثمانية التى فقد فيها رأس جدنا ، وها هم أولاء الانجليز محتلون القلعة التى فيها قبره، وما أمكنك أن تعمل فيها شيئاً .

فهاج هذا الكلام إحساسه وقال له : أما قولة فاننا فى مخابرة مع البلغار على أن نستردها منهم مقابل جهة أخرى نأخذها من الأروام . وأما الانجليز فاننا سنعمل لا محالة على إخراجهم، ولكن لم يحن الوقت لذلك . وعلم منه أنه إذا زحف الأتراك على مصر فانهم يحتلونها ، ولا يخرجون منها كأنها ستتخلص من احتلال بريطانى ، لتقع فى احتلال تركى ؛ وهذا ما لا ترضاه الأمة المصرية .

وفى ٢٣ منه بعد انصراف المدعوين من المأدبة التى أقامها عباس لرجال الحزب الوطنى ، عقد سموه جلسة من فريد بك واسماعيل لبيب ويوسف صديق وابراهيم أدهم الياور وصاحب هذه المذكرات . فقال محمد فريد : إن سفير ألمانيا قال له إن الجيش التركى مجهز تجهيزاً حسناً من ملابس وغيرها ؛ ولكن ينقصه التعليم العسكرى اللازم ، ولذلك لا يرى فى الامكان عمل شىء قبل ثلاثة أسابيع ، حتى تتمرن العساكر ، وحتى يمكن القيام بعمل نافع .

وقد ظهر هذا النقص للميرالاى كريس الألمانى ، رئيس أركان حرب الحملة . ومعه ستة ضباط ألمانيون آخرون .

تقرر سفر الشيخ محمد عثمان إلى خان يوسف ، وهى قرية فى الأراضى العثمانية قريبة جداً من العريش .

ذهب عارف باشا على رفاص « مكوك الشالث » الذى أهداه أفندينا إلى حرم أنور باشا لتسليمه ، وقد تقابل مع ناظر الحربية ، فسمعه يقول : إن الدولة تسعى لعمل اتحاد دولى إسلامى ، فهى تعمل على تحرير العجم والأفغان من الروس والانجليز، وتحرير مصر من الانجليز ، وإيجاد رابطة أخوية إسلامية بين الدولة وهذه الممالك ، ويكون الخديو ملكا على مصر حراً فى الادارة .

قال أنور والذين يتساءلون : لماذا لا يتحرك الأتراك لتحرير مصر فى الحال ، نجيبهم أن مصر بلد متمدين وراق عامر بالبيوت الشامخة ؛ فنريد نحن الأتراك ألا نتعجل فى أمر تحريرها بالتخريب ، وأن نصل إلى ذلك بكل تأن حتى نتمكن من إرجاعها لخديويها كما كانت عند ما تركها بدون خسارة .

سأل سفير ألمانيا فريد بك عن فهمى بك بعد أن أثنى عليه ، فأجابه : بأننا كلنا متفقون مع أفندينا ، فقال السفير : أنا مسرور لاتحادكم جميعاً . وأكد أن ألمانيا تريد تحرير مصر ، ولا تريد أن تكون ولاية عثمانية .

وفى ٢٧ منه اجتمعت مع فريد بك بعد ظهر اليوم فى منزله ، وكان معنا اسماعيل لبيب بك ، والشيخ جاويش ، والدكتور سيد كامل ، فتحادثنا فى الحالة الحاضرة ، وخصوصاً فى ضرورة تفاهم الدولة العلية وألمانيا مع إيطاليا ، وفى ضرورة إصدار إرادة شاهانية للمصريين ، تعلن فيها أنها لا تنوى احتلال مصر ، بل إرجاع السلطة الخديوية كما كانت قبل الاحتلال الانجليزى ، وقال الشيخ : إن غاية الأتراك إيجاد اتحاد دولى إسلامى .

وفى ٢٨ منه لم يجد أفندينا الصدر فى منزله ، وزار سفير ألمانيا ، وسرّ عندما علم منه أن حكومته قبلت ما اقترحه أفندينا ، من أن قنصل ألمانيا العام فى مصر الذى طرده الانجليز ، يكون فى معية سموه عند دخول الحملة فى مصر ، لأن الخديو كان يخشى على نفسه لو احتل الأتراك مصر .

وكذلك حضر اليوم سفير ألمانيا لزيارة أفندينا فى ببك ، وأعلمه أن حكومته توافق على أن ممثلها فى مصر يكون فى معية سموه ، إذا لم تمانع الدولة العلية فى ذلك . وبالاختصار فان سموه كان منشرحاً جداً .

وقابل أيضاً فى ببك فريد بك واسماعيل بك ، والأستاذ محمد فهمى ، وعلى الشمسى بك بوجودى ، وعرفهم بحوادث مصر ، وبما قاله أنور باشا لسموه ، بأن الذخيرة المخصوصة بالماهونات (لقذف القنابل) اللازمة لعبور الأتراك من القناة لم تصل إلى المعسكر ، لأنها فى الطريق عند جبل طوروس ، وأن المنظور أن تبتدىء الحركة بعد أسبوعين أو ثلاثة .

وذكر فى هذه الجلسة ما يشاع من أن الانجليز سيختارون الأمير حسين كامل خديوياً على مصر ، عند زحف الأتراك عليها .

منشور الخديو لرعاياه مصريين وسودانيين : فى ٣١ أكتوبر اجتمعنا عند فريد بك بحضور الشيخ جاويش ، واسماعيل لبيب بك ، والدكتور سيد كامل ، وتكلمنا فى المسائل الحاضرة ، ومنها الدعاية اللازم تنظيمها ، وخصوصاً وضع المنشور الخديوى للمصريين ؛ فوعد الشيخ جاويش باعداد مشروع ، وكلفنا الدكتور سيد كامل بوضع مشروع من قبله .

وفى أول نوفمبر أرسل الشيخ جاويش صورة مشروع للمنشور الخديوى، فاجتمع فريد بك ، واسماعيل بك ، ويوسف صديق باشا ، وأنا ، ونقحنا صورة أخرى كان الدكتور سيد كامل أعدها ، وهى مرتبة ، مكتوبة بطريقة سياسية .

وفى ٣ نوفمبر أقر أفندينا مشروع الدكتور سيد كامل ، وأمر بترجمته إلى التركية وإلى الفرنسية .

وفى ٥ نوفمبر قابل فريد بك أنور باشا ، فعلم منه أنه موافق على ما جاء فى منشور الخديو ، وسأل فريد بك عما إذا كان يخشى أن يطلع زملاؤه عليه ، فقال فريد بك إن اطلاعه هو كاف .

وفى ٧ نوفمبر اجتمعنا عند فريد بك، وكان معنا اسماعيل لبيب والدكتور سيد كامل، وتكلمنا فى المنشور الخديوى . فكان من رأيى واسماعيل لبيب أن ننتظر ورود الأخبار الصحيحة من مصر عن تعيين البرنس حسين كامل ، حتى ندرج ذلك فى المنشور ، واتفقنا على أن نتكلم مع أفندينا فى هذه النقطة .

وقلت «لا يمكننا أن نطبع منشور أفندينا وننشره » فقال فريد : « وأنا أرى من الضرورى العمل فى نشره وتوزيعه » فقال سموه : « وكيف يكون ذلك وفيه إشارة بأننى سأسير مع الحملة ، مع أننى لا أعرف عنها شيئاً من ذلك للآن ؟ » وأخيراً اتفق على أن ينشر بلاغ نعلن فيه مسألة وجود أفندينا بالاستانة ، ومنع الانجليز له من الرجوع لمصر ، ومخابرة السفير له ، ورد سموه ؛ إنما تؤجل كتابة ذلك حتى يقابل الخديو أنور باشا ، ويسأله أسئلة حاسمة .

وفى ٩ نوفمبر قابل فريد بك الخديو ، وعرض عليه فكرتين: أولاهما طبع المنشور الخديوى حالا ، وهو المنشور الذى تقرر إرساله باسم الخديو إلى مصر، وإلقاؤه بواسطة الطيارات ، وغيرها

والثانية عمل حديث صحفى يتناسب مع الظروف الحاضرة ، فقبل سموه . ولما كنا أحضرنا « ماكينة رونيو » لطبع المنشور ابتدأ الدكتور سيد كامل فى تجربتها ، وعرض المسودة على الخديو

وفى ١١ نوفمبر كتب الدكتور سيد كامل أول نسخة من المنشور الخديوى ، ولما أتمه قدمه للخديو بوجودى ، فوقعه بالقلم الزجاج ثم قال ضاحكا : « ألا تخشى يا سيد ،

وأنت الذى كتبت المنشور بخطك، أن يقتلوك رمياً بالرصاص؟ ، فأجاب بالدعاء لسموه وللأمة المصرية بتحقيق الأمانى . ولما نزلت والدكتور سيد كامل لطيعه ، قلت : « إن أفندينا يفكر فيك وأنت كاتب المنشور ، وقد استحيت أن أقول لسموه : « وأنت يامولاى الذى وقعته؟» إشارة إلى أن سموه بتوقيعه فى هذا اليوم ، أمضى مستنداً من الخطورة بمكان عظيم . أما القلم فأخذه اسماعيل لبيب تذكاراً لهذا الحادث العظيم .

الدكتور سيد كامل

وكان الخديو قد تردد فى التوقيع الذى وضعه الدكتور سيد كامل فى آخر المنشور ، وهو خديو مصر والسودان وتساءل: أهذا اللقب صحيح، أم أنه « حاكم السودان العام » كما جاء فى الفرمانات .

فقال الدكتور سيد : « نضع هذا اللقب مؤقتاً، إلى أن يتحول قريباً إلى « ملك مصر والسودان » وهاك صورة المنشور :

إلى أبنائى الأعزاء من المصريين والسودانيين :

لا يخفى عليكم أن دولة أجنبية تحتل بلادى العزيزة منذ اثنتين وثلاثين سنة . وقد دنا الآن يوم الخلاص الذى طالما نشدتموه . . إن العهود الرسمية العلنية التى قطعتها انجلترا جعلت للاحتلال صبغة وقتية ، تزول بزوال الحجة التى توسلت بها إليه ، وهى توطيد عرش الخديو . ولكن هذه الحكومة لم تقتصر على تناسى وعودها المكررة بالجلاء عن البلاد ، بل تدخلت فى الشئون الادارية والسياسية ، فبددت أموال مصر ، وأنكرت حقوقنا الشرعية على السودان ، وأحلت فى وظائف الحكومة الانجليز محل أبناء البلاد ، وعبثت باستقلال القضاء ، وسنت قوانين قيدت بها الحرية الشخصية ، وحرية الأفكار والأقلام ، وعقلت الألسن ، ومنعت الاجتماعات ، وحالت دون رغائبنا ، وتمنيات شعبنا ودون نشر التعليم والتربية . ولم تقف عند هذا الحد ، بل أبت علينا التمتع بنظام دستورى يتفق مع مقتضيات النهضة العصرية .

ولما نشبت نار الحرب بين الدول الكبرى ، رأت الحكومة الانجليزية أن تمنعنا

من العودة إلى مصر التى هى قاعدة إمارتنا، مقترحة علينا أن نغادر الاستانة إلى إيطاليا، فرفضنا اقتراحها هذا؛ لأنه فى اعتبارنا ماس بحقوق عرشنا، علاوة على أن تركيا صاحبة السيادة العليا على مصر، عدته عملا مخالفاً للفرمانات الشاهانية. ولما كان جلالة الخليفة وحكومته راغبين فى جعل هذه الفرمانات الشاهانية محترمة مصونة، لخير أبناء مصر والسودان، رأى أمير المؤمنين أن يرسل إلى مصر جيشاً عثمانياً قوياً لاعادة الحالة فيها إلى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢.

أما نحن فقد وطنا النفس على الاشتراك فى هذه الحملة التى هى الآن فى الطريق، بحيث نظل ملازمين لها إلى أن يعقد الظفر بألويتها. ففى استطاعتكم إذن أن تمهدوا السبيل إلى هذا الظفر باتحادكم ومساعدتكم. وينبغى لكم أن تهونوا الأمر على هذه الحملة، وتؤيدوها بكل وسيلة مستطاعة، وتقدموا لاستقبالها بالترحاب والحمية الوطنية المأثورة عنكم، مستمدين الوحى من روح التضحية الراسخة فى نفوسكم، وتعلقكم الصادق الشديد بجلالة الخليفة، وصدق ولائكم لنا، وحبكم للوطن العزيز.

ولما كنا واثقين بالنجاح بفضل العناية الإلهية، فنحن خديو مصر والسودان نعلن منذ الآن نظام الحكم الدستورى المؤيد لحقوق الشعب السياسية، وإلغاء القوانين المقيدة للحرية، وإعادة الضمانات اللازمة لاستقلال القضاء، والعفو العام الشامل عن الجنايات والجرائم السياسية. ونجاهر أيضاً بعزمنا على نشر التعليم بين طبقات الشعب، والسير بالبلاد فى طريق النجاح الأدبى والمادى، وبالاجمال اتخاذ جميع الوسائل المؤدية إلى توفير أسباب الأمن والسعادة لجميع سكان مصر والسودان.

أبنائى الأعزاء من مصريين وسودانيين: لقد سنحت الفرصة، فاغتنموها؛ وليكن شعاركم خلاص مصر وصون أرواح الأجانب وممتلكاتهم، فخصمنا الوحيد هو جيش الاحتلال وأعوانه. وليكن الله الكلىّ القدرة عوناً لنا على تحقيق أمانينا القائمة على الحق والعدل والحرية.

وفى ١١ نوفمبر جاء مسيو فايس الألمانى، وقابل الخديو؛ وكان سموه قد كلفنى ويوسف صديق باشا أن نضع صورة محادثة ننشرها فى الجرائد الألمانية تلغرافياً، وقد كان، وتسلم الكتابة. وكذلك أخذ ترجمة المنشور الخديوى.

وفى ١٣ منه قال أفندينا لما كلمنى فريد بك فى موضوع المنشور: منذ أسبوع كنت ميالا للسرعة فى كتابته حتى نعلم رأى الأتراك فى النقط المذكورة فيه، لأننى كنت

أشك فى نياتهم وقتئذ ؛ ولكن الآن فهمت أنهم يريدون أن أرجع إلى مصر بشرط ألا يكون فى رجوعى مشاركة لهم فى الفخر الذى يريدونه لأنفسهم دون سواهم » بتجريد الحملة العثمانية ، فالآن إذا لم تنجح ، وإذا لم تفز ألمانيا فى الحرب ، تكون النتيجة محاكمتنا على هذا المنشور، ثم ضحك سموه ، وظهر أنه لا يعتقد كثيراً فى صحة الأنباء التى سمعها اليوم .

وكذلك صرح بضرورة سحب أربع نسخ كان قد أخذها فريد بك وإخوانه ، وقال إنه لا يشك فى طهارة ذمتهم ، ولكن الاحتراس واجب ، وشدد على الدكتور سيد كامل فى المراقبة على ما طبع من نسخ المنشور .

وفى اليوم نفسه قال سموه : إن الأتراك غير راضين عن منح الأمة المصرية الدستور الذى منحناه لها فى المنشور الخديوى ، لأنهم يرون الدستور أكبر معارض لهم . والواقع أن حرية الأمة هى أكبر معارض لاحتلال العثمانيين ؛ غير أن الأتراك إذا كانوا يعارضون فى حريتنا ، فنحن نكره ذلك منهم ؛ لأننا لا نحب أن يحل احتلال محل احتلال . ثم قال : إذا لم تنجح الحملة ، فليس من المستبعد أن نستطيع الحصول على استقلالنا الداخلى وحريتنا من جانب الحكومة الانجليزية .

وفى ١٤ منه قال الخديو إن هناك فكرة ترمى إلى إرسال عدد كبير من المنشور الخديوى للأمة المصرية والسودانية ، لتسليمها إلى اسماعيل لبيب بك ، حتى يذيعها على الحدود المصرية . ولكن سموه قال إن النيات هناك بالنسبة لنا غير ظاهرة تمام الظهور ، فيحسن أن ننتظر مدة من الزمن فلا نتعجل بتوزيع هذا المنشور ، لأنه من المحتمل أن تتم المفاوضات الجارية الآن بالصلح بين الدول المتحاربة ؛ وأصدر التعليمات إلى اسماعيل لبيب بك بأن يتأهب للسفر غداً .

وفى المساء تناول اسماعيل لبيب بك ، وفريد بك العشاء على المائدة الخديوية ، وبعد المناقشة فى الموضوع سلم سموه أولهما ألفاً وخمسمائة نسخة من المنشور .

وفى ٢١ منه لم يلبث الخديو أن غير فكره ، فصدر الأمر بارسال برقية إلى القائمقام توفيق فهمى بك الياور الخديوى ، بأن يتسلم الحقيبة التى بها نسخ المنشور الخديوى من اسماعيل لبيب بك ، وصدر إلى هذا الأخير أمر بتسليمها ، وبانتظار جمال باشا فى دمشق الشام ، والسير معه ، وتعريفه أن فريد بك سيلحق به قريباً .

وفى ٣٠ منه صدر الأمر تلغرافياً لتوفيق بك باحضار الحقيبة التى فيها المنشور الخديوى ، وأمر الدكتور سيد كامل بأن يحرق ما فيها بمجرد وصولها ، وأن يحرق بقية نسخ المنشور ؛ لأن ما جاء فيه بالنسبة للسلطان حسين غير محقق ، ولأن للأتراك ملاحظات على بعض نقطه .

وفى ١٢ ديسمبر أحرق الدكتور سيد كامل النسخ الباقية بطرفه .

وفى ١٣ منه عاد فى المساء أحد ضباط المحروسة ، وكان فى بعثة توفيق فهمى بك ، ومعه الحقيبة التى بها الدعوة والتى كانت أعطيت لاسماعيل لبيب بك ، فأحرق الدكتور سيد كامل أوراق المنشور التى كانت بها .

تابع الحملة التركية على مصر : فى أول نوفمبر زار أفندينا أنور باشا ، وعلم منه أنه حضرت برقية من الحدود المصرية بأن الانجليز أخلوا العريش تماماً ، وأن قائد الجيوش العثمانية يطلب التعليمات لاحتلال هذه المدينة ؛ إنما قال أنور باشا : إننا للآن غير مستعدين للزحف ، ويلزمنا أسبوعان أو ثلاثة .

وسمعت الخديو يقول إن الانجليز يستعملون كل الوسائط لكى يترك جانب الدولة ، فأرسلوا رومياً يدعى أنه نمساوى الأصل ، وأنه متوطن منذ ثلاثين سنة فى الاستانة ، ليقول لسموه إن الأتراك يريدون به الشر عندما يترك الاستانة ، قاصداً الالتحاق بالجيش (يعنى أنهم عازمون على قتله) ؛ وأرسل الانجليز أيضاً فضيلة جميل منلا لاستمالته نحوهم ، ولكن أفندينا لم يصغ لهذه الأقوال ، وصمم على الخطة التى رسمها ، وهى الاتفاق مع رجال الدولة .

وفى ٢ نوفمبر ، فى أثناء وجودى ووجود الدكتور سيد كامل والشيخ البورينى لدى الخديو ، أبدى الدكتور سيد كامل أمنية ، هى أن يرى سموه فوق رأس الجيش بصفته قائداً عاماً له . فقال سموه : إن الفكرة خطرها أكثر من نفعها ، لأنه إذا حصل فشل ، — لا قدر الله لها — فينسب ذلك إلىّ .

وفى ٣ منه أخبرنا فريد بك ، نقلا عن أنور باشا ، أن القوات التركية احتلت العريش ؛ لكن سمعنا من جهة أخرى أن الانجليز احتلوا العقبة ، بأن أرسلوا إليها مركباً حربياً أنزل مائتى عسكرى ، وهذا الخبر كدر أفندينا ؛ لأن العقبة نقطة هامة ، وسبق أن لفت نظر أنور إليها ، لأنها تهدد الحملة التركية التى ستسير من جهة

العريش . وقد قطع التلغراف البرى والبحرى من العريش قبل انسحاب القوى المهددة منها ، وهدم الانجليز بالديناميت البئر الكبيرة هناك .

وقابل عارف باشا فى هذا اليوم أنور باشا لمعرفة المأمورين الذين سينقلون عفشنا ورجالنا الآتين من الضلمان إلى محطة آيدين ، والذين سيسافرون من الأستانة إلى الحدود المصرية ، وقد عزم أفندينا على أن يرسل الشيخ عثمان ورسمى افندى للحدود هذين اليومين ؛ ليستطلعا الأخبار المصرية ، ويخابرانا حتى تزحف العساكر التركية .

وفى ٥ نوفمبر التمس البرنس ابراهيم حلمى باشا من الجناب العالى أن يأخذه فى فى معيته عند السفر إلى مصر مع الحملة التركية ، وقبل التماسه ، وقد أوصى على بدلة عسكرية ؛ كما قبل التماس على جلال باشا وسيف الله يسرى باشا لمرافقة سموه .

فى أثناء الانتقال فى الرفاص بين جبوقلى وببك عرض الدكتور سيد كامل فكرة ، مؤداها أن سفر أحد المصريين لمصر مفيد فى الوقت الحاضر : أولا ، ليدل الناس المخلصين هناك على حالتنا هنا ، ويبين لهم الطريق المستقيم ، أى الانضمام والاتحاد مع تركيا وحليفاتها ، بحيث تكون الحركة فى مصر موافقة كل الموافقة للحركة التى أقمناها فى الاستانة ؛ ومن جهة أخرى ليقابل أعضاء الجمعية التشريعية الذين يعرفهم ، ويقنع العدد الممكن إقناعه منهم ليحضروا إلى الاستانة ، ويصاحبونا فى الحملة السائرة على مصر ، فأظهر سموه عدم ثقته بحضور جماعة من هذه الجمعية ، لا للشك فى إخلاصهم ، ولكن لضيق الوقت . وحينئذ بين الدكتور سيد كامل ، كيف أننا نكسب كثيراً فى حركتنا لو كان معنا على شعراوى باشا ، وعبد العزيز فهمى بك ، وعلوى الجزار بك .

فقال سموه : هذا صحيح ، ولكن أظن أن الثانى مريض لا يمكنه الحضور ، وشعراوى باشا ربما استصغر أن يحضر مع علوى الجزار بك ، مع أن علوى بك رجل عامل ومخلص .

فقال الدكتور سيد كامل : وعلى كل حال نحن فى حاجة أن يكون معنا جماعة آخرون من غير الحزب الوطنى ، لأننى أخشى متاعبنا فى مصر ، وأن يقول فريد بك فى كل وقت : أنا الذى خلصت البلاد من الاحتلال . وفوق هذا فانه وأعوانه شديدو التعنت ، لا يرون الأمور إلا من وجهة واحدة ، ويتعصبون لها .

فقال سموه : صحيح أن فريد بك متعصب ، وأنا أصدق أنه سيكون رئيساً

للحزب الوطنى مدة عشرة أعوام، ولكن ماذا تكون قوته عندما تكون هناك أحزاب فى مجلس النواب المصرى الجديد؟

وفى ٧ نوفمبر اجتمعنا أنا وفريد ولبيب والبوريني عند أفندينا، فقال لنا سموه إنه غير مطمئن على التجريدة، لأنه لا يعرف عنها شيئاً أكيداً حتى الآن، ولا يعلم إن كانت العساكر التركية حقيقة احتلت العريش، ويخشى أن الخمسين ألف هندى، الذين وردت برقية باستعدادهم فى بمباى للسفر إلى مرسيليا، يقصدون ينبع وجده، فيسيرون ويحتلون «معان» فى سكة حديد المدينة. «وأنا حتى الآن لم أعلم هل سأرافق الحملة؟ وبأية صفة أرافقها؟ هل مثل (شرابة الخرج) أو بصفتى عاملا؟ وقد سمعت من الصدر أننى سأرافق الحملة، وقلت لطلعت بك: إذا كان الوقت لم يحن فأسافر للضلمان، قال: عند اللزوم نرسل لك للحضور. وأنور باشا يقول إن كل شيء سائر سيراً طيباً؛ ولكن كل هذا الكلام لا يعتمد عليه؛ لأنه غير رسمى، فلا وجود لارادة سنية، وليس هناك قرار من مجلس الوكلاء، ولا من جمعية الاتحاد والترقى؛ وسفير ألمانيا لا يتدخل فى المسائل العسكرية.»

وفى ٨ نوفمبر نشرت الجرائد التركية بلاغاً رسمياً قالت فيه: إن الجنود العثمانية اجتازت أمس الحدود المصرية فى جهة العريش، وأن خمس مراكب حربية انجليزية حضرت للعقبة بقصد إنزال عساكر، فصدتها الجندرمة التركية ورجال العشائر، بعد أن قتل منهم ضابط ونفر، وبعدها انسحبت.

ولما كان المنتظر زيارة الخديو لأنور باشا بمنزله اليوم، أمر سموه يوسف صديق باشا بوضع الأسئلة الآتية:

١) الاستعلام عن إشاعة تعيين البرنس حسين كامل حاكما عاماً لمصر.

٢) ما هى التدابير التى اتخذتها الحكومة فى ذلك؟

٣) ما هو مركز سموه إزاء الحملة العثمانية وموعد قيامها للحدود؟

وقد اجتمعت بسموه بعد ذلك مع فريد بك واسماعيل لبيب بك، فأخبرنا بأن طلائع الجيش اجتازت الحدود المصرية من ثلاث نقط، وهى العريش والعقبة ونقطة أخرى بينهما، وأن الطريق الوسطى ظهر أنها صالحة لسير السيارات. ولما سأله سموه عن وقت القيام مع حاشيته للحدود قال إن الوقت لم يحن؛ لأن الجيش لا يبلغ

الحدود إلا فى ٢٠ أو ٢٥ نوفمبر ، وأنه يريد أن يتأخر أفندينا عن السفر الآن حتى يجتاز الجيش قناة السويس ؛ وذلك من باب الاحتياط لذاته الكريمة، فقال سموه : إن الأوفق أن يكون دخوله مع الجيش ، وإعلانه للدستور والحرية للأمة المصرية .

ولما علمنا احتمال سفر الجناب الخديوى على رأس الحملة العثمانية التى ستزحف على مصر لاخراج الانجليز منها ، تحادثنا مع سموه فى الأشخاص الذين سيرافقونه ، فتقرر أن يكون من بين حاشيته دولة البرنس ابراهيم حلمى ، والدكتور سيد كامل وأنا ، واتفقنا على تفصيل بذلات عسكرية ، وبالفعل تسلمت اليوم من محل « اشتين » بدلة عسكرية من قماش لونه رمادى كاكى سميك ، اتقاء للبرد .



شفيق باشا ببذلته العسكرية

وفى مساء اليوم أبدى سموه رأيه فى إشاعة تعيينه قائداً ، بأنه يجب ألا تكون له القيادة لخطورتها، ولأن هذه الحملة مكونة من عناصر غير متجانسة : ففيها مندوب من جمعية الاتحاد ، وهو اسماعيل حقى بك ، وضباط موالون لهذه الجمعية ، وآخرون معارضون لها ، وضباط ألمان . فاذا أضيف إلى ما تقدم أن مدافع الأسطول الانجليزى ، على ما يظهر أقوى من مدافع الحملة ، اتضح أن قيادة الحملة أشد ما تكون خطراً ، ثم قال : يلزم أن نكون إزاء هذه الحملة بحيث لا تكون لنا قيادة العربة ، ولا نكون عجلة خامسة ، ولكن نكون بين بين .

وفى ٩ نوفمبر توجه سمو الخديو إلى الصدر الأعظم يهنئه بتعيين شقيقه الأمير عباس حليم ناظراً للأشغال . فلما بدأ الصدر الكلام ، سأل أفندينا عن الوقت الذى سيسافر فيه للالتحاق بالحملة ، فأجابه بما قال أنور باشا ، فقال الصدر : إن تأجيل السفر حتى يعبر الجيش القناة ، إنما هو من باب الاحتياط ؛ ولما فاتحه الخديو فى إشاعة تعيين الأمير حسين كامل على مصر ، قال : إن الاستعلام من السفارات أمر لا يفيد . ثم قال : «انتظر يا جناب الخديو ما يحصل من حسين باشا» ، وانتقد الصدر الأمير حسين انتقاداً مراً . وقد قال لنا الخديو : إن الصدر — بهذه المناسبة — لعن أجدادنا ، قائلا : «إن هذا الفرع بطال» . (يعنى فرع اسماعيل) .

تقابل يوسف صديق باشا مع شوكت باشا ، وتكلم معه فى صدد تكوين هيئة من كبار الاتحاديين لتعضيد الخديو ، فوعد بالتفكير فى ذلك وقال : إن فى إمكانه الحصول من السلطان على أمر تعيين الخديو قائداً للحملة العثمانية .

وفى يوم ١٠ نوفمبر ، قال يوسف صديق باشا : إن عارف باشا توجه يوم الثلاثاء لمقابلة مدحت شكرى بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقى ، وتكلم معه فى شأن إهمال التكلم مع الخديو فى مسألة الحملة على مصر ، والاتفاق معه على نتائج هذه الحملة ، فرد البك قائلا : صحيح صحيح ، إن هذا إهمال ، وسأجمع الجمعية لهذا الغرض

وفى ١١ نوفمبر اجتمع الخديو بفريد بك ولبيب بك وبى ، وأظهر استياءه من رجال الدولة ، وتركهم إياه والتجريدة سائرة بدون علمه ؛ وتساءل عما إذا كان مايشاع عن العمل لتعيين الصدر خديوياً بدله صحيحاً .

وفى ١٢ منه قابل يوسف صديق باشا شوكت باشا ، فقال له : ما على الخديو إلا أن يحدد اليوم الذى يرغب فيه السفر إلى الحدود ، وهو يحصل لسموه على الأمر الشاهانى ، بتوليته قيادة الحملة . ولكن الخديو غير ميال بتحديد اليوم ، ويقول : إن الأمر بين يدى الحكومة العثمانية ، فان أرادت فعلت ؛ أما السلطان فليس بيده شىء .

وقد حضر فى الساعة الخامسة مدحت شكرى بك سكرتير جمعية الاتحاد ، ومعه الدكتور ناظم ، إلى قصر بيك ، بناء على الكلام الذى حصل بين الأول وعارف باشا ويوسف صديق ، وتقابلا مع أفندينا ، وأعطياه أخبار الحرب فى قفقاسيا ، وبما أن سموه قد سمع انتقاداً على سكون المصريين ، وعدم قيامهم ضد الانجليز ، ولما يعلمه من أن الأتراك أرسلوا كثيراً مما يسمونه عصابات وأسلحة وذخائر ، سألهما : ولماذا لم يحصل

ثورة من الجراكسة ؟ فأجاب مدحت بك ، بأن الأهالى والعصابات فى سكون حتى يدخل الجيش التركى فى بلادهم ، لئلا يصيبهم ضرر .

قال أفندينا : كما يفعل المصريون ؟

فقال مدحت بك : نعم !

ولما حدثهما سموه عن مسألة مصر ، قالا إنهما تكلما مع طلعت بك ، فقال لهما إنه لا ينسى أن يتكلم مع أفندينا عندما يأتى الوقت ، ويقرب سفر سموه للعودة إلى بلاده.

وفى ١٣ نوفمبر ، نشرت جرائد الآستانة حديثاً لسمو الخديو مع المسيو فايس ، ولكن لاحظنا أن الجملة المختصة بمرافقة سموه للحملة ، قد حذفت بأمر الحكومة العثمانية ، كما أنها حذفت فى تلغراف فايس الذى أرسله إلى جريدته .

أما ما يتعلق بسير سموه مع التجريدة ، فأفندينا يقول : الظاهر يدل على أن الحكومة العثمانية لا تريد أن يكون دخول سموه مع الجيش العثمانى . ومن حديث سموه مع السيد افندى ، يعلم أنه يعتقد بأن قيامه من الآستانة لا يكون إلا عقب اجتياز قناة السويس .

وفى ١٥ منه تقرر ، بناء على إلحاحى ، أن يسافر يوسف صديق للالتحاق بالأمير محمد على باشا فى أوربا ، والمرور على روما وبرلين ؛ لاستطلاع آراء الدول الثلاث بالنسبة للتجريدة ، والوثوق التام بأنها لا تمس الفرمانات الشاهانية .

قابل الصدر دولة والدة الخديو ، وقد جاء ضمن حديثه معها ما يأتى :

إنه بعد إعلان الجهاد ، لا يصح أن الأمير محمد على يبقى فى البلاد الأجنبية ، وإلا فاننا نصادر أملاكه فى مصر . وهذه جرأة متناهية ، وخصوصاً لسيدة يجب احترامها .

ولما سمع أفندينا ذلك قال : وبأى حق يمكن الصدر أن ينفذ ما يقول ؟

ومما قاله الصدر كذلك للبرنس ابراهيم : إن الجيش الزاحف على مصر جيش عربى ؛ فاذا كان المفهوم عند الخديو وعند فريد بك أن مصر للعرب ، فانى أخشى حينئذ من اتفاق يحصل بين العساكر الشامية والخديو والمصريين ؛ ولهذا لا يصح أن يكون الخديو مصاحباً للجيش العثمانى ، وإنى أبذل جهدى الآن فى المدافعة عن الخديو . ولكن إذا كانت أفكاره هى هذه ، فلا يمكن الاستمرار على هذه المدافعة — وقال الصدر للبرنس ابراهيم : من هم المصريون ؟ إنهم فى نظرى «دمبر باش» (أى حيوانات جفلك) وقد نسى أنه مصرى .

وفى زيارة (ى . بك و م . افندى) لسفير ألمانيا بتاريخ ١٦ نوفمبر قال السفير إن الخديو يطلب أن يكون هو القائد العام ، وهـذا يجرح إحساسات الأتراك ، وأن سموه ينتقد الجيش العثمانى . فسأل ى بك السفير عما إذا كان يلزم إخبار سمو الخديو بذلك ، فقال : هى مسألة دقيقة ، ثم قال إنه فى أول فرصـة سيطمئن سموه على هـذه المسائل ، وودعهما السفير قائلا : مع السلامة ، أعلنـا أهل بلدكما قرب وصولنا . ولما سمع أفندينا هذا الكلام قال له :

« إننى ما تشبثت مطلقاً بقيادة القوة العثمانية الزاحفة على مصر ؛ لأننى لم أتعلم التعليم الحربى الألمانى ، ولا التعليم الحربى العثمانى ؛ والكلام الذى سمعناه كان من جانب الاتراك أنفسهم ، فقلت : أضيف إلى ذلك أن أفندينـا لا يريد أن يتحمل تبعة هزيمة هذه التجريدة ، فقال سموه : « هذا الكلام يقوله بعضنا لبعض ؛ لأننا نتوهم احتمال هزيمتهم فى مصر » . ثم استمر سموه قائلا : صحيح . إن يوسف باشا صديق قد أخطأ فى اختياره الكلام فى هذا الموضوع مع شخص غير ثقة (يقصد سموه شوكت باشا) ، ولكنى على أى حال ماتشبثت ، وما أعرت إسناد قيادة التجريدة العثمانية الىّ أية أهمية ، ثم إنى لم أنتقد على الجيش ولا غيره شيئا ، وإننى أحضر من جبوقلى الى بيك ، وأقوم من بيك إلى جبوقلى ، وفى كل أسبوع أو عشرة أيام أركب سيارة مقفلة لزيارة سفير من السفراء ، فمن أين رأيت الجيش التركى حتى أسمح لنفسى أن أنتقده ؟ »

وفى ١٧ منه قال أفندينا : إنه سمع من الألمانى صاحب جريدة (إيجبتن ناخرختن) أن الجيش العثمانى غير مستعد للزحف الآن ؛ لأن السكة الديكوفيل اللازمة لمدافع الهاون الضخمة لم تتم .

وفى ١٨ منه كان سمو الخديو قد كلف البرنس ابراهيم حلمى ، بأن يبلغ الصدر أجوبة سموه على تبليغاته ، فتوجه أمس هو وعزت باشا إلى الصدر ، وقال الصدر له : يلزم تحديد برنامج قبل سفر الخديو عما يجب عمله عند دخول الجيش العثمانى فى مصر ، فقال : يجب ألا يسافر الخديو ليلا ، كأنه هربان ؛ بل يتوجه نهاراً عند السلطان ، ثم يسير إلى المحطة بالعز والاكرام.

سافر اليوم من الآستانة إلى الحدود المصرية عبد الحميد سعيد بك ، واسماعيل كامل افندى ، ومحمد عوض البحراوى افندى ، ومحمد على افندى ، وهم من رجال الحزب الوطنى ؛ وبقى منهم عبد الملك افندى حمزة المحامى والدكتور احمد طاهر افندى ، لانتظار القيام

مع شقيق الأول من أوربا . وقد جاء اليوم ستة من الطلبة المصريين فى جامعة لندرة ، وتقدموا إلى نظارة الحربية ، طالبين منها التطوع فى القسم الطبى العثمانى ، فقبلت النظارة طلبهم ؛ وفى أثناء مرورهم فى هولانده كتبوا احتجاجاً على الحكومة الانكليزية فى مصر بالنسبة لخطتها ، قالوا فيه : إن مصر تعيش حرة أو تموت . وهذا بعد ذكر قيام الجيش العثمانى لتخليص مصر من الاحتلال الانجليزى .

وفى ١٩ منه أوفد يوسف صديق باشا إلى سفير ألمانيا ، فعرفه أن سموه لم يطلب مطلقاً لنفسه رياسة الحملة التركية ، ولم ير الجيش فى حالة عمل ولا فى الثكنات حتى ينتقده بشىء ، فقال السفير : إن الاتراك لايتحملون جرح إحساساتهم ؛ لأنهم يظنون فى أنفسهم القدرة التامة ، مع أنه يوافق كل الموافقة على ماقاله يوسف باشا من أن القيادة إذا كانت فى يد الخديو ، فمهمة الحملة تكون سهلة ؛ لأن المصريين ينضمون إلى الجيش العثمانى بسهولة .

وفى ٢١ نوفمبر وصلت ورقة من وصفى افندى ، أحد مستخدمى السراى ، فحواها أنه تقابل مع فريد بك الذى أخبره بأن جمال باشا ناظر البحرية قد عين قائداً عاماً للحملة ؛ وأنه سيسافر بعد ظهر اليوم من محطة حيدر باشا ، ومعه الشيخ جاويش وفؤاد سليم بك ، والدكتور احمد فؤاد ، وآخرون ممن يريدون السفر معه .

ولما اطلع سمو الخديو على هذه الورقة غضب لسفر أولئك مع جمال باشا ، وقال : إنهم متى دخلوا مصر سعوا فى جعلها عثمانية ، بحيث يصبح المصريون عبيداً كما كانوا فى عهد الاحتلال الانكليزى ، ثم قال : إن هـذه الحركة مقصودة ، وإنها من تدابير الحكومة العثمانية .

وفى الساعة الحادية عشرة صباحاً حضر محمد فريد بك ، وتشرف بمقابلة الجناب العالى ، وروى أنه سعى لمقابلة جمال باشا أمس ، فسأل عنه فى منزله مراراً بالتليفون حتى علم بوجوده بعد تناول العشاء ، فذهب إليه تحت وابل من المطر ، وقابله فى منزله ، فقال له جمال باشا إن تعيينه جاء بغتة وأنه يأسف ، لأنه لايستطيع مقابلة الجناب العالى ، وكلفه أن يبلغ سموه أسفه على ذلك . ثم سأله فريد بك عما اذا كان صحيحاً أن بعض المصريين سيسافرون معه ، وخص بالذكر الشيخ جاويش والدكتور فؤاد ، فقال جمال باشا : نعم . وزاد على ذلك قوله : « ويمكن لمن يشاء من المصريين أن يسافروا معى » ؛ وقد أظهر أنه لا يهتم بالملكيين السائرين معه ؛ وإنما يوجه اهتمامه إلى الجيش

وحده ؛ وطلب من فريد بك أن يسأل الخديو عما إذا كانت لديه معلومات وخرائط ، وقال فريد بك إنه علم من المصادر العثمانية أن سبب تعيين جمال باشا قائداً للحملة ، بدلا من زكى باشا العربى ، أن هذا الأخير مكلف أن يؤدى مهمة لدى إمبراطور ألمانيا ، نظراً إلى معرفته للغة الألمانية ، وإنه لما كان جمال باشا هو قائد أوردى الشام ، كلف القيادة بدلا من زكى باشا

وفى اليوم نفسه أمر سموه أن يقول فريد بك لجمال باشا عند توديعه إنه سيلحق به قريباً ، كما أمر عارف باشا أن يذهب مندوبا من سموه ، ليبلغ جمال باشا تحيته وأسفه لعدم وجود خرائط . وقد ركب كلاهما يخت المحروسة إلى محطة حيدر باشا ؛ وفى الساعة الثالثة بعد الظهر جاء سراى جبوقلى يوسف صديق باشا ؛ وقد روى أنه كان ليلة أمس مع جماعة من كبار رجال الدولة ، يتكلمون فيما بينهم على مائدة واحدة ؛ وأن جمال باشا حضر إلى الكلوب ، واختلى فى غرفة من غرفه برفعت باشا ، سفير الدولة فى باريس ؛ وأن يوسف صديق باشا قابل جمال باشا عند خروجه من الغرفة ، وبادله وهو واقف جملا قليلة فى موضوع تهنئته بتعيينه قائداً عاماً للتجريدة ؛ وقابل صديق باشا فى الكلوب نفسه سفير ألمانيا قائلا له : هل يصح ألا يأتى جمال باشا وقد عين قائداً للتجريدة لزيارة الجناب الخديوى ؟ فقال السفير : إن هؤلاء الناس لا يعرفون الواجبات ، حتى لقد شكا إلىّ معتمد حكومة الصرب أنه أرسل تهنئته بالعيد إلى جميع النظار ، فلم يرد عليه أحد منهم .

وفى الساعة الخامسة رجع عارف باشا إلى جبوقلى ، وأخبر أنه ودع جمال باشا باسم الجناب الخديوى ، وأن المسافرين معه من المصريين هم : فؤاد سليم بك والدكتور احمد فؤاد ؛ وأن الشيخ جاويش لم يكن من المسافرين ؛ وأنه قد ودعه جميع النظار ما عدا أنور باشا المريض . وكان مع جمال باشا كثير من الضباط الألمان ، فأظهر سموه استياءه لسفر بعض المصريين ، وخصوصاً الدكتور احمد فؤاد وقال عنه : إنه متهم فى قضية التعدى علىّ ، وأن الحكومة وجدت فى مصر أوراقاً تثبت اشتراكه فى هذه الجناية ، حتى أنها طلبت القبض عليه .

وقال سموه : إن جمال باشا قد اعتذر عن عدم زيارته لى ، وقبلت اعتذاره . وقد رأى سموه بادىء ذى بدء أن يذهب صديق باشا وعارف باشا إلى مدحت شكرى بك ، والدكتور ناظم بك ، فى مركز الاتحاد والترقى ليقولا له : أيصح أن يسافر الدكتور

احمد فؤاد وهو متهم بوجود علاقة له بحادث الاعتداء ؛ فاقترح يوسف صديق باشا أن يذهب مباشرة ، ويتفاهم هو وطلعت بك ، فقال سمو الخديو : ولكن لا أحب أن تذهبوا إليه ، لأنه يوقفكم كثيراً قبل أن يقابلكم ؛ ولا أحب أن يعاملكم هذه المعاملة . وأخيراً انتهى رأى سموه بأن يذهب فى اليوم التالى لمقابلة جاويد بك ، وأخذ رأيه فى هذا الموضوع .

وفى ٢٢ نوفمبر قابل يوسف صديق باشا ، ومحمد عارف باشا ، جاويد بك المستقيل ، فأعرب له الأول عن ثقة سمو الخديو به ، ثم قال له إن القاعدة التى حصل الاتفاق عليها هى قاعدة الصراحة التامة بين سموه ورجال الدولة ، وأن جنابه قد سار عليها من بداية الأمر ؛ ولكن يظهر من بعض حوادث أخيرة ما لا ينطبق عليها .

ومن هذه الحوادث أن نسب إلى الجناب الخديوى رغبته أن يكون قائداً للتجريدة العثمانية ؛ مع أن سموه ما رغب فى هذا قط ؛ وإنما هذه فكرة قال بها بعض المصادر العثمانية . ولو فرض أن الخديو يرغب فيها ، لكان نجاح التجريدة أعظم بوجوده على رأسها ، بعد أن منعته انجلترا من الرجوع إلى بلاده ؛ وذلك لما يترتب على وجوده من قيام المصريين بمساعدتها .

ومن هذه الحوادث أن سمو الخديو لم يكلمه أحد قط فى موضوع تعيينه قائداً للتجريدة ، وقد عين جمال باشا فى هذا المنصب دون أخذ رأى سموه فيه ؛ وبعد تعيينه ، وقبل سفره إلى مصر ، لم يكلف نفسه زيارة سمو الخديو للوداع قبل السفر - كأن جنابه بعيد عن هذه المسألة غاية البعد .



جمال باشا

ومن هذه الحوادث أيضاً أن القائد العام جمال باشا قد استصحب معه عنصراً من المصريين غير مرغوب فيه ، ومنه الدكتور أحمد فؤاد ؛ وعندئذ قطع جاويد بك الحديث قائلا : « صحيح أنا الآن أفهم معنى إرسال هذا الشخص مع جمال باشا » ثم استمر يوسف صديق باشا فى الحديث قائلا : إن الدكتور فؤاد هذا متهم بوجود علاقة

له بحادثة الاعتداء على شخص الجناب العالى ، فارساله جارح وغير موافق للمصلحة . ولاعتقاد الخديو فى معارفكم وفى ذكائكم ، رأى أن يأخذ رأيكم فيما تقدم ؛ ولو لم تكونوا فى الحكومة الآن .

فقال جاويد بك : صحيح أنى لست فى الحكومة ، ولكنى أشتغل مع أعضائها كما كنت أشتغل فى النظارة ، وأننى مشترك مع أفندينا فى أنه ماكان يحسن بالقائد أن يسافر قبل أن يقابل سموه ، كما أنه لم يكن يحسن به أن يأخذ معه شخصاً بتلك الصفة (مشيراً إلى الدكتور فؤاد) . ثم قال إنه سيقابل طلعت بك ، ويكلمه فى موضوع الدكتور ويخبر سمو الخديو بالجواب .

ثم إن يوسف باشا قال لجاويد بك : إننا واثقون أن المسألة المصرية مسألة دولية وليس للدولة العلية وحدها حق الاستئثار بها ، فقاطعه جاويد بك قائلا له : وأنا أعرف أكثر من ذلك ، وهو أن الدول لا تتأثر بكلام الدولة — ولو كانت منتصرة — فى هذا الموضوع.

قال يوسف باشا : ولا تنس أن سفير انجلترا لما عرض على أفندينا ذهابه إلى إيطاليا ، قائلا إنها أقرب إلى مصر من الآستانة — وفى ذلك معنى كبير — أجابه الخديو بأنه لذلك يفضل البقاء فى دار الخلافة ؛ وقطع علاقاته به ، لأنه تعهد وإياكم على أن يكون مع الدولة وألمانيا .

فقال جاويد بك : ونحن نشكر الجناب العالى على هذه الاحساسات .

وقال يوسف باشا : فاذا استمرت هذه المعاملة الماسة للخواطر من قبل رجال الدولة ، فان أفندينا يترك الآستانة ويتوجه إلى سويسرا ، حتى تنتهى الحرب ، ويعقد الصلح ، ويبت فى مسألة مصر .

فقال جاويد بك : هذا أمر فات أوانه (يريد السفر).

فرد عليه يوسف باشا بأن الوقت لا يزال منفسحاً .

فقال جاويد بك : لا لا يا يوسف باشا ، لاتقل ذلك .

وأخيراً قال جاويد بك : إنه من الصعب حقيقة أن يسافر جمال باشا من غير أن يقابل الجناب العالى ، ولم يكن يليق إرسال الدكتور احمد فؤاد ؛ أما بالنسبة للاتفاق على ما سيعمل فى مصر عند دخول الجيش العثمانى عاصمة البلاد ، فانه كان يظن أن طلعت بك وأنور باشا قاما بهذا الواجب ؛ وعلى كل حال فانه وعد بالتكلم فى هذه المسألة .

وفى ٢٣ نوفمبر كنا جميعاً فى سرور ؛ لأن البرقيات الرسمية أنبأتنا أن مقدمة الحملة العثمانية قد وصلت إلى القناة ، بعد أن حصلت واقعة بالقرب من القنطرة ، فى جهة القطا ، أى على بعد ثلاثين كيلومتراً من شرقى القنطرة ، وأن الهجانة المصريين انضموا إلى العثمانيين ، وأنه قتل قائد فئة من قواد الانجليز ، وملازم ، وكثير من الأنفار ، وأسر جملة منهم .

وفى هذا اليوم أرسل أفندينا يوسف باشا ، إلى البرنس عباس حليم ناظر النافعة للتكلم معه فى إرجاع الدكتور فؤاد إلى الاستانة ، ومنعه من مصاحبة القائد العام

وقد كنت أبحث مع فريد بك فى نقط ضرورية وهى :

(١) مسألة الوفد الذى يجب أن ينوب عن الجناب الخديوى، ويرافق التجريدة العثمانية إلى مصر بهذه الصفة .

(٢) إذا كانت الوزارة موجودة عند وصول الجيش العثمانى إلى مصر، فهل تحترم ؟ وهل للقائمقام الخديوى أن يبدل من أعضائها ؟ وإذا طلبت الحكومة العثمانية شيئاً من هذا ، فكيف يكون الحل ؟

(٣) عند إعلان الاحكام العرفية ، كيف يكون تشكيل المحاكم ؟ وباسم من تنفذ الأحكام

(٤) ماهى القشلاقات التى تخصص للجيش العثمانى، والتى تخصص للجيش المصرى؟

(٥) من أين ينفق على تموين الجيش العثمانى مدة وجوده فى مصر ؟

(٦) ماذا يكون الحال إذا أراد الاتراك تغيير المديرين، أو إلغاء البوليس، أو الجيش المصرى ؟

وبينما كنت أتكلم مع فريد بك فى هذه النقط فى ردهة الدور الأرضى من سراى ببك ، نزل سمو الخديو من الدور الأول ، وسألنا فيما نتكلم ، فأخبرته بالموضوع بصفة عامة . فقال : إن شاء الله نعقد فى الغد جلسة هنا للمناقشة فى ذلك .

ثم ذكر سموه أنه لايحسن الدخول مع رجال الحكومة العثمانية فى مناقشة النقط والتفاصيل؛ لأنهم ليسوا رجال قواعد . ونحن إذا فتحنا باب هذه المسائل ، دخلوا فيها متعمقين؛ وتكون النتيجة أنهم يظنوننا خصوماً لهم ؛ فيكفى الآن أن نسعى فى مسألة إرجاع الدكتور فؤاد إلى الاستانة . فقال الدكتور سيد كامل : إنه يحسن الاتفاق من

الآن مع العثمانيين ، على مبدأ أساسى ، وهو أن يبقى الجيش العثمانى بعيداً عن التدخل فى شئوننا الادارية الداخلية ؛ ومتى تم الاتفاق على هذا المبدأ ، ترتب عليه المسائل الفرعية الأخرى ، التى لا يصح الكلام فيها الآن .

وفى ٢٤ منه حضر يوسف باشا ، وقال إنه قابل أمس البرنس عباس حليم (وزير الأشغال) فى صدد الدكتور فؤاد ، فأظهر البرنس أنه لا قيمة لهذا الشخص ، وأنه يحسن بالخديو ألا يهتم بالجزئيات ، ولكنه مع هذا وعد بأن يتكلم مع طلعت بك فى موضوعه

وفى هذا اليوم نفسه ، نشرت جريدة « طنين » نبذة ترجمتها جريدة « لاتوركى » إلى الفرنسية ، ومؤداها : إرسال موظفين أتراك من موظفى الجمرك إلى مصر ، لاعتبارها من بعض الوجوه مشابهة لولايات الدولة .

وفى ٢٥ منه كان أفندينا كلف يوسف صديق باشا أن يذهب إلى سفير ألمانيا ويعلمه بمسألة الدكتور احمد فؤاد ، وما نشر فى الجرائد من أن جمال باشا أخذ معه ١١٨ شخصاً لاستخدامهم فى جمارك البلاد التى يحتلها الأتراك فى مصر ، وأن هذا القائد قد سافر دون أن يقابل أفندينا ؛ فاعترف له السفير بأن كل هذا لا يليق ويخالف للاتفاق ، وأنه سيتكلم مع أنور باشا فى الأمر ، واعترف له أيضاً بأن الأتراك يدسون للخديو فيما يتعلق بمركزه

وفى ٣٠ منه تقابل صديق باشا وعارف باشا مع جاويد بك ، ولم تدم هذه الزيارة أكثر من خمس دقائق ، لأنه أخبرهما بمقابلته طلعت بك ، وعرف منه أن لا شىء عندهم مطلقاً ، وأنه إذا كان طلعت بك لا يزور سموه ، فلأن عنده مشاغل كثيرة ، وكذلك بقية رجال الدولة

وقد اعتبر يوسف صديق باشا هذا القول مهماً ، وغير دال على حسن النية ، ولكن لم يصرح بذلك لجاويد بك ؛ وعلى العكس من ذلك عارف باشا ، فقد اعتبر هذا الجواب مهماً ، وقام فقبل جاويد بك

تحديد مهمة الحملة . وفى ١٥ اكتوبر حضر أنور باشا وتقابل مع عباس ، ومكث معه مدة طويلة ؛ وبعد خروجه علمنا أن سموه تكلم معه بخصوص دسائس الصدر ضده ، ومما جاء فى الحديث أيضاً ، أن أفندينا سأل أنور باشا عما إذا كان يليق بالصدر أن يرسل قرار الحكومة العثمانية للحكومة المصرية ، بخصوص طرد متولى

أعمال ألمانيا والنمسا ؛ ولا يرسل لسموه صورة القرار ، كأن ذلك لا يهمه ، وكأنه ليس موجوداً فى الآستانة ؛ فتعجب أنور لذلك ، وانتقد فعل الصدر . ثم قال سموه ما يفهم منه أنه مد يده لأنور ، وتعاهد معه على ألا يخفى أحدهما عن الآخر شيئاً ، وأن يسيرا فى خطة واحدة ؛ فأكد له أنور باشا أنه يأمل أن يرى سموه حراً فى بلده ، مستقلا فى إدارتها ، كما كانت الحالة قبل الاحتلال الانجليزى ؛ ووعد بزيارته فيها ؛ فشكره سموه ، وأوصله عند نزوله إلى باب حديقة « يالى بيك » .

وفى ١٩ منه تقابلت مع محمد عزت باشا ، فأخبرنى أن سفير ألمانيا تغدى عنده أخيراً ؛ ومن كلامه أن رغبة الأمبراطور التى أبلغها للدولة العلية ، هى أن طرد الانجليز من مصر لا يترتب عليه جعلها إيالة عثمانية ، بل تكون مستقلة فى أعمالها الداخلية ؛ وإنما فى بعض المسائل الخارجية ، يجب على مصر أن تستأذن الباب العالى ، وأن تحفظ امتيازات الخديوية المصرية كما هى الآن ؛ وهذا مطابق لما قاله أنور باشا لأفندينا .

وفى ٣١ منه أكد طلعت بك لفريد بك ، أن الحملة التى تسير إلى مصر ليس من شأنها أن تمس شيئاً مما فى داخلية مصر ، فانه يعلم أن إدارتها منظمة ، وكل شىء مرتب ؛ ثم أضاف « حتى أننا نرى أن نرسل لكم بعض المأمورين الأتراك ، لأخذ ما يهمنا فى تحسين إدارتنا فى الآستانة . »

وكنت سمعت من مدة أن أفندينا اجتمع بأنور باشا عند زيارة سموه لسفير ألمانيا فى المساء ، وتعاهد الثلاثة على أن يتحدوا على طرد الانجليز من مصر ، وأن تبقى مصر للمصريين مع حفظ امتيازاتها . وأن تكون مصر بالنسبة للدولة كبافاريا لألمانيا .

وفى ١٠ نوفمبر لاحظ ابراهيم حلمى باشا أن الجيوش العثمانية اجتازت الحدود المصرية ؛ مع أن الحكومة العثمانية لغاية الآن لم تخاطب الخديو رسمياً فيما يلزم اتباعه . فأجابه الصدر الأعظم بأنه مستعد للتكلم مع سموه قبل سفره فى أحوال مصر ، ثم قال إن الجيش سائر إلى مصر ، ومهمته طرد الانجليز ، وإرجاع الخديو إلى أريكته .

وفى ١٣ نوفمبر تقابل الخديو مع فريد بك ولبيب بك ، وقال لنا إن رجال الدولة عديمو الادارة ، فلا ينظرون إلى الأمام ؛ ونحن لا يمكننا أن نغير ما تعودوا عليه . فقال فريد بك ولبيب بك إنهما قابلا أنور باشا أمس ، وسألاه عما يراه فى مسألة مصر وأفندينا والحزب الوطنى فقال : نحن تعاهدنا مع الخديو ، وكررنا له القول بأننا لا نريد مطلقاً التدخل فى داخلية حكومته ؛ ولا نرغب إلا فى أن نراها

حرة وقوية ؛ وأننا نؤيد سموه فى مركزه ، ونسير بالاتفاق معه ، ومع الحزب الوطنى .

قال أنور : نحن نساعد حكومة إيران وأهاليها كما نساعد مصر والمصريين . فهل معنى ذلك أننا سنأخذ العجم ؟ هذا لا يكون .

وحصلت اليوم مظاهرة من الايرانيين فى الآستانة ؛ وقرروا طلب دخول إيران فى الحرب ضد روسيا ؛ وهذه المظاهرة حصلت بايعاز من أنور باشا .

وفى ١٦ منه حضر إلى جبوقلى فى هذا الصباح (ى . بك) أحد المصريين الذين كلفهما الخديو بمقابلة سفير ألمانيا ، وأخبر أفندينا أنه هو وزميله (م . افندى) تقابلا أمس مع السفير ، وأخبراه بحديث البرنس ابراهيم حلمى مع الصدر ، وحديث سيف الله باشا لفريد بك ، فرفع يده مستهزئاً وقال : لا تعبأوا بهذه الأقاويل ، فانها لا قيمة لها من الوجهة السياسية ، وخصوصاً أننى سبق أن أخبرت الصدر بأن ألمانيا ستساعد الدولة فى حملتها على مصر ، بشرط ألا تمس فرماناتها ، ولا المعاهدات الدولية ؛ وأن تبقى مصر للمصريين (وكرر هذه العبارة مرتين) ؛ فأجابه الصدر بأنه باعتباره مصرياً يحافظ على الفرمانات ، وعلى حقوق الخديوية ، وامتيازات مصر .

الصباحى يحمل الأوامر للقائمقام بخصوص الحملة : وفى ٢٤ منه أمرنى الخديو أنا ويوسف باشا أن نحرر مذكرة إلى حسين رشدى ، تحتوى على ملخص الحالة السياسية بيننا وبين الأتراك ، وما يجب عمله عند دخول الجيش التركى إلى مصر ، ومعاملة القائد ونحو ذلك . وكانت الفكرة أن تكتب المذكرة على حرير بالشفرة المعروفة لرشدى باشا ، أو بالكتابة المكشوفة ، ويخاط هذا الحرير بين البطانة والقماش . وأعرب سمو الخديو عن رأيه فى أن ينتخب رشدى رجلا مصرياً لنظارة الحربية ، وتكون مهمته تسهيل العلاقات بين الحكومة المصرية والجيش العثمانى المحتل ؛ ورأى سموه تعيين السرياور خديوى اسماعيل مختار باشا فى هذه الوظيفة ، لأنه يحمل أكبر رتبة عسكرية فى مصر ، ولأنه مخلص لسموه . وقد عرض على سموه اسم حسنى باشا ، فقال : لا ، لا ، دعنا من هذا الرجل ، فانه تنحى عن السير معنا فى حركتنا .

وقد كتبت المذكرة التى طلبها أفندينا ، وعرضها عليه يوسف صديق باشا ، فأدخل بعض زيادات عليها ؛ وأمر بنسخها وتسليمها إلى محمد عبد الرحمن الصباحى افندى ، على أن يسافر اليوم لتسليمها لحسين رشدى باشا ، وها هى ذى صورتها .

« حصل الاتفاق شفهياً بين الجناب العالى ، وأنور باشا ، وسفير ألمانيا فى سفارتها ، على إرسال تجريدة عثمانية لمصر ؛ على شرط أن تبقى الادارة الداخلية مستقلة كمنطوق الفرمانات . وقد علمنا أن أمبراطور ألمانيا أرسل تلغرافياً إلى السفير بأن مساعدته للحملة هى بهذا الشرط ، وألا يقبل مطلقاً أن تكون مصر ولاية عثمانية ، كباقى الولايات .

« تحسنت العلاقات بيننا وبين رجال الدولة ، وخصوصاً أنور باشا . إنما ظهر لنا أن للصدر أغراضاً وآمالا ، وقد التف حوله جماعة تنادى بأن مصر للدولة ، وليست للمصريين . ولما لم تنجح هذه الفئة فى مسعاها ، قالت بتعيين ولى عهد السلطنة العثمانية للخديوية المصرية ، وعلم الجناب العالى من السلطان بأن يوسف عز الدين افندى طلب من جلالته ذلك . ولكن هذا الطلب لم ينظر إليه بعين الأهمية ، وأن رجال الدولة لا يرغبون فى تغيير شىء فى الخديوية المصرية . وبعد أن كانت رياسة الجيش الزاحف على مصر للجنرال زكى باشا ، العربى الجنس ، صدرت الارادة بتعيين جمال باشا ناظر البحرية ، بدلا عنه ؛ وإرسال زكى باشا لمهمة أخرى .

عود الى الحملة . « سافر قائد الحملة يوم ٢١ نوفمبر بدون مقابلة الجناب العالى ، وأرسل يعتذر بواسطة فريد بك بضيق الوقت ؛ ويلاحظ أنه استصحب معه فؤاد سليم بك ، والدكتور احمد فؤاد ، وحلمى المسلمى ، وبعد قليل يلحق بهم عبد العزيز جاويش ، فتتم بذلك الجماعة المنتمية للصدر ، والتى تقول بأن مصر للدولة ؛ فضلا عن أن أحدهم ، وهو الدكتور احمد فؤاد الموظف بالبوليس السرى فى نظارة الداخلية ، هو المشتبه فى اشتراكه مع مظهر المعتدى على جناب الخديو . ولهذا طلبنا من طلعت بك ناظر الداخلية إرجاعه .

« وعلى كل حال فاننا لعدم ثقتنا تمام الثقة بعهود رجال الدولة ، الذين ربما كانت لهم أغراض خفية ، لا تظهر إلا بعد احتلالهم البلاد ، فان أفندينا عزم على إرسال من يعتمد عليه ، للسفر إلى ألمانيا والنمسا وإيطاليا ، للتحقق من تنفيذ وعود سفير ألمانيا لسموه ، وبأن تبقى مصر مستقلة فى إدارتها بدون تدخل الدولة كما كانت .

« والدائر على الألسنة أنه بمجرد دخول الجيش العثمانى ، تعلن الأحكام العرفية ؛ ونظراً لأن المشهور عن القائد أنه قوى الشكيمة ؛ فانه يحسن أن تستعدوا لذلك وتفكروا من الآن فى الخطة الواجب اتباعها معه .

« ومن رأى الجناب العالى :

أولا ـ أن تقيموا فى سراى عابدين عند دخول الجيش العثمانى ، باعتباركم قائمقام الخديو ، وتقابلوا قائده على الدوام هناك .

ثانياً ـ أن تخصص للقيادة العامة المقر الذى فيه إدارة جيش الاحتلال .

ثالثاً ـ أن تقيم العساكر التركية فى القشلاقات التى كانت مخصصة لجيش الاحتلال الانجليزى ، ولا يرخص لهم فى أخذ أى قشلاق من قشلاقات الجنود المصرية .

(والعبارة الأخيرة أضافها الخديو بخطه)

رابعاً ـ أن يرحب بالجيش بدون مبالغة ، وتحفظ الحكومة كرامتها إزاءه .

خامساً ـ يستمر القضاء المصرى طبعاً كما كان ؛ ولو أعلنت الأحكام العرفية .

سادساً ـ تنتدب الحكومة مندوب إيطاليا فى صندوق الدين مستشاراً مؤقتاً للمالية ، على ألا يعتدى على الأنظمة الجارية فى المالية المصرية .

سابعاً ـ أن تتفق الحكومة وبعض المتعهدين ، على توريد حاجات الجيش العثمانى من المأكولات ، وتصرف قيمة ذلك مما كان مخصصاً لجيش الاحتلال الانجليزى .

ثامناً ـ بمجرد انسحاب الموظفين الانجليز ، يعين فى الحال من يخلفهم من المصريين ، وخصوصاً فى رياسة البوليس المصرى .

تاسعاً ـ لا يعمل أى احتفال رسمى حتى يشرف الجناب العالى ، وإذا اضطررتم لتقديم بعض كبار المأمورين المصريين ، فيكون ذلك على الانفراد ، وبواسطتكم

ثم أضاف أفندينا بخطه ما يأتى : يراعى عدم تدخل القائد العثمانى فى أمور الادارة ، وخصوصاً فى مصلحة التلغرافات ، وبمجرد خروج الانجليز من مصر ، تجمع العساكر المصرية ، إن أمكن فى القاهرة ، وإن أمكن أيضاً يجمع الجيش العثمانى فيها ، بدلا من توزيعه فى المديريات .

طلب الاتحاديين اعانات مالية من عباس . فى ٢٥ أكتوبر رأيت سمو الخديو فى حالة عصبية ، وعلمت أنه أوفد ماهر افندى المحامى ، وعارف باشا لطلعت بك ، ليرجواه أن يتخذ الاجراءات للعفو عن سجين من ضمن خدم سموه « سلاحشور » وهو متهم بالقتل ، فطلب طلعت بك إعانة مالية من سموه لمشترى ملابس تركية للجندرمة التركية ، فغضب لهذا الطلب ، وقال إنى ما حصلت على عرشى برشوة ، حتى أستبقيه برشوة .

وفى ٩ نوفمبر عقد سموه جلسة ، قال فيها بضرورة تكوين جماعة من حزب الاتحاد والترقى ، يعملون فى مصلحة مصر ؛ وأن تستخدم كل الوسائل لتكوين هذه الهيئة من سبعة وعشرين عضواً ، لتعمل لنا فى هذا الطريق ، بحيث لا نعطى نقوداً الآن ، بل نعد باعطائها بعد دخولنا مصر ؛ ويكون مثلنا فى هذا مثل الشخص الذى يقول للسمسار : إذا اشتريت العقار الفلانى بواسطتك ، أعطيك كذا كذا ؛ وقال إنه لا يضر خزانة مصر، دفع مائة ألف جنيه لتحقيق أغراضنا .

وذكر فى هذه الجلسة بعض أسماء رجال الدولة ؛ وأمن يوسف صديق باشا على كلام سموه ،قائلا إن الدكتور ناظم أحد كبار الحزب ، وطلعت بك نزيهان ، وأن الأول يعيش بعشرة جنيهات فى الشهر ، ولا يمكن أن يشترى ؛ وذكر أنه تقابل مع شوكت باشا ،ووعده بالكلام معه غداً لتمهيد الطريق .

وفى ٢١ نوفمبر روى سموه ، أنه لا ينسى يوم حضوره إلى الآستانة فى أول سنة للدستور ، وحضوره جلسة من جلسات مجلس المبعوثين :

قال سموه : وقد حضر لدى فى « اللوج » الذى كنت فيه طلعت بك، وثلاثة آخرون معه ، فبعد أن حيونى، وشكرونى على حضورى جلسة من جلسات المبعوثين ، طلبوا منى أن أساعدهم مساعدة مالية . وقد كنت أفهم هذه المساعدة وهم خارج بلادهم ؛ ولكن الذى لا أفهمه ، هو مساعدتهم مساعدة مالية وهم داخل بلادهم . فلما قلت : « إن شاء الله ننظر فى الموضوع » ، انصرفوا بشكل مدهش، كأنهم لم يجيئونى إلا لطلب المساعدة المالية ، ولكنهم بعد انصرافهم جاءنى جاويد ، واعتذر إلى عما وقع من زملائه .

وفى ٢٤ منه قال يوسف باشا ، إنه قابل فخر الدين بك سفير الدولة فى بطرسبرج ، وفهم منه أنه يلزمنا نحن المصريين ، أن نتأكد من الاتفاق مع ألمانيا بخصوص نتائج الحملة المصرية ؛ ولا نعتمد إلا على وعدها ، وأنه مستعد لأن يسافر ، ويتخذ مايجب فى هذا الصدد ، مقابل مكافأة مالية طلبها .

وقال يوسف باشا إن عارف باشا قابل اسماعيل حقى بك ، القوميسير العثمانى فى مصر ، وروى عنه أنه من اللازم أن يكون عند سمو الخديو الآن مائة ألف جنيه، لصرفها على من يساعدنا للوصول إلى غايتنا . فقال سموه : « لا بأس بايجاد الأشخاص الذين يساعدوننا ؛ ووعدهم بالمكافأة عندما نبلغ غايتنا » .

تركية تعلن الحرب على الروسيا وانجلترا وفرنسا . فى ٣٠ اكتوبر توجهت مع أفندينا لتشريفات العيد فى سراى ضولمه بغجه ، ورافقنا أيضاً يوسف صديق باشا ، وعارف باشا ، وابراهيم أدهم بك ، واثنـان من الضباط . فيوسف وعارف مرا أمام السلطان ، مثـل باقى المأمورين العثمانيين ؛ وأما أنا ، فلأنى مرتد ردنجـوت بدلا من الاسلامبوليـة ، تفرجت مع الضباط من فوق صالة العرش . وكان الخديو واقفاً مع الأمراء العثمانيين ، ومنهم ولى العهد عن يمين السلطان ؛ والوكلاء — ما عدا الصدر الذى قيل عنه إنه مريض (والحقيقة أنه كان غاضباً لما سمعه من تعدى الوابورات الحربية العثمانية على الموانىء الروسية دون علمه) — وقفوا عن يسار الخليفة . وقبل انتهاء التشريفات بقليل ، جاء يوسف وعارف لنا ، وأخبرانا بأن دارعتين من الأسطول العثمانى تلاقتا مع مركبين « طوربيدو » ومدفعيتين من الأسطول الروسى ، كانت تخفر وابورات وضع الألغام ، على بعد خمسين ميلا من بوغاز البحر الأسـود ، فالدراعتان العثمانيتان أطلقتا النيران على هذه المراكب ، فأغرقتاها ، وأسرتا سبعين نفراً ، وخمسة ضباط ، أحدهم ربان وأحضروهم إلى الآسـتانة ؛ ثم توجه الأسطول العثمانى إلى الموانىء الروسـية ، ومنهـا سواستبول وأودسا ، وأحرق ما بها من مخازن البترول ، والمخازن العسكرية ، وأغرق ما فى الموانىء من الوابورات الروسية النقالة ، وعددها واحد وعشرون .

ولما خرجنا مع أفندينا ، أخبرنا بأن السلطان أعلمه بذلك ، وكان الخبر منتشراً فى بيوغلى أمس بعد الساعة الخامسة مسـاء ، من برقية وردت من قنصلية انجلترا فى أودسا إلى السـفارة فى الآستانة ؛ وسأل السـفير الصدر فى المساء عن هـذا الخبر ، فقـال إنه لا يعرف شيئاً ؛ ولما سأل الصدر أنور باشا ، قال الأخير : نعم إننى سمعت بهذه الاشاعة . فكأن الألمانيين هم الذين دبروا هذا الأمر بدون أوامر .

وفى ٣١ منه حضر أنور باشا ، وأخبر الخديو بما حصل من تخريب الأسطول التركى للموانىء الروسية ، فأخبره سموه بأنه لما زار الأمير سعيد باشا الصدر ، علم منه ما يفيد أن الحرب لا تكون بين الدولة وروسيا . ولهذا فانه استرجع الأسطول العثمانى ، وأشار من النافذة إلى « جوبن » الألمانية ، وقال ها هو ذا الأسطول . وإن الصدر يلقى تبعة ما جرى فى البحر الأسود على الألمان ، فقال أنور باشا إنه أعد جوازات السفراء الثلاثة (سفراء الروسيا وانجلترا وفرنسا) ، وأكد لأفندينا أنهم سيسافرون .

وبالفعل أنى لما كنت عند فريد بك — ومسكنه أمام السفارة الروسية — وجدت جموعاً كثيرة أمام السفارة تنتظر خروج السفير

ولما كان أنور باشا وأفندينا يتحادثان، حضر جمال باشا ناظر البحرية؛ ولهذا لم يتمكنا من الاستمرار فى الكلام. وقد خطر ببال أنور باشا أن الخديو ربما يظن أنه متفق مع زميله على أن يحضر عقب زيارته، حتى لايدع وقتاً للمكالمة؛ فأقسم أنور باشا بأن زيارة جمال باشا الآن هى من المصادفة، وأنه لامانع من قبوله بوجود أنور باشا؛ لأنهما على وفاق تام - وقد كان ذلك.

وفى ٢ نوفمبر حضر الصدر، وزار أفندينا فى بيك، وعلم سموه أن الروس تجاوزوا الحدود العثمانية قاصدين أرضروم، فسأله أفندينا عما إذا كانت الدولة فى حالة حرب مع روسيا وانكلترا وفرنسا. فقال: لا. وقد حضر البرنس ابراهيم حلمى، فقال إنه سمع الصدر يقول: مادمت فى الصدارة، فلا أعلن حرباً. وقال عن الألمانيين الذين أحدثوا واقعة البحر الأسود: سأؤدبهم (يعنى يهددهم). ولكن سموه قال بأن هذا يخالف قبوله نقود ألمانيا، ووجود سبعة آلاف ألمانى فى الجيش العثمانى: البرى والبحرى، وأربعمائه مدفع؛ وهذه المساعدات كلها لدخول تركية فى الحرب.

وقد زار الخديو سفير ألمانيا، ومن المحادثة ظهر له أن الصدر لايرغب فى دخول الدولة فى الحرب، وإلا فسيستقيل؛ وهذا يطابق ماقاله سفير النمسا. وأضاف سفير ألمانيا أن معتمد أمريكا طلب من أنور باشا وطلعت بك وجمال باشا أن يجتهدوا فى منع الاستقالة. ولهذا اجتمع مجلس الاتحاد والترقى، وقرر باتحاد الآراء تأييد مافعلته الحكومة بدخول الحرب، وعدم قبول استقالة الصدر، مع تغيير بعض الوزراء غير الموافقين على الحرب، وهم جاويد بك وزير المالية، ومحمود باشا وزير النافعة، والبستانى بك وزير الزراعة والبريد. ثم أثنى السفير الألمانى على طلعت بك، وقال إنه أتى وتعاهد معه على السير مع ألمانيا، قائلا: «إن كسبت كسبنا، وإن خسرت خسرنا». وقال إنه يوجد وعد واتفاق بين انجلترا والصدر — على ماهو ظاهر من الأحوال — على ألا تحصل حرب؛ ومع هذا حصلت واقعة البحر الأسود. فأكد الصدر للسفير المذكور أنه اذا دخلت الدولة فى الحرب، فانه لابد أن يستقيل؛ فلما طلب السفير جواز السفر لقطع العلائق، طلب أيضا من الصدر الاستقالة قبل خروجه، ولكن الصدر أرغم على البقاء من جمعية الاتحاد، كما تقدم.

وفى ٣ نوفمبر بلغنا أن الأسطول الانجليزى أطلق النار مدة عشر دقائق على استحكامات الدردنيل ، التى ردت عليه ؛ ويقال إنها أصابت المراكب الانجليزية الكبيرة بعطب ، فشبت النار فيها .

وبلغنا أن الجيوش التركية اجتازت حدود الروسيا ، وتوغلت فيها مقدار عشرين كيلو متراً ، وأن عدد الأتراك ثلاثون ألفاً ، وأن الروس مائة وخمسون ألفاً .

وفى ١٣ منه كان سمو الخديو قلق البال ، لأنه سمع من السفراء خبر اندحار الألمان فى روسيا ، وأن ألمانيا عرضت الصلح على الدول المتحاربة ، فقبلته روسية وفرنسا ، ولكن انجلتره رفضته . وقد قال سموه إننا حتى الآن لم نأت بعمل يعتبر عدائياً نحو انجلتره التى طلبت ألا نرجع إلى مصر ، فقبلت طلبها ؛ وموقفنا على العموم موقف شهامة .

وفى ٢٥ نوفمبر زار الجناب العالى سفير الولايات المتحدة ، فعلم منه أن لأمريكا مركبين حربيين : أحدهما يمر بشواطىء سوريا ، والآخر فى جزر الأرخبيل ؛ وأن رفاصاً أمريكياً كان يريد دخول أزمير ، وعليه قائد المركب الحربى ، فأطلقت عليه الحصون العثمانية طلقتين بدون رصاص ، ثم طلقاً ثالثاً محشواً بالرصاص ، فرجع القائد ، وأرسل برقية إلى سفيره فى الاستانة ، طالباً منه الاذن فى ضرب حصون أزمير ، فمنعه السفير ، فاغتاظ القائد وشكاه إلى حكومته ، فاضطر السفير أن يطلب من أنور باشا تقريراً يبرر به أوامر المنع ، فتم له ما أراد .

وقال السفير إن الضباط البحريين بين الأمريكيين جميعاً ، حتى الذين يقيمون منهم فى أمريكا ، هم فى جانب انجلترا ، وأن رأيه أن الحرب العامة لا تستمر أكثر من ثلاثة أشهر ، ومن المحتمل عقد الصلح بين ألمانيا وفرنسا . ولكن ليس مع انجلترا إلا إذا كانت ألمانيا تحاصر ولو جزءاً من سواحل انجلترا ، لقطع المواصلات عنها ؛ وعند ذلك تضطر أن تطلب منازلة ألمانيا بحرياً . فاذا أمكنها أن تمحو الأسطول الألمانى ، ولو أفقدها ذلك ثلث مراكبها الحربية ، فعندئذ تقبل الدخول فى الصلح .

البعثات الخديوية للمحادثة بالحملة التركية . فى ٥ نوفمبر أبدى الخديو كدره من عارف باشا ؛ لأنه كلفه بمهمة ، هى الحصول على بعض استعلامات ، فلم يقم بها ؛ وقد أملى سموه الأسئلة التالية ليحضر أجوبتها عارف باشا ، وهى : —

١) المدة التى يقطعها القطار المخصوص من الاستانة إلى «بوزانتى»، وهل يسير ليلا ونهاراً، أو نهاراً فقط ؟ وأين يكون المبيت ؟

٢) المسافة بين بوزانتى وقولاق بوغاز، وبأية صفة تقطع ؟ وهل توجد سيارات أو عربات ؟

٣) ماهى المسافة بين قولاق بوغاز واسكندرونة بالسكة الحديد ؟ وهل تقطع نهاراً وليلا، أونهاراً فقط ؟ وأين يكون المبيت ؟ وماهو الأفضل : طريق اسكندرونة ـ حلب، أو طريق معمورة ـ حلب ؟

٤) المسافة بين اسكندرونة لحلب ٢٤٠ كيلو متراً على مايقال ؛ فهل المسير على عربة أو سيارة ؟ وكم يستغرق قطعها ؟ وأين يكون المبيت ؟

٥) من حلب لنابلس، من أى طريق يكون المسير ؟ وهل توجد عربات للتغيير ؟ وماهى المسافات والساعات اللازمة لقطع كل مسافة ؟

٦) من بعد نابلس إلى الحدود المصرية، هل يوجد طريق للعربات والسيارات ؟ ومعرفة المسافات والساعات ؟

٧) ما كيفية نقل العفش ؟ هل يكون على عربات، أو على دواب ؟

وقد تقرر أن تكون التجريدة إلى الحدود من قبل الخديو مؤلفة من الشيخ محمد عثمان، واليوزباشى محمد افندى زكى، والملازم الثانى أحمد سلام افندى، من ضباط المحروسة ؛ وعسكريين سودانيين، وسايس ؛ ومعهم من الركايب أربعة خيول

وهذه هى الأوامر التى صدرت مساء اليوم :

١) تجهز ثلاثة خيول للركوب، ورابعها الحصان الأبيض، وعليها أربعة سروج، منها اثنان خصوصيان، واثنان عاديان؛ وأدوات نظافة وعليق وتبن لمدة ثلاثة أيام. تشحن الساعة الخامسة من صباح يوم الجمعة ٦ نوفمبر، ومع الكل سايس واحد وعسكريان سودانيان

٢) عند الوصول لنابلس تترك الخيول وأدواتها والسايس وعسكرى سودانى والملازم سلام، ويترك مع الأخير خمسون جنيها عثمانياً، ومثلها انجليزياً، ويخصص من كل من المبلغين خمسة جنيهات للصرف على الملازم والسايس والعسكرى، لحين وصول عبد الله افندى البشرى ؛ وحينئذ يسلم المبلغ الباقى، ثم يقوم الشيخ عثمان، ورسمى

أفندى، وعسكرى سودانى للعريش، ويتخذونها مركزا

٣) بواسطة الشيخ القالوجى والشيخ كريم من أهالى العريش، يبحث عن الأشخاص الذين كانوا مستخدمين فى الحكومة المصرية، وفصلوا منها. وبعد ذلك يؤخذ من كل فرد منهم على حدة ماعنده من المعلومات، وذلك فى محل أمين محكم؛ ثم يعمل عنها ملخص فى رسالة ترسل مع مخصوص للحكومة العثمانية هناك، ويكتب عليه «مهم» ليسرع فى أرساله لجبوقلى بالبريد السريع؛ أما الأخبار المهمة التى يلزم إرسالها بالبرق، فترسل بالشفرة.

٤) إذا رفض مأمور التلغراف تسلم البرقية، يخابر قومندان عموم الجيش فى الشام بذلك؛ وإذا لم يرد منه ترخيص، فيرسل لنا برقية مفتوحة بذلك.

٥) عند قيام أى بوستة من طرفهم، يرسلون برقية مضمونها: «اليوم بوستة مهمة» مثلا.

٦) عند الوصول إلى العريش، يلزم جمع من كانوا فى خدمة الحكومة وفصلوا، من عساكر، وسعاة، وعمال تلغراف، ومخبرين ويسلمون لرسمى افندى، لترتيبهم حسبما كانوا قبل فصلهم؛ إلا الذين يكونون فى خدمة الجيش العثمانى.

٧) يقيم الشيخ عثمان فى العريش، ويكون رسمى افندى مع الدوريات التركية، بعد الاتفاق مع ضباط الجيش، بحيث لا يكونون مشمئزين من ذلك.

٨) يكون البوليس فى العريش مع رسمى افندى فى الدوريات.

٩) نتحقق من الأشخاص الذين يتجسسون لحساب الانجليز، ويخبر عنهم.

١٠) عند الوصول إلى طوروس، يستفهم بطريقة غير محسوسة عما عمل من الاستعداد لترحيل حملة الخديو.

١١) ترسل برقية من آخر نقطة يصلون إليها، إن كان بالعريش تلغراف.

١٢) يرسل من كل محطة كارت بوستال، كتقرير مختصر عن كل ما يرى.

١٣) أخذ عليقة ثلاثة أيام من أطنه، وخمسة أيام من نابلس، بمعرفة سلام افندى.

١٤) مقابلة قومندان الجيش بالشام، والتكلم معه فى شأن إرسال التلغرافات الشفرة وغيرها مجاناً عند النقطة المركزية للحملة، ويؤخذ منه جواب للمركز بذلك، ويستعلم منه عن آخر نقطة فيها تلغراف.

١٥) يرسل تلغراف من أطنه لعبد السلام الحسيني بالقدس، للحضور لنابلس؛ ويستفهم منه عما إذا كانت توجد هناك خيام جاهزة، وما نوع قماشها، وما حجمها؟ ويكتب بذلك مذكرة.

١٦) يبحث عن الخيام بالشام، ويعلم حجمها، وعدد خاناتها، وثمنها، وجنس قماشها؛ ويرسل بها مذكرة.

١٧) يبحث في العريش عن محل للمعسكر الخديوى، وهل جرى فى القلعة شيء؟

١٨) إذا كانت الحكومة لم تحتل العريش للآن، فيكون مركز الحملة خان يوسف بالليل، ونهاراً بالعريش؛ مع الحذر.

١٩) عند وصول الحملة إلى النقطة النهائية، يرسل تقرير لعبد الله افندى البشرى صورة منه لسلام افندى؛ وصفاً للرحلة.

٢٠) الاقامة بالعريش تكون بمنزل كريم أو القالوجى أو بالقلعة، إن كانت سليمة.

٢١) عند الوصول إلى غزة يستعلم عن كيفية ورود المخابرات التى كانت جارية بين قنصل أنكلترا بها ومحافظ بور سعيد، ومن هم الذين كانوا رسلهما.

٢٢) يجمع العربان والمشايخ، ويخطب فيهم بالواقع، لتفهيمهم سوء معاملة الانجليز للخديو، واستعداد سموه للدخول لمصر عن طريق البر... الخ.

وقد سمع عارف باشا من نظارة الحربية (ولعله من سليمان نعمان باشا الحكيم) أن سمو الخديو سيكون قومنداناً عاماً للحملة التركية.

وفى ٦ نوفمبر جاء طاهر رمزى باشا رئيس الياوران الخديوى سابقاً، وطلب من أفندينا أن يكون فى خدمته عند الزحف على مصر، كما أن الدكتور رؤوف باشا التركى الذى توطن فى مصر، وحضر للاستانة، طلب ذلك.

وفى ١٥ منه سافرت البعثة الثانية إلى الحدود، وكانت مؤلفة من القائمقام توفيق فهمى بك ياور الجناب الخديوى، ومسعود افندى عمر الملازم، والصول موسى محمد، وهما من السودانيين، وسبعة خفراء من الأتراك (قوروجية)، وأربعة من العساكر المصريين، وتركيين من سائقى السيارات، وثلاثة خيمية، وأربعة سياس من المصريين؛



توفيق فهمي بك

ومع هذه البعثة عشرون خزاناً من الصاج للمياه ، و١٨ حصاناً و ٤ بغال وخيام ، ومنها اثنتان جبليتان لسمو الخديو ، و١٢ للكبراء والياوران ، و ١٠ خيام للخدم والعساكر و٢ للمطبخ و٢ للمراحيض و٣٠ سرجاً للخيل. و١٠ بطانيات صوف للكبراء ، ولوازم الراحة والنظافة والنور . وقد انضم فى أفيون قره حصار إلى هذه البعثة جزء منها كان قد سافر قبلها ، مؤلف من طبيب ، وصيدلى ، و٣ من الملازمين الثوانى ، و٤٣ صف ضابط وعساكر سودانيين ومصريين ومعهم تعيينات ومهمات وخلافه . وكان يرافقهم اسماعيل لبيب بك ، حاملا نسخ المنشور الخديوى [١] ، ومعه ٥ من الشبان المصريين الذين كانوا يدرسون الطب فى لوندره .

وفى غروب يوم ١٦ منه ، وردت برقية بالشفرة من الشيخ محمد عثمان بدمشق الشام ، يقول فيها إنه تقابل بكريس بك رئيس أركان الحرب الألمانى مع قائد القوة هناك ، وأن كريس بك أجابه إلى كل طلباته ، وبالطبع منها إرسال تلغراف بالشفرة ؛ وقد علم الشيخ أن التجريدة العثمانية لا ينتظر سيرها على مصر قبل سبعة أسابيع ، وذلك لاتمام المعدات اللازمة لهذه الحملة ؛ وأن ألفى عربى ، بقيادة ممتاز بك (صديق أنور باشا ، وكان معه فى طرابلس ، ومندوبه على الحدود المصرية) قد تحركوا على سكة العريش ؛ وأن ألفى عربى آخرين تحركوا بقيادة ضابط آخر من جهة طريق العقبة . والمهم فى هذه البرقية هو أن الجناب العالى يستطيع الآن أن ينتظر مدة فى الاستانة إلى أن يقرب تحرك الجيش الحقيقى بعد سبعة أسابيع ؛ وهذا ما يفسر أن أنور باشا كان على الدوام يدعو أفندينا إلى الانتظار .

---

(١) لم يكن المنشور قد أعدم حتى هذا التاريخ ، كما سبق فى المذكرات

وفى ١٧ منه وصلت برقية ثانية بالشفرة من الشيخ عثمان ، هذا نصها :

« كريس بك غير موافق على إرسال بعثة عبد الله فوراً إلى العريش ، ويستحسن بقاؤها فى دمشق أو بيت المقدس ، حتى يعمل ترتيب ؛ لأنه يخشى أن إرسال حملة الجناب العالى من ينبع إلى العريش ، ومعها باشجاويش وثمانية أنفار ، يلتفت إليها . أما نحن فلا مانع من وجودنا بالعريش ؛ وهو يلح فى رجاء المحافظة على كتمان سر حركاتهم . وينصح ألا يقوم الجناب العالى من جبوقلى ، إلا بعد أن يخبركم هو بذلك ، لأنه أعلم من غيره .

وفى ١٨ منه رأى الخديو عمل يومية عن تنقلات البعثة من أفراد ومهمات . وأمر بجمع الأوراق المتعلقة بذلك ، كما أمر رمزى طاهر باشا بمراجعتها .

وفى ١٩ منه سافر من الاستانة إلى أزمير ، ومنها إلى الضلمان ، سواق السيارة الفرنسى مسيو ليفاسور ، ليكون هناك فى الضلمان ، ويرحل سيارتين إلى الاسكندرونة . فينتظر بها الأوامر ليقوم إلى جهة تعين له فيما بعد ، انتظاراً لمرور الجناب العالى بها .

وفى ٢٣ منه وصل القائمقام توفيق بك فهمى قائد البعثة الثانية إلى الاسكندرونة ؛ وكان المقرر أن تبقى بها بقية البعثة حتى يصل إليها الجناب الخديوى .

وفى ١٠ ديسمبر انتقد سموه على محمود افندى رسمى الضابط الذى أرسله إلى غزه ، لأنه أطاع جمال باشا ؛ وذهب إلى دمشق بدون إذن سموه .

فى ١١ منه ، فى أثناء انتقال سموه من جبوقلى إلى ببك ، أخرج من جيبه ثلاث برقيات من القائمقام توفيق فهمى بك ، قومندان البعثة الخديوية ، يقول فيها : إنه صدر أمر من جمال باشا بواسطة قومندان الجهة ، أن يقوم فى الحال من بيلان ، وهى الجهة التى هو بها ، ويرجع إلى الاستانة ؛ وأن أحد الضباط المصريين الذين هم تحت أمره فى قولاق بوغاز ، صدر له أمر بهذا المعنى ، فأجابه توفيق بك على ذلك بأنه لا يستطيع أن يتحرك إلا بأمر من الجناب الخديوى ، وأنه كتب إلى مرءوسيه بهذا المعنى . وبعد هذا طلبت السلطة المحلية أن تنقل الأشياء والحيوانات من بيلان إلى الاسكندرونة ، وأن يبقى هو فى بيلان إلى أن يصدر أمر الجناب الخديوى بالقيام ، فرفض توفيق بك أن يصدع بهذه الاشارة بالمثل ، وأبى أن يتحرك إلا إذا صدر له أمر أفندينا .

وفى ١٢ منه توجه سموه إلى ببك ، وقابل البرنس ابراهيم حلمى باشا ، وسيف الله يسرى باشا ، ومحمد عزت باشا ، ثم محمد فريد بك ؛ وقد أطلعه سموه على

البرقيات الواردة من توفيق فهمى بك ، فكان وقعها سيئاً جداً على فريد بك .

شعور الخديو فى ظروف مختلفة . تحت هذا العنوان سجلت حالات الخديو النفسية ، وشعوره فى بعض الظروف التى كانت تحيط به فى الأستانة ، وبالقضية المصرية :

ففى ٤ نوفمبر كان سموه يفكر كثيراً فى المصريين بعد إعلان الحرب ، ويتساءل عن حالهم مع الانجليز ، ويقول إن الموجودين الآن خارج القطر من السعداء ، فالحمد لله على وجودنا فى الأستانة . وقال أيضاً : وأظن حالة رشدى باشا على الخصوص صعبة حرجة ؛ وأظهر التأسف والحنان على رجاله ، وعلى المصريين عموماً .

وفى ٥ نوفمبر قال الخديو : إننى أشعر أن علىّ واجباً سأؤديه دائماً متى رجعنا إن شاء الله لمصر ، وهو أن أمنع تدخل الحزب الوطنى أو أى حزب آخر فى أمور الجيش ، بل أجعله بعيداً عن السياسة ؛ وأجعله فى الوقت نفسه مطيعاً لى .

وقال سموه : إن ملك أسبانيا موجود فى وسط أحزاب ثورية ، وديمقراطية ، وجمهورية ؛ ولكن القوة التى يعتمد عليها فى بقاء ملكه هى قوة الجيش ؛ فإنها فى قبضة يده .

وفى ١١ نوفمبر كنت بحضرة الخديو مع فريد بك ولبيب بك ، فتأثرت مما فاه لنا به سموه ، خصوصاً قوله : « إننى أهتم بالمسألة المصرية ؛ لأننى أعرف أن دم الأهالى نشيط ؛ ويجب أن يعمل ، ويتقدم ، ويأخذ بالعلوم العصرية ، ويسير فى طريق النجاح . وحرام أن تترك أمة لها هذه الصفات التى لولاها لما كنت أهتم بها ، وأشتغل لمساعدتها ، ولا كتفيت بالثلاث والعشرين سنة فى الحكم ، وقعدت فى بيتى . فاهتمامى بالحملة واجب علىّ ، كما يجب منع كل شقاق يحصل بين الأهالى . نعم إنه توجد أحزاب ، ولكنها ترمى إلى غاية واحدة ، وهى خلاص البلاد من أى احتلال أجنبى . فأنا أساعد الجميع ؛ لأن غايتهم غايتى . »

وفى ٢١ نوفمبر بعد أن تناول سموه الغداء ، أعرب عن أسفه ، لأن الأمة المصرية ليست بقادرة على إثبات حقوقها ، وحفظ كرامتها بقوتها الذاتية ؛ وروى أنه لما كان ولياً للعهد ، كان يقرأ بعض أشياء ووقائع فى الصحف ، فلا تعجبه بعض التصرفات التى يقرأ عنها ، ويفضى باحساسه هذا إلى المرحوم والده ، فكان يصغى لما يقول ؛ إلا فى مرة من المرات ، دعاه فيها أن يسكت قائلا له : إن من يقول بقولك يجب أن يعتمد على قوة من الأمة ، والأمة — مع الأسف — ليست بذات روح . ومما قاله سموه فى هذه

الجلسة فى سياق الكلام عن حياته السياسية : إننى لما توليت الحكم كنت صغير السن ، وأقمت ثلاثا وعشرين سنة أنتقل فيها من شدة إلى أخرى : فقابلنى فى أول أمرى مسألة إسقاط نظارة مصطفى فهمى باشا ، وبعدها حادثة رياض باشا فى الفيوم ، وطلب منى التوقيع على بلاغ رسمى باستحسانى لما شاهدته من نظام الجيش ، فسألته الانتظار حتى نبلغ القاهرة ، وربما تكلمت مع قنصل انجلترا الجنرال فى ذلك . وطلبت منه أن يعدل عن خطته ، فصور لى أنه لابد من التوقيع قبل دخول القاهرة وإلا حدث ما لا تحمد عقباه ، فوقعت . وما قصد الانجليز بذلك إلا أن يمسوا نفوذى ، وينقصوا من سلطتى . وقد بقيت بعد هذا الحادث فى حياة كلها صراع ، ودخلت البلد ولم يكن فيه غير مستشار الداخلية ، ومستشار الحقانية من الموظفين الانجليز ؛ ثم ما لبثوا أن ملئوا المصالح المصرية بهم . والمصلحة الوحيدة التى بقيت بأيدينا ، وهى مصلحة الأوقاف ؛ وكنا نظن أنها تبقى دون أن يمسها الاحتلال ؛ لأن لها علاقة بالدين ، ولكنهم فى السنة الماضية أخذوها منا . وقد بلغ من تأثرى المترتب على هذا الصراع الدائم أنى اعتقدت أن شتاء السنة الماضية هو آخر شتاء لى فى مصر ، وأن الانجليز سيمنعوننى فى صورة من الصور من العودة إلى بلادى . هذا فضلا عن التهديدات التى كانت موجهة إلى شخصى . ثم انتقل سموه إلى فكرة أخرى ، قائلا : لقد عشنا طول مدة الاحتلال الانجليزى ونحن نقول: يجب ألا نعمل هذا حتى لا يغضب الانجليز . وإنى لأخشى أن نقول من جديد متى دخل الجيش العثمانى مصر ، يجب ألا نعمل هذا حتى لا يغضب العثمانيون ، فنبقى على الدوام عبيداً لغيرنا . إنى لست رجل مصلحة ، وإنما أنا أبحث عن مصلحة مصر ، قبل كل شىء .

فاذا كان دخولنا مصر لا يحقق مصلحتها ، فماذا يفيد دخولنا إياها ؟ وماذا تجدى عليها عودتنا إليها ، إذا كنا نجد فيها جماعة قد حولوا المصريين من كونهم عبيداً للانجليز إلى كونهم عبيداً للعثمانيين ؟ وكيف يضمن أى منا سلامته ، إذا دخل مصر فى هذه الظروف ؟

ثم وجه الكلام إلى فريد بك قائلا : لا يبعد أن هؤلاء الناس يأخذونك أنت وغيرك للاعدام أو للسجن ، فهذه حالة سيئة .

وسكت سموه ثم قال : إننى رجل إذا قلت كلمة شرف ، تمسكت بها ، وإنى أحمد الله على هذا الخلق . وقد أعطيت السفارة الألمانية كلمتى : أن أكون صريحاً مع العثمانيين ،

بوصافيت رجال الحكومة العثمانية ؛ ولكن هؤلاء الرجال لم يظهروا لنا صفاء يقابل صفاءنا .

وقد اقترحت فى نفس هذه الجلسة ثلاث اقتراحات :

١) أن يسافر فريد بك مع الحملة العثمانية

٢) أن يرسل معها قوميسيرا يمثل السلطة الخديوية ، وذلك لأنه عند دخول الجيش يجب أن يعلم الناس أن هذه السلطة لازالت قائمة ، ولأنه من الواجب اشتراك هذه السلطة مع الجيش العثمانى فى القيام بالأعمال التمهيدية اللازمة لحين رجوع الجناب العالى إلى مقر ملكه .

قلت إن هذه الخطة كان قد اتبعها المرحوم توفيق باشا فى الحوادث العرابية ، إذ أوفد سلطان باشا وبعض ضباط المعية مع الجيش المحتل (وهنا قال فريد بك : وكان مع سلطان باشا والدى أيضاً)

وفوق هذا فان على الحملة مندوباً يمثل جمعية الاتحاد والترقى ، وهو اسماعيل حقى بك ؛ ومندوباً آخر يمثل ناظر الحربية أنور باشا ، وهو ممتاز بك . فمن الواجب أن يسير معها مندوب يمثل السلطة الخديوية

أما الخديو فلم يبد رأياً فى هذا الموضوع .

٣) أن يسافر أحد رجال الجناب العالى كيوسف صديق باشا مثلا إلى أوربا ، لتعرف الحالة هناك بالانضمام إلى الأمير محمد على ، وتكوين هيئة منها للحصول على التأكيدات من بعض الملوك بعدم مس امتياز مصر .

وفى هذا اليوم قال سموه : إن بدرى بك ، الذى تولى التحقيق من قبل الدولة فى حادثة الاعتداء ، كان يعارض فى القبض على الدكتور فؤاد ، ويقول : إنى أقبض على كل من يطلبون القبض عليه إلا الدكتور ، فلماذا ذلك ؟ وهل بعد كل هذا يسمحون له بدخول مصر ؟ وقال سموه : ولا شك أن دخوله علامة على نيات لانعرفها ، فهم سيولونه إدارة الضبط ، وعند ذلك تصبح البلد سيئة الحال . ثم سكت سموه قليلا ، وقال : ماذا تكون الحال إذا أمرنا ناظر الحقانية فى مصر بالقبض على الدكتور فؤاد ومحاكمته ؟ وحينذاك يكون أول إشكال بيننا وبين العثمانيين .

ثم قال سموه على أثر إشارة أبداها جلال الدين باشا : إنى رجل عشت مرفوع

الرأس ، وأفضل أن أعيش فرداً فقيراً على أن أكون خديوياً فى ظروف لا أستطيع فيها أن أخدم بلادى .

وبالجملة فقد كان الخديو فى غاية التأثر اليوم من هذه الحوادث ، وكان كلما أبدى أحد رجال الحاشية أن هذه تدابير الشيخ جاويش أو الصدر الأعظم ، يقول : لا ، هذا عمل رجال الاتحاد والترقى .

وفى ٢٢ منه قال الخديو عن خطة الانجليز إزاء سموه : إنهم ينتظرون قيامى من الاستانة إلى مصر بطريق البر ، ليعتبروا هذه الحركة عصياناً لحكومتهم ، فيشرعوا بعد ذلك فى تعيين البرنس حسين كامل ، وفى وضع أيديهم على أملاك الخاصة .

وفى ٢٤ منه ذكر سموه أن الأتراك يفكرون فى الطرق والوسائل الواجب اتباعها لمنع المظاهرات لسموه فى أثناء مرور ركابه العالى فى البلاد السورية . ومما فكروا فيه أن يجعلوا جلالة السلطان محمد الخامس يصاحب سموه بطول الطريق ، حتى إذا حدثت مظاهرات تكون معتبرة كأنها موجهة لجلالته لا لسموه .

وفى ٢٥ منه ظهرت وطنية سموه بأجلى مظاهرها فى أثناء تناول الغداء ، وكان الكلام دائراً على الوطنية ، فقال : كيف لا تكون لى وطنية مصرية ؟ إننى لو رفضت عائلتى هذه الوطنية لتبرأت منها . وكان هذا بمناسبة قول الدكتور سيد كامل ، بأنه عمل بدلة نفر عسكرية ، ووضع له أزراراً مصرية . فقال أفندينا « نعم » ، وفاه بالعبارة المتقدمة .

فى أول ديسمبر بعد مقابلة عباس لسفير ألمانيا ، وكلام سموه له بشدة عن معاملة الأتراك السيئة له ، روى لنا ما جرى بينهما وهو متألم أشد الألم ، حتى أنه قال :

إننى لم أخطىء مرة فى عمرى مثل هذا الخطأ ، ولم أقع على بوزى (وجهى) مثلما وقعت فى هذه المرة . وأنا لا أدرى بأى وجه أقابل الناس بعد وقوعى فى هذا الفخ (أى بعد الثقة فى رجال الدولة العثمانية ، وعدم مقابلتهم المثل بالمثل) . بأى وجه أقابل حسين رشدى باشا ، وقد أرسل يقول لى أن سياستى عظيمة الخطأ ؟ وعدلى يكن باشا وهو الذى كتب تلغرافاً مفتوحاً بأنه لا يوافق على هذه السياسة ؟ والمسكين محب باشا الذى بقينا نقنعه بصواب سياستنا حتى قال « ها إنى معكم » ؟ وأباظه باشا الذى كنا نقول له دائماً إنه لا يلبث على مبدأ ؟ وعثمان مرتضى ؟ هؤلاء الناس محقون ونحن المخطئون !

وذكر الدكتور سيد كامل لسموه أنه من الضرورى ترك الآستانة فى أقرب وقت ، والاقامة فى الخارج إلى أن تنتهى الحرب ، وأن ما يجب أن يعنوا به فى الوقت الحاضر هو الخروج من أرض الدولة .

فقال الخديو : المسألة أن نخرج سالمين . ثم قال : لستم أنتم الذين أصابكم الرصاص الذى أصابنى .

وذكر الدكتور سيد كامل أنه يجب بعد الخروج من حدود الدولة ، أن تصبح سياستنا قويمة ، بحيث لا الانجليز ولا الأتراك يستطيعون أن يعيبوا علينا خطتنا ، لأننا مخلصون لمبادئنا فى خدمة مصر ، من أول الأمر إلى النهاية .

فقال الخديو : إن الاتراك أظهروا اشمئزازهم لفكرة مصاحبة سموه للجيش العثمانى إلى مصر ، حتى أن ولى العهد عز الدين أفندى طلب أن يرافق هو هذا الجيش بدلا من الخديو الذى هو أجنبى ، على قول ولى العهد . والخلاصة أن سموه كان يتألم لأنه وثق بالاتراك ، وتعاهد معهم ، فخانوا عهده؛ حتى أنه قال :

« إننى لا أكاد أصدق أن هؤلاء الاتراك وهم مسلمون مثلى يخدعوننى هذه الخديعة »

فى ٧ ديسمبر توجه الجناب الخديوى إلى بيك ، حيث زاره فيها الدكتور خيرى باشا الطبيب الخاص لجلالة السلطان ومعه ثابت بك ، ودار الحديث بينهما وبين سموه فى مسألة زواج الأمير عبد المنعم من إحدى كريمات السلطان ، فأظهر سموه نفوره وعدم ارتياحه لمحادثته فى مثل هذه الظروف الحاضرة . ثم قال بالفرنسية : كنت أرضى أن أصفح ، ولا أكلم فى مسألة زواج . هل هذا الوقت وقت زواج ؟ وفى أثناء تناول الطعام اليوم ، صرح الجناب العالى بشدة ميله إلى فرنسا ، وأسفه على المصائب العظيمة التى تحيق بها فى الوقت الحاضر .

وفى ١٠ منه حادث سموه حاشيته كالمعتاد ، فظهر أن ينظر إلى مستقبل القطر عند دخول الأتراك نظرة سوداء ، فقد طعن فى إدارة الأتراك ، وتكلم عن عدم كفاءتهم للحكم ، وذكر خطبة لسعد باشا زغلول عن حكم المصريين لأنفسهم وقال « إننى أحمد الله لأنه لا طريقة للمواصلة بينى وبين سعد باشا . وسيعلم الأتراك من كلام سعد باشا أن هذا هو إحساس المصريين بدون تأثر منى . أما الفريق الدينى المتطرف من الحزب الوطنى وعامة الشعب فسيمجد الأتراك ، ويظهر سروراً لتوليهم الحكم فى القطر . »

ثم أبدى سموه تخوفه الشديد من أعمال الأتراك فى مصر ، وأنه يتوقع منهم التخريب ؛ ولكن الذى يخافه أكثر هو ليس التخريب المادى ، بل إفساد الأفكار وتسميمها ، حتى أن سموه يتوقع أنهم متى دخلوا القطر ، هيأوا ثورة فى البلاد سيئة العاقبة .

وكان دائماً يقول : إن الأتراك بمجرد دخولهم ينشئون فى طول القطر وعرضه جمعيات للاتحاد والترقى ، فيقسمون الشعب أحزاباً غير مفيدة للبلد ؛ وكذلك يستعمل القائد جمال باشا سلطته ، ويمتص دم المصريين ؛ ويجلس أحد المصريين المعادين لنا على بابه كتشريفاتى ، ليدخل العمد والأعيان ، فيأتونه بالمال والعقار . ثم قال سموه : ومن يدرينا إذا كانوا يستعملون ضدى السلاح من جديد (مشيراً بذلك إلى حادثة الاعتداء) . واستشهد سموه على ما تقدم بأن الأتراك أدخلوا إلى مصر كمية عظيمة من الديناميت ؛ ثم عاد فأبدى خوفه الشديد من أن ينقاد المصريون إلى الأتراك انقياداً أعمى ، وقال : إن الأتراك ينوون إبقاء جيش منهم فى القطر (وهذا ما سمعته أنا أيضاً عندما كنت فى روما من السفير العثمانى) يقدر بثمانية آلاف عسكرى ، لتعليم الجيش المصرى . ثم عاد سموه فأظهر أن الحزب الداخل إلى مصر مؤلف من فؤاد سليم بك ، والدكتور احمد فؤاد ، وحلمى المسلمى افندى ، وأمثالهم ، سيشتغلون باعداد حركة ثورية فى مصر .

وقد حاول جميع الحاضرين تخفيف هذه الصورة السوداء التى رسمها سموه . ولكنه لم يقتنع ، وقال : سأذكركم بكلامى هذا فيما بعد ، فلا تنسوه .

وفصل سموه سياسة الاتراك نحوه فى هذه الأيام الأخيرة ، قائلا : إن رجال الحكومة هنا كانوا يريدون أن يدخلوا مصر ، ثم يضطروا مجلس النظار إلى قبول شروط يضعونها له ، ثم يعودوا فيقولوا لى ها قد قبل مجلس النظار شروطاً كيت وكيت ، فاقبلها أنت بالمثل ، ويجعلوا دخولى إلى مصر معلقاً على قبول هذه الشروط . ولما علمت أن هذه ألعوبتهم ، عمدت إلى طريقة لا قبل لهم بها ، فلم يستطيعوا مجاوبتى . وسنسافر من هنا حيث نحبط سياستهم القاضية بالزامنا قبول شروط يتوقف عليها دخولنا مصر .

وقال جنابه العالى بخصوص مانقله محمد راسم بك عن قول محمد سعيد باشا : « أنا أرفض رياسة مجلس النظار ؛ لأن خديو مصر ليس هو الذى يعيننى ، بل يقول : لأن الخلافة فى حرب مع انجلترا . وهذا كلام كاذب يقصد به التملق بادىء ذى بدء إلى رجال الحكومة العثمانية . »

وفى ١٤ منه قال سموه إننى قد انتهيت من دورى فى الخديوية المصرية ؛ لأن الانجليز إذا انتصروا فلا أستطيع أن اشتغل معهم .

قلق ايطاليا من الحملة التركية والتأمينات واشتداد القلق لاعلان الجهاد.

فى ٦ نوفمبر بناء على تمهيد يوسف صديق باشا لدى سفير إيطاليا ، وبناء على أمر الخديو ، زار اليوم فريد بك السفير المذكور ، وأكد له بصفته رئيساً للحزب الوطنى ، أن الأهالى لا يبغضون إيطاليا ؛ وأنه فى حالة دخول الحملة إلى مصر ، لا تقوم الأهالى بأى عمل عدائى ضدها ، وأنه يرجو أن تتحسن طرق المواصلات بحراً بين طرابلس ومصر ، ويتسع نطاق التجارة ؛ فأظهر السفير ارتياحه لقول فريد بك .

وقد قال الخديو إن بعضاً من رجال الحزب الوطنى جرى مع الطليان على خطة تجعلهم لا يحسنون الظن بهم ، لأنهم طلبوا مبلغ مليون فرنك عن كل أسير من الطليان عند السنوسى ، وكانوا أربعين ألفاً ، ونزلت المساومة إلى ألف فرنك عن كل واحد ، وقال عبد الله طلعت بك لسموه بأنهم طلبوا مبلغاً كبيراً فى البداية ، حتى يصلوا إلى المبلغ الصغير فى النهاية

وفى ٧ منه اجتمعنا عند فريد بك ، وكان معنا اسماعيل لبيب والدكتور سيد كامل .

وافتتحت الجلسة بالحديث عما نشرته الجرائد التركية والألمانية فى سياسة الدولة مع إيطاليا ، وأن الأتراك لا يضمرون لها سوءاً من تجريدتهم على مصر . فقلت إنهم عملوا ما يجب عليهم ، كما أن فريد بك روى الحديث الذى حصل بينه وبين سفير إيطاليا

وفى ٢٥ نوفمبر زار سمو الخديو سفير إيطاليا ، فقال له السفير إن سفيرى ألمانيا والنمسا حضرا ، وأكدا لى أن التجريدة التركية لا تغير شيئاً فى حالة مصر السياسية ، ولا فى الخديوية . ولكنى أسمع الآن أقوالا كثيرة ، منها أن الأتراك ينوون ردم القناة ، فأين تذهب مصالح إيطاليا فى هذه القناة ؟ ثم أسمع أنهم يريدون جعل مصر ولاية عثمانية ، وهذا يخالف ماسمعته أولا ؛ وأنه يوجد خلاف بينكم وبينهم . فقاطعه سمو الخديو قائلا : لا . ليس بيننا خلاف .

فأجاب السفير: إننى سمعت أنهم أرسلوا الدكتور احمد فؤاد إلى مصر . فاستغربت هذا الخبر . قال أفندينا : كل هذا إن شاء الله يزول ، وأؤمل أن الايطاليين يكون لهم حظ وافر ، ومناصب بمصر أرقى مما هم فيها . فسر السفير من هذا الكلام ، وقال : إننى لا أعلم

كيف تتمكنون من نزع السلاح من أعوان السنوسى إذا حضروا لمصر، وتسلحوا، وأخذوا مايلزمهم من الذخيرة (وهى فكرة سياسية تقوم لها إيطاليا وتقعد، وتلح فى عدم مكث الأتراك فى مصر حتى لايشتد ساعد السنوسيين).

وفى ٢٧ منه وردت إشارة تليفونية على سراى بيك من يوسف صديق باشا، يقول فيها بأن السفارة الايطالية أرسلت برقية بالأمس تبلغ كلماتها ألفى كلمة، وشملت المسائل التى تهمنا وتهمها، وذكر أن سفير ألمانيا تكلم مع طلعت، وأنور باشا، وخليل بك رئيس مجلس المبعوثان، لاعطاء التأمينات لسفير إيطاليا بخصوص الحملة التركية على مصر

اشتداد القلق لاعلان الجهاد: وقد أعلنت الدولة الجهاد الدينى، فكان ذلك سبباً فى اشتداد قلق الايطاليين(*):

فتوى إعلان الجهاد:

إذا هوجم الاسلام من قبل أعدائه هجوماً ما، يهدد كيانه، ويجعل البلاد الاسلامية عرضة لغضبهم وغارتهم، حتى خيف على النفوس الآمنة بها أن تقع فى ذل الأسر والاستعباد، ودعا الخليفة إزاء هذه الحالة جميع المسلمين فى مختلف الأقطار للذود عن حوزة الاسلام، والدفاع عن عرينه. فهل يفرض عليهم أجمعين، شباناً كانوا أوشيوخاً، مشاة أو فرسانا، المبادرة إلى إجابته بأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم؟ عملا بقوله تعالى «انفروا خفافاً وثقالا، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم». الجواب: الله أعلم، يفرض عليهم ذلك فرض عين

كتبه الفقير اليه تعالى

خيرى بن عونى الأركوبي

عفى عنهما

هل يفرض والحالة هذه على المسلمين القاطنين فى البلاد التابعة للدولة الانجليزية والفرنسية والروسية وغيرها من الحكومات التى قد أظهرت الآن عداءها الكامن نحو الخلافة الاسلامية، وأرادت أن تطفىء نور الاسلام - لا قدر الله - بأن هاجمت مقر الخلافة، وسائر بلادها بخيلها ورجلها وأساطيلها، أن يشقوا عصا طاعتها ويبادروا إلى قتالها؟ الجواب الله أعلم، يكون ذلك فرضاً عليهم.

كتبه الفقير إليه تعالى

خيرى بن عوني الأركوبي

عفى عنهما

(*) هذه الصورة مترجمة من اللغة التركية.

وإذا تخلف ، والحالة هذه ، بعض المسلمين عن أداء واجبه ؟ فى حين أن الغرض لا يتم إلا بتنبيه الكل لنداء : « انفروا جميعاً » . هل يقترف بتخلفه هذا إثماً عظيما ، يجلب غضب الله عليه ، ويستحق العقاب ؟ الجواب : الله أعلم ، يستحق ذلك .

كتبه الفقير إليه تعالى
خيرى بن عونى الأركوبى
عفى عنهما

وإن قاتل ، والحالة هذه ، المسلمون القاطنون فى البلاد التابعة للحكومات المحاربة جنوش الدولة الاسلامية ، ولو كان ذلك باكراه من الحكومة المذكورة ، بأن تقتلهم أنفسهم أو أقاربهم ؛ هل يحرم ذلك عليهم قطعاً ، ويعتبرون قتلة يستحقون نار الجحيم ؟ الجواب : الله أعلم ، يكونون مستحقين له .

كتبه الفقير إليه تعالى
خيرى بن عونى الأركوبى
عفى عنهما

ولو حارب ، والحالة هذه ، المسلمون الذين تحت إدارة الحكومات المعادية للدولة الاسلامية وحليفتيها ألمانيا والنمسا ؛ وهى انجلترا وفرنسا وروسيا والصرب (يوغسلافيا الآن) وقره طاغ الموالية لها ؛ هل يأثمون بذلك وينالون أليم العذاب ؟ الجواب . الله أعلم . يأثمون لأن الدولة تتضرر من عملهم هذا .

كتبه الفقير إليه تعالى
خيرى بن عونى الأركوبى
عفى عنهما

وفى ٢ ديسمبر بينما كنت فى القطار فى ميلانو قاصداً روما وجدت طليانياً يظهر عليه أنه من السياسيين ، إذ تبين لى فى محادثة دارت بيننا ، تخوف إيطاليا من إعلان تركيا الحرب الدينية ، فقلت له إن الدولة لا تعنى البلاد الاسلامية الواقعة تحت حماية إيطاليا ، وأنها أعطت التأكيدات القوية بذلك ، فقال: ولكن كيف يمكن منع التعصب الدينى ، وقد قام العرب الآن بمحاربة الايطاليين ؟ والخلاصة أنى فهمت منه أنهم لا ينظرون إلى حرب الدولة فى مصر بعين الارتياح .

وفى أثناء وجودى أيضاً فى روما ، ظهر لى أن القلق سائد فيها من جراء الحملة التركية على مصر ، ومن إعلان الجهاد ، سواء كان ذلك فى دوائر الحكومة ، أو بين الأفراد . فليراجع القارىء ذلك فى محله .

كيف تخابر عباس مع مصر بعد دخول تركية الحرب ومع المنفيين في مالطة. لما دخلت تركية الحرب انقطعت المراسلات بين عباس والقائمقام، وأعد الانجليز للموقف عدته، وتيقظوا لخطورة الساعة، ونشروا عيونهم فى أرجاء البلاد، تراقب وتتجسس وتعمل؛ وكان الذين يفدون من الخارج، وعلى الأخص من بلاد الأعداء، أو من البلاد التى تماثلها — موضع تفتيش دقيق، ومراقبة صارمة؛ فكيف استطاع سمو الخديو أن يدخل إلى مصر — وهو على هذه الحال — رسائله؟ هاك الجواب:

فى ١٩ نوفمبر سافر الباشجاويش على إلى الضلمان. وكان الغرض أن يندس بين العمال السنوسيين الذين فيها، ويرحل معهم إلى مصر، باعتباره بحاراً ممن كانوا يشتغلون بجهة رودس، وأوقف عمله، فيرجع إلى مصر؛ ومتى وصل إلى الاسكندرية يقابل بعض المصريين، ويعلم منهم أخبار مصر، ويكتبها فى ورقة، ويضعها بين شق لوح خشب، من صندوق يحمل فيه ملابسه، ويهربها، ويحضر بها إلى الأستانة.

وفى هذا اليوم تشرف (ف. افندى) بمقابلة الخديو فى جبوقلى، وأمر أن تكون عودته إلى مصر، ونفقاته فى الطريق، على الجيب الخاص.

وقد كلف (ف. افندى) بأن يقابل عند وصوله إليها أحمد صادق بك، ويعرفه بأن الأخبار مقطوعة عنا، وألا يترك بوستة تسافر إلا يرسل شخصاً معها إلى جبوقلى، يودعه أخبار مصر، وأن يرسل احمد قبودان، وابرهيم قبودان فى بريدين متواليين، ويستمر على إرسال الرسل؛ وأن تكتب الأخبار — بالحبر أو الرصاص — على حرير أبيض يخاط داخل بطانة معطف أو جاكتة أو سروال، وألا يكون الرسول من المعروفين بعلاقتهم مع السراى، ولا تؤخذ له تذكرة إلى الأستانة مباشرة؛ وإنما إلى رودس أو إلى حيفا، بحجة الذهاب إلى المدينة المنورة.

وكان فى الاستانة محمد افندى أبو نافع، أحد المنتمين إلى الخديو، وهو معروف بالجرأة والاقدام، فكلفه الخديو بادخال رسائله إلى مصر، ودفعها إليه، وقال له: «هذا وقتك يا أبا نافع» فأجابه باستعداده لتنفيذ أوامره، ثم قال: «هذه هى الرسائل وادفعها بيديك لأصحابها»، وكتب هذه الرسائل فى جبوقلى محب باشا، وصاحب هذه المذكرات، ويوسف صديق باشا، وعبد الله البشرى بك، والدكتور سيد كامل — باملاء سموه. وقد وقع على بعضها، ووقعنا نحن على الآخر.

وكان الدردنيل مقفلا فى ذلك الوقت ، والأتراك يعملون على ملئه بالألغام ، وتحصينه ، فأخذ « ابو نافع » القطار إلى دده أغاج ، ومنها استقل الباخرة الأمريكية التابعة لشركة الحاج داود إلى مصر . فلما وصل إلى بيريه ، أرسل عيون الانكليز برقية مستعجلة إلى السلطات الانجليزية بمصر ، يلفتون نظرها إلى مصرى قائم مع هذا الوابور.

وقد علمنا فيما بعد أن الباخرة وصلت فى المساء ، وفى صباح اليوم التالى ، صعد على ظهرها بعض الضباط الانجليز ، وحصلت مشادة كبيرة بينهم وبين القومندان ، فكانوا يصرخون فيه بالانجليزية التى لا يعرفها ، وهو يصرخ فيهم باليونانية التى يجهلونها . وجاء المسيرى بك إلى المركب فى الساعة العاشرة ، واجتمع بأبى نافع ، ونصح إليه أن يعدم الرسائل التى يحملها ، وأفهمه بأن موظفى السراى أوصدوا أبوابهم حين علموا بقدومه ، خيفة أن يمر برسائله عليهم ، وسافروا إلى مصر . ولكن الموقف كان يتطلب رجلا كأبى نافع حقاً . . . فانه أعطى كلمته لمولاه بأنه يوصل الرسائل لأربابها ، وكان عليه أن يعمل الممكن وغير الممكن لتحقق الارادة السنية . وكيف كان يستطيع إعدام الرسائل والجند تحيط بالمركب من أسفل ، والضباط يملأونها من أعلى ؟ وهو إذا حاول حتى إحراقها ، أوقع نفسه فى شبهة جسيمة ! فلما انتصفت الساعة الحادية عشرة كانت المشادة بين ربان المركب والضباط الانجليز قد بلغت أشدها . فانتهز أبو نافع ، الفرصة ، ونقل حقيبته إلى الغرفة التى تجاور غرفته ؛ وكانت لقنصل الروسيا فى بيروت ، ومعه أسرته ؛ ثم أسرع فتدخل فى المناقشة بين القومندان والضباط الانجليز ، وترجم بينهما من الانجليزية وإليها باليونانية ، ففرح الطرفان بوساطته ، وزال سوء التفاهم من بينهما . ثم دعاهما للبدء بتفتيش غرفته ، ولما فرغوا منها وجاوزوها لغيرها ، أعاد حقيبته إليها . وبهذه الحيلة نجح فى اجتياز العقبة الأولى من مخاطرته .

وكان أبو نافع (حماية اسبانيولى) ، والخبر الذى وصل السلطات كان عن مصرى يحمل الرسائل ؛ فلما دفع إلى الضباط بجوازه أخلوا سبيله ، على أن يقصد إلى الجمرك ليفتش مرة أخرى . وفى ذلك الوقت وصل منيب افندى من موظفى السراى الخديوية ، ومعه فلوكه من فلائك المحروسة ، يسيرها ستة من البحارة المصريين الأشداء ، فنزل معهم ، واستقلها إلى ناحية الجمرك . فلما غاب عن المركب ، ودنا من الجمرك ، أمر البحارة فاتجهوا بسرعة وبخفة لناحية الحوض الذى ترسو المحروسة فيه ، ثم خرج من رصيفها إلى السراى ؛ ولما لم يجد أحداً بها توجه إلى المحطة رأساً . وهناك وجد كبار

الموظفين ، وكان أباظه باشا معهم ، يقصدون الرحيل بقطار الساعة السادسة مساء إلى القاهرة ، فركب معهم ؛ وكان الذعر من وجوده بينهم يقرأ على جباههم ، وسلمهم الرسائل التى تخصهم . ثم استقل هو قطار الركاب إلى القاهرة ، وسلم الرسائل إلى أصحابها. ذلك تفصيل وصول رسائل سمو الخديو إلى أصحابها ؛ أما مضمون هذه الرسائل فكانت توصية من سموه لكبار مملكته بأن يقفوا فى صف بلادهم ، وألا يأمنوا خصومها ، وبأنه اعتزم على أن يعمل على تحرير بلادهم ؛ وطلب إليهم أن يكونوا عند حسن ظنه بهم .

قبض الانجليز على بعض المصريين الموالين للخديو ونفيهم إلى الخارج : لما سافر عبد الله البشرى افندى بالأمر إلى دده أغاج ، اتصل ببحارة الباخرة سعيدية . وقد علم من التحريات التى أجراها :

أولا — أن الحالة فى مصر على ما هى عليه ، وأن مصلحة الخاصة الخديوية والمعية السنية تشتغلان كالمعتاد .

ثانياً — أنه قبض على بعض المصريين ، وأودعوا سجن القلعة أو طره ، ومن بينهم محمد ابراهيم افندى رئيس القسم التلغرافى فى المعية السنية ، وحسن حلمى بك ، وحامد العلايلى بك من رجال التشريفات ، وياور آخر ، والمظنون أنه حسن حسنى شفيق افندى — وقد أرسلوا إلى مالطة .

ثالثاً — أن البرنسات : محمد على ، وعزيز حسن ، وكمال الدين ؛ ومحب باشا ، قد أخرجهم الانجليز من مصر ، على أن يقيموا فى إيطاليا .

فقال سموه عندما علم بهذه الأخبار ما يأتى :

« إن حامد العلايلى بك كثير الكلام ، فهو ينتقل من فندق إلى آخر ويتكلم ؛ ولكن الذى لا أفهم له معنى هو القبض على حسن حلمى بك الغلبان . » ثم قال سموه إنه من الغريب لما كان فى الاستانة ، كان يقول إن المصريين يقاومون عن آخرهم هجوم الأتراك على بلادهم ، ولما دخل عند الانجليز قبضوا عليه .

وقد قبض الانجليز على أبى نافع لتسليمه الرسائل لأصحابها . وقد كتب سمو الخديو كتاباً للمعتقلين المصريين ، هذا نصه :

« عزيزى حسن :

« علمت بخبر اعتقالك ، وأمين حلمى ، وأبى نافع ، والصباحى ، والعلايلى ،

وعبد الرحيم صبحى ، وإرسالكم إلى مالطة ؛ فبقدر ما ساءنى الحجر على حريتكم ، قد سرنى إخلاصكم وحميتكم . إننى أعطف من قلبى عليكم ، وأقدر تضحيتكم . ولا شك أنكم تحتملون الأسر بالشجاعة المعهودة فيكم . إن الله أعظم من أن ينسى لبلادنا مظالم خصومنا . وإذا كان من ألمى أن أعرف بما أصابكم فى سبيل البلاد ، وفى سبيلى ؛ فانى مبتهج فى الواقع لمضى الانجليز فى التنكيل بالبلاد ، وبأهلها ؛ ليعلم من يحسن الظن بهم أن هذه فعالهم . ولما تصح البلاد لهم فما يفعلون غداً إذا تحقق لاقدر الله حكمهم بضمها للأملاك الانجليزية ؟ أقبلكم فرداً فرداً ، وأرسل إليكم تحية ممزوجة بشوق وعطف وسلام ؟

عباس حلمي

وفى ٢٣ نوفمبر حصلت مباحثة أمام أفندينا ، كان موضوعها كيفية إرسال تعليمات إلى رشدى باشا عند دخول الجيش التركى إلى العاصمة ، خوفاً من أن جمال باشا يستأثر بأعمال مصر الداخلية ، وربما ارتمى الأهالى على أقدامه ، وتملقه رجال الحكومة أكثر من اللازم . فأجاب أحدنا بأن (ى . بك) ينوى دخول مصر ، فيمكن أن ترسل إليه أوامر أفندينا ، وهو يبلغها إلى رشدى باشا ؛ فقال سموه إنه لا يمكننا الاعتماد على البك المذكور ، لأنه ربما منعه الانجليز من دخول مصر ؛ واقترح إرسال المسيو سمناتى المهندس المعمارى ، وابنه الموجود فى إيطاليا . وفكر ابراهيم أدهم بك فى تكليف الشيخ حازم الموجود بالمدينة المنورة بهذه المهمة . وطلبنا حضوره إلى حيفا ، وهو مقدم المحمل المصرى ، ومعروف عند الحكومة ، وذكى ، وله معاملة مع المالية المصرية . فلاحظ أفندينا أنه ربما منع من دخول مصر ، ولم يتقرر شىء .

وفى ١٤ ديسمبر بينما كان عباس فى الرفاص ، قاصداً المحطة للسفر منها إلى فينا ، وجه كلامه إلى الشيخ البورينى إمام سموه ، فقال إنه مكلف بمأموريتين ليقضيهما بمجرد وصوله إلى مصر :

الأولى : عليه أن يسعى ، ولو بالواسطة ، لتعريف احمد صادق بك بتوصيل نقود سموه ، ذهباً كانت أم ورقاً مصرياً ، إلى إيطاليا ، باسم احمد شفيق باشا ؛ ويكون التوصيل إما بواسطة رسول لا يعرف أنه من السراى ، سواء كان وطنياً أو أجنبياً ، أو بواسطة بنكو دى روما .

الثانية : هى أن يأخذ معه أوراق التوكيل الرسمية ، ويضعها تحت بطانة الحقيبة .

وبمجرد وصوله، يتفق مع عثمان مرتضى باشا، واحمد صادق بك فى عمل الوقفية اللازمة بحضور مأذون العقود فى المحكمة الشرعية.

وكان سموه اشتغل منذ عشرة أيام فى إعداد توكيل شرعى للشيخ البورينى، يخول له حق وقف جميع أملاك الجناب العالى فى مصر. وقد وضع فى التوكيل جميع شروط هذا الوقف بالتفصيل.

عرش مصر بين عباس وعز الدين وسعيد حليم. فى يوم ٢٠ نوفمبر توجه سمو الخديو، ومعه يوسف صديق باشا، وعارف باشا، وتوجهت معهم لتهنئة جلالة السلطان بالسنة الهجرية الجديدة. فعلم سموه من جلالته، أن جمال باشا عين قائداً عاماً للحملة المصرية، ثم قال جلالته: «إنه يوجد مناظر لسموك، وهو الأمير يوسف عز الدين افندى ولى عهد السلطنة؛ وقد توجه إلى الصدر وقال له: بما أنه غير معترف بولاية عهده، فهو يطلب تعيينه خديوياً على مصر.» ثم إن جلالته قال لسموه إن الأحسن الانتظار فى الاستانة، وعدم الاستعجال فى الالتحاق بالحملة. وقد كان الخديو يعتقد فى تعيين جمال باشا، أن الحكومة العثمانية تريد بذلك أن يكون بمصر رجل قادر على العمل عند دخول الجيش العثمانى؛ ويظهر سموه تخوفه، وخصوصاً أنه كان يحسن أن يتقابل القائد مع سموه قبل سفره للتفاهم معه. ولكن جمال باشا مسافر غداً، ويقول سموه إن هذا القرار لابد أنه صدر اليوم، وهكذا فان قرارات الحكومة تستصدر فى آخر لحظة.

أما عن طلب ولى العهد أن يكون خديوياً، فان سموه أجاب السلطان بأنه إذا صدرت إرادته بهذا التعيين، فان سموه يرافقه إلى مصر، ويجلسه على الأريكة؛ كما علمنا أن يوسف عز الدين طلب أن يرافق الحملة الزاحفة على مصر. أما قول جلالة السلطان بعدم الاستعجال للالتحاق بالحملة، فظن سموه أن رجال الحكومة العثمانية طلبوا من السلطان أن يفهمه ذلك.

وقد جاء البرنس ابراهيم حلمى، وقال إنه سمع من الصدر بأن جمال باشا تعين قائداً للحملة بدلا من زكى باشا؛ لأن الأخير عين مندوباً عثمانياً لدى إمبراطور ألمانيا. ويقال إن فون ادرغرايز باشا سيعين مندوباً ألمانياً لدى جلالة السلطان. وسأل الصدر الأعظم البرنس ابراهيم عما إذا كان مستعداً للسفر. فقال: نعم؛ ولكن فى أى وقت نسافر؟ فقال الصدر: إننا لا نريد أن يتوجه الجناب الخديوى قبل عبور الجيش العثمانى

قناة السويس ؛ لأنه لو انتصر الانجليز على العثمانيين هناك ، مع وجود الخديو ، فالتاثير يكون سيئاً . وقال البرنس ابراهيم للخديو ، إنه يرى أن معنى ذلك هو أن الأتراك يريدون أن يظهروا أنهم هم الذين فتحوا مصر وحدهم ؛ وبعد دخولهم عاصمة البلاد يقولون لسموه : « اتفضل ادخل » .

أما بالنسبة لمطامع الصدر سعيد حليم باشا فان كل من يقرأ هذه المذكرات يجد فيها شعور الخديو بأن الصدر راغب كل الرغبة فى عرش مصر ، وهذه الرغبة كان يحسها أيضاً سفير ألمانيا ورجال الاتحاديين . ومن ذلك أنه فى يوم ١٤ نوفمبر سمع فريد بك أنور باشا ، فى حديث دار بينهما بخصوص معاكسة الصدر للخديو ورجال الحزب الوطنى يقول : « إن الصدر يحلم بالخديوية المصرية حتى صار متهوساً بهذا الحلم » .

مهمتى السياسية فى ايطاليا ومحادثات هامة ومقابلتى مع الملك وما دار بيننا من الحديث ومحادثات أخرى مع المصريين وغيرهم . فى ٢٥ نوفمبر تقرر سفرى إلى إيطاليا لمهمة سياسية لدى ملكها ؛ ومن الأوامر التى تلقيتها : —

١ — إبلاغ الملك تحيات عباس واحتراماته له ؛ وأنه لاينسى الصداقة الموجودة بينه وبين العائلة الخديوية من قديم .

٢ — التماس نقله من الضلمان إلى إيطاليا على مركب حربى ، إذا أضمر الأتراك سوءاً .

٣ — مساعدة جلالته لو انتصرت انجلتره لتسوية حالته المادية .

٤ — أخذ رأيه فى إمكان نجاح الحملة التركية من عدمه ؛ والسعى فى أن تطلب إيطاليا ألا تمس الفرمانات الخديوية .

٥ — التأكيدات له بأن مصر تحافظ على صلاتها الودية مع إيطاليا إذا نجحت الحملة .

ومن الأوامر أيضاً ، استطلاع الحالة فيها وفى سويسرة . وقد أمر باستخراج الجواز ، ووضعت شفرة مع سموه بجمل متنوعة متفق على معانيها ؛ وودعته كما كنت ودعت أسرتى مساء ؛ ثم نزلت إلى ببك لهذه الغاية ؛ وأخذت من الوالدة خطابات للأميرين محمد على ، وكمال الدين ؛ وخطاباً لابنتها الأميرة نعمت هانم ، وآخر لمحب باشا من حرمه ؛ ونزلت ، وقضيت الليلة فى فندق شاهين باشا ، بالقرب من محطة سركة جى

وأخيراً أمرنى الخديو بمعرفة أسباب خروج الأمراء ، ومحب باشا ؛ وعلى أى شرط تم ذلك ، ومعرفة أخبار مصر الحقيقية ، وأفكار رجال الحكومة المصريين والمحتلين والأخبار العسكرية والجيش المصرى وأفكار ضباطه — يعنى الحالة العسكرية والادارية والسياسية .

وفى أول ديسمبر ، وصلت إلى لوزان ، وقابلت هكسيوس ، وعلمت منه أن سويسرة ملأى بالجواسيس لحساب ألمانيا ، وانجلترا وفرنسا ؛ وقد أفصحت له عما أعلمه عن حالة أفندينا مع الأتراك والألمان . ثم حضر فهمى أفندى قبل منتصف الليل ، فاخبرته كذلك بما أعلمه وقص على ما يعلمه ؛ ومن ذلك أنه باق على قرارنا الذى قررناه فى الآستانة بخصوص إرسال مندوب سرى لمصر . ثم سلمته صورة من الأوامر المطلوب توصيلها إلى حسين رشدى باشا ، بالاحتياطات اللازم اتخاذها عند دخول الجيش العثمانى مصر .

وفى ٢ ديسمبر سافرت من لوزان فى الساعة السابعة ، ووصلت إلى ميلانو فى الساعة الرابعة .

محادثتى مع محب باشا : وفى ٣ منه وصلت فى الساعة التاسعة والنصف إلى روما ونزلت فى فندق الكنتننتال أمام المحطة ؛ وكان فى انتظارى هناك محب باشا ، فتحادثت معه إلى الظهر وأبلغته تحيات الخديو وأن ثقته به كما كانت ، وأنه آسف لخروجه من مصر وحضوره إلى إيطاليا ؛ فقال إنه كان متخوفاً من الوشايات به عند أفندينا ، حتى أنه كان ينتظر أن يستدعى إلى الاستانة ؛ فلما لم يأته خبر بذلك توهم أن سموه غير راضٍ عنه ، وخصوصاً أن ذلك قد انتشر فى مصر عقب البرقية التى أرسلت إلى القائمقام الخديوى ، بألا يحضر إلى الاستانة حتى يصل أحمد صادق بك . فأفهمته أن السبب هو أنه كان قد تقرر استدعاء عدلى باشا لاقناعه بأن يقنع رشدى باشا بتفصيل الخطة التى رسمها أفندينا ، ولم

محب باشا

يوافق عليها رشدى باشا . وبناء على ذلك كان من المستحيل استدعاؤه مع عدلى باشا .
وقال لى محب باشا : إن رجال الحزب الوطنى كانوا قد ظنوا أننى غير مخلص ، وإننى انجليزى ؛ ولكن لما علموا بمعاملة الانجليز السيئة لى ، جاءنى ليلا محمود فهمى حسين بك ، وقال لى إن الحزب الوطنى كان يظن بك السوء ؛ ولكنه تحقق الآن من وطنيتك . ثم قال إنه يعلم بوجود دكريتو على بياض بتعيين الأمير عزيز حسن رئيساً لمجلس النظار ، بدلا من رشدى باشا ، لاصداره وقت اللزوم ؛ وبوجود منشور من أفندينا للأمة المصرية لتحريضها على الثورة ؛ وآخر من قائد التجريدة العثمانية . وأنه يوجد كشف بأسماء مائة وخمسين شخصاً ـ منهم محمد سعيد باشا ـ منوى إعدامهم . قال محب باشا وإن بدر الدين بك أخبره بأن المقابلات بين أفندينا وفريد بك والشيخ عبد العزيز جاويش كانت سرية ، ثم حدثنى عن خروجه من مصر ، قائلا إنه تكلم مع الانجليز بأنفة ، وأفهمهم بأنهم أخطأوا بمنع أفندينا من الرجوع إلى مصر ، لأنهم أجبروه بذلك ، على أن ينحاز إلى الأتراك ؛ فاشمأز الانجليز من هذه اللهجة ، وقالوا لرشدى باشا بأنى أتفوه بأشياء لا يصح التفوه بها . ومن جهة أخرى فان القائمقام الخديوى قد نفر منى لمناقشاتى له فى بعض المسائل الاقتصادية ، فنهور علىّ ، وألجأنى إلى الخروج من مصر . قال محب باشا : ثم قابلنى رشدى باشا فى اليوم الثانى على انفراد ، وسألته عن سبب هذه المعاملة ، فاتهمنى بأنى أسعى لاحتلال مركزه ، إذ كنت أخالفه فى كل مسألة ، اتباعاً لأوامر أفندينا . فأقنعته بعدم صحة ذلك ، فخفت سورة غضبه .

ثم قال : وكان الانجليز يرغبون أن يأخذوا منى معلومات عن حركات أفندينا وسكناته وأفكاره ، فبخلت بها . فلهذا ، وللسببين المذكورين ، قرروا عدم وجودى فى مصر وقال أحدهم أن أقصد مالطة .

ولما قابلنى شيتهم قال لى إنه يرى منحى أجازة أقضيها فى الخارج ؛ وطلب منى تعيين البلد . فقلت أذهب إلى لندن ، فرفض . فسألته أن يختار لى بلداً آخر ، فتقرر سفرى إلى إيطاليا . ثم طلبت مساعدة مالية فأعطونى ثلاثمائة جنيه قرضاً وضمنوا لى راتبى (والذى أعلمه من آخرين أنه أخذ ثلاثمائة جنيه ثم احتسبوا له ثلاثة جنيهات عن كل يوم قضاه فى الاستانة ؛ مع أنه كان فى أجازة ، وضمنوا له راتبه فى مدة الحرب .)

وأبلغنى محب باشا ، أن النظار جميعاً ضد الأتراك ، ما عدا حلمى باشا ناظر المعارف ؛ ثم قال : والانجليز يقولون إنه ليس فى إمكان عباس حلمى باشا أن يرى

جو مصر مطلقاً ، لأنهـم يعتقدون أن له يداً قوية فى تجريدة مصر ، وأنه خانهم ، وأنه يتآمر مع الحملة .

وقد دعانى البرنس عزيز حسن للعشاء عنـده ، وكان معنا نابى بك سفير تركيا ، ومحب باشا ، ومحمد يكن باشا ، واثنان آخران ، أحدهما يسمى فنسى من السفارة التركية وكان فى مصر ويعرف العربية والألمانية .

محادثتى الأولى مع البرنس محمد على باشا : وفى ٤ منـه ، قابلت البرنس محمد على باشـا وسلمته خطاب والدته ، وطمأنته على صحتهـا ، وأخبرته بالحوادث التى دارت بين شـقيقه والانجليز والأتراك ، وطلبت منـه أن يرافقنى إلى سراى جـلالة ملك إيطاليا لتبليغ جلالته سلام أفنـدينا واحتراماته ، فرفض قائلا : إننى عزمت على ألا أتدخـل فى شىء ما . لأنه لم يرسـل لى بطاقتـه رداً لزيارتى للسراى ؛ ولو أن رئيس الوزراء أرسـل إلىّ بطاقته رداً على بطـاقتى لفعلت ! ومن ذلك اسـتدللت على أن رجال الحكومة لا يريدون خرق الحيـاد حتى فى هـذه الأمور ؛ وإلا لـكان الملك استدعانى لزيارته . ثم طلبت من البرنس أن يرافقنى إلى برلين لمقابلة الأمبراطور أو من ينتدبه جـلالته لتقديم احـترام أفندينا وشـكره له على عنايته بتجريدة مصر ، فأجابنى البرنس بالرفض أيضا .

محادثتى الأولى مع مسيو بتشيلى : وفى ٥ منه قابلت مسـيو بتشيلى رئيس مجلس إدارة بنك دى روما ؛ وكان معى محمد يكن باشا وعبد الحميد شديد بك ؛ فبلغته سـلام أفندينا ، وتوصية سموه لى أن يكون كل أمر أريد عمـله بعلمه ونصيحته ؛ وأخبرته أن المطلوب استحضار نقود من مصر إلى هنـا لتوصيلها إلى أفندينـا فى الاسـتانة ، فقال : إن ذلك صعب ، وإننـا ننظر فى تقـديم نقود لأفندينا من هنا ، وفهمت أنه لا يدرى شيئاً كثيراً من معاملات البنك . وعلى كل حال فقد وعد بالنظر فى المسألة مع عبد الحميد شديد بك ؛ ثم كلمتـه فى الحالة السـياسية بين إيطاليا والدولة بالنسبة للتجريدة العثمانية على مصر ، وبأن الأتراك وأفندينا وسـفيرى النمسا وألمـانيا أعطوا التأكيدات لسـفير إيطاليا بأن غرض الحمـلة هو إخراج الانجليز فقط ، وإرجاع حالة مصر إلى ما كانت عليه قبل سـنة ١٨٨٢ ؛ أعنى أن تستمر مصر حافظة لامتيازاتها ، وبعـد الصلح تخرج العساكر التركية منها . قلت : إنه ربمـا كان هـذا التصريح الشفهى غير كاف ؛ فيمكن إيطاليا أن تطلب استصدار إرادة سلطانية بهذا المعنى ؛ فتكون حجة قوية على الأتراك .

فقال المسيو بتشيلي : لست سياسياً ، ولا يمكن أن أبدى أية نصيحة فى هذا الموضوع . ولما علم منى أننى أعرف مسيو دومرتينو ، الذى كان قنصلا عاماً فى مصر ، ويشغل الآن وظيفة فى وزارة الخارجية ؛ طلب أن أتكلم معه فى هذه المسألة أو مع رئيس مرافقى الملك ؛ وفهمت من مسيو بتشيلي أن لهذا الرئيس كلمة مسموعة عند جلالته .

وقد أرسلت خطاباً إلى كبير أمناء الملك ، طلبت فيه مقابلته لتبليغ رسالة من الجناب الخديوى لجلالة الملك ، فأجاب بأنه يقابلنى غداً صباحاً :

محادثتى مع كبير الأمناء : وفى ٦ منه توجهت صباحاً إلى سراى الملك وقابلت كبير الأمناء وأبلغته سلام الخديو وأفهمته أننى حضرت للاستعلام عن حالة البرنس محمد على ، وباقى البرنسات والبرنسيسات ؛ وأن دولة الوالدة هى التى طلبت من سمو الخديو ذلك ، فأرسلنى لهذا الغرض ، وأمرنى أن أحضر إلى السراى لتقديم واجبات الاحترام من لدن سموه لجلالة الملك ؛ لأنه لا ينسى مطلقاً الوفادة الحسنة التى لقيها فى السنة الماضية ؛ وأن سموه يبذل كل جهده فى تأييد هذه الرابطة الودية ؛ وذكرت أن علاقات سموه بسفير إيطاليا فى الاستانة متينة جداً . فقال : نعم إنى أعلم ذلك . ثم قلت : إنى تحت أوامر جلالة الملك فى كل ما يريده من الاستعلامات عن الحالة السياسية فى الاستانة ومصر . فأخذ الجنرال مذكرة بذلك ، وسألنى عن مدة مقامى فى روما ، فعرفته بأنى عازم على التوجه إلى نابولى ، لمقابلة الأمير كمال الدين (*) على أن أرجع فى المساء ، وأنى ربما أقمت بروما أيضاً يومين أو ثلاثة . ثم شكرته على حسن استقباله .

محادثتى مع نابى بك : وزرت نابى بك سفير الدولة ، فأبلغته تحية أفندينا فشكر . ثم تكلمت معه فى الأحوال الحاضرة ، فعرفنى أن الايطاليين متخوفون من التجريدة على مصر ، فطمأنهم كثيراً . وأنه لما جاء (ع . بك) أخيراً طلب من البرنس محمد على أن يصرح للطليان من قبل الخديو بذلك ، فرفض ، فقلت له : إنى مستعد لاجراء اللازم فأرشدنى إلى دومرتينو ، وقال : إن علاقاته به طيبة جداً . وفهمت من كلام السفير أنه بعد إخراج الانجليز من مصر ستبقى فيها حامية تركية ، وهى التى ستحافظ على قناة السويس ، وأن امتيازات مصر لا تمس . وبعد دخول الجيش العثمانى مصر يسافر

(*) وقد سافرت فى اليوم نفسه إلى نابولى ، وتقابلت مع البرنس والبرنسيس ، وعلمت منهما أن سبب خروجهما من مصر هو عدم اتفاقه مع والده فى المسائل السياسية ، ففضل البرنس الابتعاد عن مصر ، وقد سلمت لهما خطابات الوالدة .

الخديو إليها ، كأنه احتلال عثمانى بدل الاحتلال الانجليزى ؛ قال : وليطمئن الطليان على طرابلس الغرب ، اتفقنا على أن نائب السلطان فيها يصدر منشوراً يقول فيه : إن إيطاليا حليفة لحلفائنا ، وإنه على المسلمين أن يعتبروها محبة للخليفة ، حتى يهدأ العرب ويخلدوا إلى السكون ؛ لأن إعلان الجهاد حرك فيهم التعصب الدينى كما يدعى الطليان .

وقال السفير : إننى على العموم مجتهد فى إزالة سوء التفاهم بيننا ، حتى نصل إلى غايتنا من التجريدة .

أما السنوسى ، فان الأخبار الواردة من مصر تقول بأن المخابرات جارية بينه وبين الانجليز .

وفى هذا اليوم أرسلت إلى أفندينا برقية رمزية أقول فيها : يقيم محب باشا فى نابولى حراً بعد أن أعطى عهداً ؛ ويقال إنه جاء بمهمة من قبل الانجليز ، ويعتقد أن الحالة فى مصر سيئة بالنسبة للانجليز ، وأن الرأى العام فى جانب حملة تركيا ، وأن رشدى وبقية النظار ضد ذلك ، وأن الأحكام العرفية أعلنت فى مصر ، وأن الجنود المصريين لا يحاربون ، لأن عدد الجنود الانجليز يبلغ سبعين ألفاً .

وفى ٦ ديسمبر أرسلت برقية إلى محمد فهمى افندى بجنيف أستعلم منه عن الخطاب الذى كنت سلمته إليه ، ليحمله أحد المسافرين المصريين إلى مصر ، لتوصيله إلى صاحب العطوفة حسين رشدى باشا ؛ فوردت لى يوم ٧ منه برقية يقول فيها :

« أعيد إليك الخطاب داخل مظروف موصى عليه ، نظراً لسفر الشخص الذى كان سيحمله إلى مصر . » وفى اليوم نفسه تسلمت المظروف المنوه عنه .

وفى ٧ منه وصلنى كتاب من الجنرال تيمونى رئيس مرافقى جلالة ملك إيطاليا ، ينبئنى فيه بأن جلالته سيقابلنى مقابلة خصوصية فى الساعة الثانية والثلث بعد ظهر يوم ١٠ ديسمبر .

وفى اليوم المذكور ذهبت إلى قصر جلالة الملك فى الميعاد المحدد للمقابلة ، وكنت أرتدى الريدنجوت كنص الدعوة ، وفى أثناء انتظارى حضر نابى بك سفير الدولة من لدن جلالته ، وأفهمنى أن جلالته سأل عنى ، فأخبره بما يعلمه عن وظيفتى وعلاقتى بالجناب الخديوى .

محادثتى مع الملك . وقد تشرفت بالمثـول بين يدى جلالة الملك ، ولم يكن فى المقـابلة شىء من أبهة الملك ، وقد دعانى إلى الجلوس بجانب جلالتـه . وبعد أن أبلغته تحيات وتعظيمات الجناب الخديوى، شكر أولا ؛ ثم سـألنى عن حادثة الاعتـداء ، وعن المعتـدى ، وعن التحقيق ، وعن صحته ؛ فأفهمته بكل معلوماتى ؛ فلم يبد أية ملاحظة . وامتد الحديث إلى علاقات الخديو بالأتراك ، وإلى التجريدة التركية التى سـيرت إلى مصر ؛ فأعربت لجلالتـه عن تأكيدات الجنـاب الخديوى لجلالتـه بأن لا خوف على علاقات الجوار الحبية بين مصر وطرابلس؛ وبعد ذلك أبلغته أوامر الخديو ، فأجابنى بأنه لاينساه ، وأنه مستعد لطلباته ، وقال : إن الحملة التركية إن كانت منظمة ، يمكنها اختراق سينا وعبور القناة .



فكتور عمانويل

وقد كان شعورى بعد هذه المقابلة الملكية ، أننى ألفيت جلالته على جانب عظيم من الدعةف واللط ، وأنه يذكر مصر والأسرة المحمدية العلوية خير ذكرى .

محادثتى الثانية مع نابى بك : وفى ١١ منه زرت نابى بك وأعلمته بنتيجة مقابلتى لجلالة الملك ، وكذلك ما قلتـه بالنسبة للصلات الحبية التى بين مصر وإيطاليا ، حيث أكدت لجلالته ألا محل لما يبدو من التخوف على طرابلس من هذه التجريدة .

وفى هذا اليوم كنت أرسلت برقيات إلى يوسف صديق باشا بكل ما أقوم به من الأعمال التى كلفت القيام بها ، فوردت لى اليوم برقية من بيك فى الاستانة يقول فيها :

« البرقيات الثلاث المرسلة منكم وصلت ، وهذه البرقية هى أولى برقياتنا . انتظروا فى روما حتى تصلكم تعليمات جديدة » .

محادثتى الثانية مع بتشيلى : فى ١٢ منه كنت تكلمت مع عبد الحميد شديد بخصوص

عمل ترتيب لاستيراد نقود من الخاصة الخديوية بمصر للجناب الخديوي ، ولاستيراد نقود لى خاصة ، فانتهيت معه على ما يأتى :

أولا — حسابى الخصوصى : يكتب جواب منى (وقد حصل) لبنكو دى روما فى مصر ، أن يحول مبلغ ألفى جنيه ، ثم ألفين آخرين على روما ، وأنه من أول يناير الآتى يحول كل أسبوع ٢٥٠ جنيهاً ، حتى ينتهى الحساب .

ثانياً — بأن يعرف عثمان مرتضى باشا، بأن يدفع كل ما أمكنه من النقود الموجودة فى الخاصة ، لتوصيلها لأفندينا ، بواسطة بنكو دى روما ؛ على أن يكون هذا باسم عثمان باشا إلى أحد تجار الاستانة ، وربما يكون نافع زاده .

محادثتى الثانية مع البرنس محمد على : وفى ١٣ منه تحادثت مع البرنس محمد على ؛ وكان من رأيه أن تأخر الأتراك عن التقدم لمصر ، سبب ضرراً كبيراً ؛ لأن المصريين كانوا فى غاية الحماسة لما علموا بالتجريدة على مصر ، وكانوا يظنون أن الأتراك سيدخلون البلاد بعد بضعة أيام (خمسة عشر أو عشرين يوماً) حتى أن بعض المشيعين له فى المحطة قالوا : إنه لا يصل إلى إيطاليا حتى يقفل راجعاً ، عندما يسمع بدخول الأتراك مصر .

محادثتى الثالثة مع مسيو بتشيلى : وفى ١٤ منه قابلت مسيو بتشيلى مع شديد بك فى الموعد المحدد ، فكانت مقابلة ودية ، محت سوء الظن به الذى حصل عندما قابلته أول مرة ؛ لأننى كنت وجدته متحفظاً جداً . أما فى مقابلتنا اليوم فانه كان صريحاً ، فهو أولا : أبدى إحساساً شريفاً نحو الخديو ، وقال إنه محب له ويتمنى له كل خير ، ويود أن يراه على تخت الخديوية قريباً فيتوجه للتهنئة . ثانياً : قال بأنه يعتبرنى بالنسبة له صاحباً ، ولا دخل للباشوية ولا للرياسة فى البنك ؛ وما تتكلم فيه يكون لغرض الوصول إلى ما يرغبه الجناب العالى . ثالثاً : قال : لا أخفى عليك أن الحالة السياسية هنا مضطربة جداً ، وأن الأفكار ميالة للحرب أكثر من السلم ، ولكنى أنا شخصياً بصفتى فرداً من أفراد المحافظين ، لا أود الحرب ؛ إلا أن الأفكار متجهة ضد الدولة ، وهى لم تحسن صنعاً فى دخول هذه الحرب ؛ لأنه يرى أن النمسا ستقع على رأسها خسائر الحرب ، وانجلترا تتمنى أن نسير وراء نصائحها ؛ فانها تمنينا بالجزر ، وبجزء من آسيا ؛ وفرنسا تعدنا بتريستا وترنتينو ؛ ومن جهة أخرى فان ألمانيا والنمسا تعداننا بالسافواى وجهات أخرى ؛ وكل فئة تطلب دخولنا فى الحرب معها ، حتى أن انجلترا تطلب أن نرسل جيشاً إلى مصر ؛ ولكن هل من صالحنا أن نعمل بنصيحة أحد الطرفين ؟

للمستقبل وحده الحكم فى هذا ؛ لأننا نفعل ما تجبرنا الحوادث على عمله ، فكل حادث اعتدائى من الدولة العثمانية يهيجنا ، فمن ذلك مسألة إعلان الحرب الدينى (الجهاد) والتجريدة على مصر ، وخوفنا من أن الأتراك يغيرون على الحدود الطرابلسية ، وحادثة الحديدة — كل هذه الحوادث لها أثر سيء .

فأجبته بأن سوء التفاهم بالنسبة لاعلان الجهاد الحربى من قيام طرابلس ، وبالنسبة للتجريدة على مصر ، أمره واضح ؛ والدولة العلية وحلفاؤها أعطت التأكيدات بأن ذلك لا يمس طرابلس الغرب ؛ أما مسألة الحديدة ، فلم يكن لها من الأهمية مثل المسألتين الأوليين .

فقال : من يضمن لنا أن الدولة تنفذ وعودها ، وهى مشهور عنها أنها لا تفى بوعودها ؟ أما بالنسبة للجناب الخديوى ، فاننى — بكل أسف — أعلم بأن فى حاشيته من الرجال من يتكلمون ضده ، وهم أقرب الناس إليه ؛ فليحذر هؤلاء الناس .

فسألته عن الطرق الموصلة لتهدئة الخواطر فى إيطاليا ، حتى نتجنب الحرب معها ، فنصحنى بأن أتقابل مع مسيو دومرتينو ، وأحادثه فى الموضوع أولا ، ثم أرجع إليه ، وننظر فيما يقوله ، وفيما يلزم إجراؤه .

محادثتى مع محمد يكن : واجتمعت بمحمد يكن بك وأخبرته بحديثى مع بتشيلى ، فقال لى إنه سمع أن دومرتينو قال لشخص بمناسبة الحالة الحاضرة وتجريدة مصر ، وعلاقة الخديو مع إيطاليا : إن الانسان لا يمكنه الاعتماد على ما يظهره سموه من المودة والاخلاص لايطاليا ، والشاهد على ذلك هو أنه أبعد عنه رجالا إيطاليين كانوا يقومون بخدمات جليلة له . فأجابه محدثه : إن سموه معذور فى إبعادهم ؛ لأنهم كانوا خائنين ، وليس ذلك دليلا على عدم إخلاصه لايطاليا ؛ فاننا نعرف مقدار الخدمات الجليلة التى بذلها لنا فى طرابلس . لهذه الأسباب ، قررنا أن نستشير مسيو بتشيلى فيما إذا كان يحسن أن نتكلم مع دومرتينو صراحة بعد أن يعلم ما قاله بالنسبة للجناب العالى ، ولو أن بتشيلى لما سأله عما إذا كان دومرتينو يحفظ السر فيما أقوله ، ولا يعلم به أحداً من السفراء ، قال لى : اطلب منه كلمة شرف ، واحك له كل ما بدا لك . ولو أن كلام بتشيلى شخصى ؛ إلا أننى فضلت أن أحتاط لذلك ، وأسأله مرة ثانية ، فجاءنى الرد بواسطة شديد بك أن دومرتينو رجل عاقل ، ولا يضيع مصالح أمة لأجل شخص واحد ، مثل فرديناند دومرتينو(*) .

(*) فرديناند دومرتينو هو ابن جاك دومرتينو باشا ، الذى كان رئيس الديوان الخديوى الافرنجي . وهو من أسرة دومرتينو الذى كان بوزارة الخارجية . وقد فصله الخديو لمنازعات مالية مع الخاصة .

محادثتى الثالثة مع نابى بك : وفى ١٥ منه توجهت مع محمد يكن باشا لزيارة سفير الدولة العثمانية ، وقلت له : إن الايطاليين متذمرون من الدولة العثمانية ، وأفكارهم متهيجة ؛ ويقولون : إذا دخلت إيطاليا الحرب ، فيكون ذلك ضد الدولة ، وفى إمكانها أن تسوق مليوناً ونصف مليون من عساكرها . فقال السفير : أعرف أن الأفكار متهيجة ، ولكن أعرف أيضاً أن الذين يريدون الحرب هم رئيس أركان حرب إيطاليا ، ومسيو مارتينى ناظر المستعمرات .

فقال محمد يكن باشا : وأن الأخير مدين ، ويريد أن يصطاد فى الماء العكر ، حتى يتمكن من تسديد ديونه ، من أموال فرنسا وانجلترا ؛ إنما علم الباشا ممن يوثق بكلامه أن الملك طلب بياناً بالموجود فى مخازن الجيش ، ليعلم إن كان ينقصه شىء ؛ لأنه قال : إننى مسئول عن نتيجة الحرب ، فلا أوافق على الدخول فيها إلا إذا تحققنا من أنه لا ينقصنا شىء ؛ ولما اطلع على البيان وجد كثيراً من النقص .

ثم قال الباشا : يقولون إن استعداد إيطاليا ينتهى فى أبريل القادم ، ولكن الرجل الذى أخبرنى بعدم استعداد إيطاليا ، يؤكد أن الاستعداد لا ينتهى قريباً ، بل يكون فى سنة ١٩١٦ .

قال السفير : أؤمل أن تصلنى برقية من الصدارة ، ترضى الايطاليين فى مسألة الحديدة ، فينتهى الأمر بسلام .

محادثتى مع البرنس عزيز حسن : وفى ١٥ منه قابلت البرنس عزيز حسن ، وعلمت منه أنه ترد رسائل على البرنس جميل من شقيقته حرم فخامة الصدر ، وفيها أخبار مهيجة عن مصر وأفندينا ، وتذاع هنا بين المصريين وغيرهم . وقد قال البرنس عزيز باشا إنه لما كانت هذه الأخبار ضارة ، ولا سيما إذا وصلت إلى مصر . فقد خاطبت سفير الدولة العثمانية فى هذا الشأن ، فوافق على رأيى ، ووعد بأن يكتب للصدر لمنع إرسال مثل هذه الخطابات المشوشة . وكذلك ذكر البرنس عزيز أنه تكلم مع الملحق العسكرى فى سفارة ألمانيا ، وطلب منه أن يرسل الخبر للسفارة الألمانية بالاستانة لمنع هذه الخطابات .

وبهذه المناسبة قال الملحق : إن ألمانيا لم تساعد الدولة العثمانية فى التجريدة على مصر ، إلا بشرط أن تخرج منها بعد انتهاء مأموريتها ، وألا تمس الامتيازات ، وأن يرجع الجناب الخديوى لعرشه ؛ وكذلك علم البرنس من السفير العثمانى أن مجلس الوكلاء قرر هذا الأمر ، وأبلغ القرار المذكور إلى إيطاليا ، وهذا يؤيد ما قاله نابى بك من قبل ،

فاذا صح ذلك كان خطوة إلى الأمام . أما مقابلات السفير المتعددة للملك ، وتردده على وزارة الخارجية ، فيرجع إلى ما حصل فى قنصلية إيطاليا بالحديدة(*) .

وفى هذا اليوم تلقيت برقية من يوسف صديق باشا يقول فيها : عرجوا على فندق الأمبريال بفينا مع (ى . بك) إذا كان ذلك لا يزال ممكنا ؛ وإلا فأخطروه تلغرافياً ، وقبل أن يجتاز حدود رومانيا .

وفى ١٦ منه حادثت البرنسين محمد على ، وعزيز حسن ؛ ومن رأيهما أن يكتب أفندينا خطاباً للبرنس حسين كامل ، يقول فيه إنه يعتمد عليه فى المحافظة على العرش الخديوى ، كما أنه هو (أفندينا) حينما يرجع لمصر لا ينسى خدماته .

البرنس جميل : وقد حضر البرنس جميل عند البرنس عزيز ، وقال له : إن انجلترا قررت إعطاء مصر استقلالها التام ، وستكون سلطنة ، والبرنس حسين يكون سلطاناً ؛ وتعطى مصر دستوراً ؛ فيكون فيها مجلس أعيان ، ومجلس نواب ، وحرية تامة ؛ وتشمل السلطنة السودان والشام وجزيرة العرب .

مقابلتى مع دومرتينو : وقد توجهت فى الساعة الحادية عشرة لوزارة الخارجية ، فلم أجد دومرتينو ، لأنه كان توجه إلى مجلس النظار . وبعد انتظاره ساعة رجع ؛ فقابلنى مقابلة حسنة ، وأبلغته تحية الجناب العالى له ، وأنه يذكره دائماً بالخير ، حتى أن سموه عازم على إسناد وظيفة المستشار المالى لجنابه ، إذا تيسر خروج الانجليز من مصر ؛ فشكر سموه على إحساساته نحو شخصه ، ولكنه امتنع عن الكلام معى فى المسائل السياسية ؛ فأدركت من هذا أن إيطاليا تميل إلى دخول الحرب فى جانب فرنسا وانجلترا .

محادثتى الرابعة مع نابى بك : سبق أن قال لى نابى بك : إن محمد يكن باشا توجه لوزارة الخارجية ، وأعلن بالنيابة عن أفندينا أن لا خوف على الطليان من التجريدة العثمانية ؛ ولكن إذا سمحت الفرصة فانى أؤكد ذلك للحكومة الطليانية ، فوعدته بذلك . وبالفعل لما قابلت الملك أكدت له ذلك ، ولما قابلت دومرتينو فعلت ذلك أيضاً ، وإنما اعتقادى أن الخوف سائد بين الطليانيين الرسميين وغير الرسميين .

وفى ١٧ ديسمبر تلقيت تلغرافاً من محب باشا فى نابولى يقول فيه : « ما زلت مريضاً ولا أستطيع الحضور . أرسلت مخصوصاً بقطار الساعة السادسة لتسليمك النقود والخطابات لحرمى بالفندق . أشكركم . »

(*) وكان قد وقع خلاف بين السلطة التركية ورجال قنصلية إيطاليا بالحديدة .

وتلقيت تلغرافاً من الأستاذ فهمي من لوزان يقول فيه : « أرسلت تلغرافياً إلى (ى. بك) بانتظار صديق باشا بفينا ، وقد علمت بصفة سرية بأنه سيكون مصحوباً (والظاهر أنه أراد أن يقول بأن سيكون مع سمو الخديو) . سأبلغكم الرد . »

سافرت فى منتصف الليل من روما إلى فينا ، وكنت مدعواً للغداء عند نابى بك السفير ، وكان البرنس عزيز باشا مدعواً هو ويكن باشا وحرمه . ولما علم بعزمى على السفر ، رجانى أن أعرب للصدر عن حقيقة الأخبار فى إيطاليا ، والأفكار السائدة فيها ، وتخوف الحكومة من الحملة ورجالها ؛ حتى أن المسيو دومرتينو لما وردت برقية الصدر بخصوص الحديدة ، وقدم السفير للمذكور صورة بالتركى ، سأله دومرتينو : كيف يمضى الصدر على البرقيات ؟ كأنه فى شك من البرقية الواردة بشأن مسألة الحديدة . وكلفنى أن أقدم احتراماتى للجناب الخديوى .

وقد رافقنى للمحطة البرنس عزيز حسن ويكن باشا .

المساعى لخروج الخديو من الاستانة واقامته فى فينا . فى أول ديسمبر ، روى يوسف صديق باشا ، أن سفر سمو الخديو الذى تجرى عنه المخابرات الآن ليس إلى سويسرا ، وإنما إلى فينا ؛ وأن سموه حادث سفير ألمانيا فى موضوع سفره إليها ، وأن السفير وافق على ذلك ، وأنه على أثر مقابلة سموه ، تقابل السفير مع طلعت بك ناظر الداخلية ، الذى أبدى أنه غير معارض فى سفر الخديو إلى فينا ؛ وذكر يوسف باشا أن السفير ذاهب اليوم لمقابلة أنور باشا ، ومحادثته فى هذا الخصوص .

وفى هذا اليوم نفسه شرف سمو الخديو ببك ؛ وقد ذكر أنه لما قابل أمس سفير ألمانيا ، لم يلبث فى جلسته طويلا ؛ لأنه كان فى جلسة مع سفير النمسا ، فاضطر سموه أن ينتظر بضع دقائق ، إلى أن انتهت جلستهما ؛ ولم تطل الجلسة بعد ذلك بينه وبين السفير أكثر من عشر دقائق ؛ ولكن سموه فى هذه الدقائق القليلة تكلم بشدة مع السفير ، حتى أنه لم يجد جواباً غير الموافقة على جميع ما قاله سموه ؛ وقد كانت شدة كلام سموه بالغة الحد ، مما جعل السفير يقوم من فوق كرسيه ، ويبالغ فى التلطف معه .

وقد أبان له سموه تصرفات رجال الحكومة العثمانية ، حتى جعله يقر بأنها تصرفات غير حميدة فى حق الجناب العالى ؛ ثم ذكر السفير بالكلمة التى قالها لسموه فى أول زيارة قابله فيها ، بأن باب السفارة الألمانية مفتوح فى كل وقت لسموه ، عند حصول أى شىء من الأتراك ؛ فلم ينكر السفير قوله ، بل قال : نعم إننى قلت هذا حقيقة . وعندئذ قال

له سموه : « وإذن هذا هو الوقت ، وقد جئت إليك » فلم يستطع أن يجاوبه بشيء غير المصادقة على أقواله . ثم قال : إن التجريدة العثمانية القائمة إلى مصر ، إنما هي قائمة بنفقات ألمانية . فقال له سموه : إننى لا أطلب منكم أن تعدلوا عن التجريدة العثمانية ، لأنى أعلم أن مصلحتكم فى ذلك ، وأنكم لا تعدلون عنها لأجل خاطر واحد اسمه عباس حلمى .

وعلى أثر ذلك أبان السفير أنه لم يكن مقصراً بالنسبة للخديو قائلا :

إن الأتراك أصبحوا يشمئزون منى ، لأنهم يظنوننى متغالياً فى الكلام معهم عن سموكم ، وقد قال لى خليل بك رئيس المبعوثان إنى لست وصياً عليهم ، وأنه يرانى أزعجهم كثيراً بشأن سموكم .

وقد فهم سمو الخديو صراحة من السفير أن خليل بك هذا صرح له فعلا بأن الأتراك لا يرغبون فى الخديو .

وفى ١١ منه زار طبيب الخديو الدكتور كاوتسكى سفير النمسا ، وحادثه فى ضرورة سفر الجناب العالى من الآستانة . وعلمت أن الخديو كان يكره أن يجعل من أسباب خروجه صحته وحاجته إلى الراحة .

وفى اليوم نفسه حضر مسيو بادل إلى سراى بيك ، وحمل إلى الجناب العالى خبراً مؤداه أن حكومة ألمانيا وافقت على سفر سموه ، على شرط أن يكون ذلك إلى فينا أو برلين فقط ؛ وأنها عينت المسيو بادل لمرافقته ، ووافقت على تعيين البرنس ابراهيم حلمى باشا ليكون نائباً عن سموه مع التجريدة العثمانية، وقائمقامه عند دخولها مصر ؛ وبناء على أمر سموه حررت الارادة السنية ، ووقع عليها الجناب العالى ، ثم أبقاها عنده لوقت اللزوم . وقد فرح الجميع لهذه الأخبار ، وظهر على وجه الخديو الارتياح ؛ وأمر الدكتور كاوتسكى أن يكتب رسالة شكر لسفير ألمانيا . ثم عين يوم الاثنين القادم لسفره إلى فينا . فوافق الدكتور كاوتسكى على ذلك . وفى هذا اليوم أرسلت أوامر باحضار توفيق فهمى بك إلى الاستانة ، وإرسال ابراهيم أدهم بك إلى الضلمان .

وفى ١٣ منه صدر الأمر باعداد الجوازات لمن سيسافرون مع الجناب العالى ؛ وفى أثناء اشتغال سموه بهذا قال أمام السيد خيرى افندى الضابط إنه أعد ألعوبة للصدر يتجاوز بها عن الشرط القاضى بوجود سموه فى النمسا أو ألمانيا فقط .

وكان سموه يريد أن يسافر من محطة كوجك جكمه ، بدلا من أن يأخذ القطار

من الاستانة . ولهذا أمر الدكتور سيد كامل وعبد الله البشرى افندى باكتراء سيارة واختيار الطريق .

وفى هذا اليوم تقابل سموه مع الصدر بعد الظهر ؛ وقال لنا بعد ذلك إنه نجح فيما يطلبه ، فقد بادر الصدر بقوله : إننى لكى أثبت للحكومة العثمانية أننى فى سفرى من هنا لا أزال غير راض عن تصرفات الحكومة الانجليزية ، فانى لا أنوى السفر إلى إيطاليا حسب رغبتها .

وقال سموه : « إننى سأبلغ ذلك للسلطان ، ثم لسفير ألمانيا ؛ وبعدها أكون حراً فى الذهاب إلى أية جهة أرغب فيها » . فقال الدكتور سيد كامل : « ما عدا إيطاليا » فسكت سموه .

وفى ١٤ منه توجه الخديو إلى بيك بقصد المبيت فيها ، والسفر منها غداً صباحاً إلى المحطة ؛ وبمجرد تحرك الرفاص من جبوقلى ، قال سموه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، توكلت على الله » ، وشفع هذه العبارة بما يأتى : « هذه هى بداية السفر » .

وبعد ظهر اليوم ذهب بملابسه السوداء الرسمية (الردنجوت) لزيارة جلالة السلطان فى سراى ضولمه باغجه مودعاً ، وقال جلالته لسموه : إن شاء الله تعود إليها قريباً .

ثم زار سموه سفير ألمانيا فى الساعة الخامسة بعد الظهر .

وفى المساء حضر من جبوقلى البرنسان عبد المنعم وعبد القادر ، لقضاء الليلة فى بيك مع سموه ، استعداداً للسفر .

وذهب الجناب العالى مساء إلى جبوقلى ؛ وراقب إحضار الحقائب ، وما يتبعها ، وإنزالها فى بيك ؛ وبات فيها هذه الليلة رمزى طاهر باشا ، ويوسف صديق باشا ، والدكتور كاوتسكى ، والدكتور سيد كامل ، والدكتور مورو ، وعبد الله البشرى افندى ، وابراهيم أدهم بك ، ومحمود خيرى افندى ؛ والجميع يرجون أن يخرج سموه من الاستانة بخير . وقد اتخذ جنابه العالى الاحتياطات اللازمة ؛ ومنها إعطاء المسافرين معه مسدسات يحملونها فى أثناء سير سموه إلى المحطة .

وفى ١٥ منه استيقظ الجميع فى الساعة الرابعة صباحاً ؛ وتناولوا طعام الفطور ثم انضم إليهم جلال الدين باشا (القبوكتخدا) . وقبل الساعة الخامسة نزل سموه من الحريم ؛ وكانت قد استحضرت عربتان من عربات الأجرة لركوب سموه سراً ؛

ولكنه أمر باعداد عربة الوالدة ؛ بالرغم من معارضة يوسف صديق باشا الذى قال إنه يجب أن تتبع عربة الخديو عربة أخرى . فقال سموه : لا لزوم لذلك ؛ ويكفى أن يركب بجوارى رمزى طاهر باشا ، وأمامى فخر الدين أغا (وهو حارس سموه الشخصى) والباقون ذهبوا بحراً إلى سرك جى .

وفى ١٩ منه رجعت من مهمتى فى إيطاليا إلى فينا ، فوجدت مع الخديو البرنسين عبد المنعم ، وعبد القادر ، ومسيو بادل الألمانى ، ويوسف صديق باشا ، و (ى . بك) وخيرى افندى الضابط .

وفى المساء سافر البرنسان مع خيرى افندى ، للانتساب فى مدرسة « لانسى » بضواحى « جنيف » ، وتديرها « مدام برونل » كريمة « هكسيوس » ، مؤسس المدرسة ، وأخت « شارل هكسيوس » صديقى .

وفى ١٩ منه زار الخديو الكونت برشتولد ، وزير خارجية النمسا ، وسفير ألمانيا ، رداً لزيارتهما له .

ولما اختليت بالخديو ، قال لى إنه كان واثقاً من أن فى وجوده بالاستانة خطراً على حياته ، وذكر أنه لا يرجع إليها مطلقاً ؛ ولهذا اتفق الرأى على أن ينوب عنه البرنس ابراهيم حلمى باشا لمرافقة الجيش التركى ؛ وليكون قائمقام خديو مدة غياب سموه عن مصر ؛ وعلمت أن الأتراك كانوا لا يرغبون فى ترك سموه الاستانة . ولكن المسيو بادل من جهة ، وسفير ألمانيا من جهة أخرى ، سهلا له السفر ؛ وقد وعد أفندينا الأول بأن يكون مستشاراً مالياً عند رجوعنا لمصر ، وقد عين الآن قنصلا عاماً لألمانيا فى دمشق .

تهديد سفير ألمانيا للاتحاديين : وقد علمنا فيما بعد أن الجدل اشتد بين سفير ألمانيا وخليل بك عندما لمح له بأن الأتراك ليسوا تحت الوصاية ، وذلك عند الكلام على مسألة خروج الخديو ؛ فأجابه السفير قائلا : « حينئذ أنا آمر بسحب جنودى وضباطى فى البحر والبر ، وأطلب أن تدفعوا لى السبعة الملايين من الجنيهات التى أقرضتها ألمانيا للدولة » فأجاب خليل بك وهو مرتبك : « أنا لا أقول بأننا لا نسمع نصيحة ألمانيا » فرجا منه السفير ألا يحرجوه فى معاملاتهم لدرجة تضطره لاجبارهم على عمل الواجب .

حديث عباس بفينا مع جريبارس عن حادثة الاعتداء . وفى ٢٠ ديسمبر زار سمو الخديو مسيو جريبارس وزير اليونان المفوض لدى حكومة النمسا ، وكان قنصلا جنرالا لدولته فى مصر مدة طويلة ، وبينه وبين الخديو صداقة قديمة ، فأظهر سموه له كدره من معاملة الأتراك له ؛ واقتناعه بأن الاعتداء الذى وقع له كان مدبراً ؛ لأن المهنيدار الذى كان على يسار العربة زج بنفسه داخلها ، بحيث عرض الخديو لرصاص الجانى ؛ ولأن سائق العربة أوقفها عند أول طلقة ، مما سهل له الأمر فى إطلاق الرصاص . قال الخديو : وهذا ليس بعيداً على الأتراك ؛ لأنهم سعوا أيضاً فى اغتيال حياة ملك اليونان بوساطة يونانى استأجروه ، وتوصلوا لغايتهم ؛ كما أنه اتضح أن الطليانى الذى أراد قتل ملك إيطاليا فى سويسرا ، كان للترك أصبع فى إقدامه على هذا الفعل . قال : وملك إيطاليا أخبرنى بأنه لم يسعنا إلا أن نعلن أن الجانى مجنون ؛ وأن شفيق لما تقابل معه سأله الملك عن القاتل وجنسيته . وقيام رجال الجندرمة بقتله فى الحال ؛ ولعل هذا معنى لم يفهمه شفيق ؛ ولكنى أنا فهمته ! فكأنه يقول : كما حصل لى حصل للخديو ! ثم أضاف : وهذه أسرار أعطانيها الملك .

ثم إن أفندينا أفهم جريبارس بأنه ليس فى نيته مقابلة أمبراطور ألمانيا ؛ وأنه حضر لاستشارة بعض الأطباء فى أمر الاصابات التى أصيب بها .

رأى عباس فى حل مسألة السودان . فى ٦ ديسمبر كان بعض الحاشية فى حضرة الجناب الخديوي ، ودار الحديث فى مسألة الري فى مصر والسودان ، فقال سموه :

« إن الذى يريد أن يحكم مصر ، ويوفر لها أسباب السعادة والهناء ، يجب أن يكون قابضاً على السودان »

ومع هذا فان سموه لم يكن يتخوف من إنشاء الخزانات التى تمكن إقامتها فى السودان ؛ لأن النيل الأبيض كاف لرى الجزيرة ؛ وإنما كان يخشى أن تنمو زراعة القطن فى السودان ، فتتحول السوق إلى هذه الجهات ؛ وينخفض سعره فى مصر .

« ولاحظ سموه أن المصريين نسوا شرطاً من شروط الاتفاقية بين مصر وانجلترا بخصوص السودان . وهذا الشرط يقضى بألا يزرع فيه القطن . وعليه كان يرى سموه أن الواجب الاهتمام بالمحافظة على هذا الشرط .

ثم انتقل إلى مصر فقال إنه يرى أن تقام قنطرة تشبه الخزان فى مديرية جرجا ، فتضمن للوجه القبلى ريه الصيفى . وأشار أيضاً إلى إيجاد قنطرة أخرى فى شمالى زفتى . يوفر بها الرى للجهات النائية ؛ وثالثة على الفرع الغربى ؛ بحيث لا تكون المناوبات صعبة بالدرجة التى هى عليها الآن ؛ وبحيث تتوافر المياه اللازمة لرى جميع أراضى القطر بالراحة ؛ وكان يتكلم فى كل ذلك كخبير عارف بحاجات القطر .

ثم رجع إلى مسألة السودان ومستقبله ، وقال :

« يجب أن تتفق مصر مع انجلترا على أن تبقى المنطقة الشمالية فى السودان ، والتى بها المسلمون للمصريين ؛ أما المنطقة الجنوبية منه ، والتى لم يدخلها الاسلام فتبقى للانجليز ؛ وبذلك تحل مسألة السودان . »

ثم قال :

« صحيح أن فى هذا الاتفاق غرامة على مصر ؛ ولكن هذا هو كل ما يمكننا عمله لذريتنا . وعلينا أن نربيها على أن تكون فى المستقبل قادرة على استرداد الجزء الجنوبى من السودان ؛ لأن النيل كله يجب أن يكون فى قبضة مصر . »

كيف استقبل عباس خبر عزله وتولية السلطان حسين . فى ١٠ ديسمبر ذكر يوسف صديق باشا لسمو الخديو ، أن محمد راسم بك ، حضر من إيطاليا ؛ وروى أن الانجليز عرضوا مراراً على رشدى باشا أن يستقيل ، وهو يماطلهم ورفض الاستقالة . وروى أيضاً أنهم عرضوا على محمد سعيد باشا أن يكون رئيساً لمجلس النظار ، فقال إنه لايستطيع تولى هذا المنصب ، والخلافة فى حرب مع الدولة الانجليزية ؛ وأظهر سموه ارتيابه فى الخبر الأخير ؛ ثم روى راسم بك أن سعد باشا ألقى فى مصر خطبة أو كتب مقالة ، أو عمل حديثاً صحفياً ؛ فقال : إنه كان يطعن على الدوام فى السياسة الانجليزية فى مصر ؛ ولايزال يرى أن أعمال الإنجليز غير مرضية ؛ ولكنه مع هذا لا يحب مطلقاً أن يرى مصر تحت حكم الأتراك .

وقد ذكر صديق علاوة على ذلك أن الانجليز أذاعوا فى فرنسا وفى الخارج حديثاً لسعد زغلول باشا ؛ وأن جريدة الطان نشرته . وقال أيضاً : إن الانجليز أعلنوا عزل الخديو . وأن جريدة الطان كتبت مقالا افتتاحياً فى هذا الموضوع ، قالت فيه : « إن انجلترا قد أحسنت فى عزل الخديو ؛ لأنه لم يكن صديقاً لانجلترا أو لفرنسا . »

وفى يومى ٢٠ و ٢١ ديسمبر جاءت أخبار برقية ، تنبىء بأن الحماية الانجليزية

أعلنت على مصر ؛ وأنها صارت سلطنة ؛ وأن البرنس حسين كامل عين سلطاناً عليها بلقب صاحب السمو ؛ وأنه احتفل به أمس بموكب خرج من سراى نعمت الله هانم افندى زوجة نجـله كمال الدين باشا ؛ وأن الأهالى تلقوا هـذا الانقلاب بدون اهتمام ؛ وأن جـلالة ملك انجلترا أنعم على البرنس بنيشان الحمـام ، وعلى حسين رشـدى باشا بوشاح ميشيل وسان جورج ؛ وأن الوزارة الجـديدة شكلت كما كانت قبلا ، ما عدا محب باشا فقد حل محـله فى الأوقاف عدلى باشا ، الذى كان فى الخارجية ، وهـذه النظارة ألغيت .

وأنه بالنظر لـكون الخديو انضم إلى أعداء الملك ، فقد حرم من الرجوع لمصر ؛ ولـكن حفظت له أملاكه الخصوصية .

هذا هو ملخص أخبار مصر .

قرأت حاشية الخديو هذه البرقيات ؛ وترددت فى إبلاغها لسموه ؛ ولـكنى مثلت بين يديه وعرفته بالانقلاب ، بطريقة مناسـبة ؛ فكانت إحساسات سموه بالنسبة للانقلاب ما يأتى :

أولا — أنه لم يظهر كدره لقبول البرنس حسين كامل باشـا منصب السلطنة ـ وقال : « فى محله وأنا أميل لهذا الحل » .

ثانياً — أنه يأسف لـكون مصر صارت تحت حماية أجنبية ؛ وكان يود أن تـكون حرة .

ثالثاً — أنه تـكدر جداً من قبول النظار — وخصوصاً قائمقـامه حسين رشدى باشا — بعد أن حلفوا يمين الطاعة له أن يتركوه . ويشتغلوا مع خلفه ؛ وذكر أن هذا يدل على أنه لا يوجد مصرى واحد ، يفضل الاستقالة ، ويرفض النيشان الانجليزى ليحفظ كرامته (مشـيراً بذلك إلى رشدى باشا) . ثم قال : « الحمـد لله إننى لم أخطىء فى رفض وجودى بايطاليا ؛ فلو أننى ذهبت لرغب الانجليز الآن فى عودتى إلى مصر ، وإرغامى على قبول الانقلاب ، أو معاملتى معاملة لا أرضاها

قلق عباس بعد الانقلاب فى مصر . لم يمض إلا القليل بعد أن علم عباس بخلعه وتولية عمه السلطان حسين كامل حتى ظهر على وجهه القلق والتفكير . فأردت الترويح عنه بأن عرضت على سموه الخروج فى رياضة : إراحة لأعصابه ، فوافق

ولما كنت أعلم عن الخديو أنه يعتقد بالتفاؤل والتشاؤم من بعض الأقدام والأشخاص، وكانت هناك سيدة التحقت به أخيراً ولم أكن مستريحاً لالتحاقها به - انتهزت هذه الفرصة وعرضت بشؤم هذه السيدة على سموه، لأنها لم تكد تلتحق به حتى أعلن عزله! ولكن هذا التعريض لم يفلح، لأن سموه رد علىّ قائلا: « ولكنها ساعدتنى مادياً فى هذه الظروف الحرجة ، ناسياً أن هذه المساعدة إنما هى من أمواله فى الحقيقة.

وبعد ذلك سألته عن أسباب قلقه، ففهمت أنه لم يكن لضياع عرشه؛ فانه كان يتوقع هذا الحادث الخطير قبل إعلان الحرب العظمى بسبب العداوة التى كانت بينه وبين اللورد كتشنر. إنما كان قلقه لسببين آخرين:

الأول — تخوفه من مصادرة الانجليز لأملاكه؛ بسبب انضمامه لأعدائهم، والعمل على إرسال حملة تركية لمصر.

والثانى — عدم صدور إرادة شاهانية بتحديد مهمة هذه الحملة، والتصريح فيها برجوع سموه إلى عرشه، وحفظ امتيازات مصر كما كانت قبل الاحتلال الانجليزى.

أما السبب الأول فقد سمعته يقول عنه: « هأنذا قد تركت الاستانة وصرت بعيداً عن الأتراك والحملة، ولم ألتحق بها؛ فليس هناك ما يحمل الانجليز على مصادرة أملاكى ، فرد عليه الدكتور سيد كامل قائلا: « وهل هم لم يكونوا يعرفون حتى قبل قطع علاقات سموكم بهم أنكم تشجعون على إرسال الحملة وترفضون السفر لايطاليا؟ ».

فقال: « على كل حال أنا لا أتوقع السير مع الحملة كما يظهر لى . »

وقد فكر سموه فى القيام بمساع أخرى لحفظ أملاكه بوساطة ألبير ملك بلجيكا

ثم لما انتدبنى عباس للذهاب إلى الأستانة عند تولية طلعت باشا الصدارة، قمت بمساع لضمان تعويض الخديو عن أملاكه إذا صودرت.

وسيرى القارىء فى الجزء الثالث تفصيلات عن هاتين المخابرتين.

أما السبب الثانى فقد علم القارىء بالاتفاق الذى تم بين عباس وأنور باشا وسفير ألمانيا بأن يعملوا معاً مسترشدين بآراء سموه فى الحملة العثمانية الزاحفة على مصر

وإتماماً للفائدة أثبت ما رواه لى يوسف صديق باشا عما حصل ليلة هذا الاتفاق،

قال : « قلت لأفندينا إنه يجب قبل الكلام فى هذا الاتفاق أن تعترف بما فعلته مع السنوسيين والايطاليين ضد الأتراك، وأن تشرح الأسباب التى دعتك إلى ذلك ، وتذكر أنور باشا بكل ما فعله الأتراك ضدك ؛ وبعدها تتصالحون وتتعاهدون على السير معاً .
فوافق الخديو على ذلك ، وتم فى هذه الجلسة الاعتراف من الطرفين بكل ما حدث فى فى الماضى ، والاتفاق على نسيانه ، والعمل بالاتحاد . وتقرر كذلك أن يدبر الخديو فى مصر حركة ثورية ؛ حتى إذا ما دخل الجيش العثمانى، قام الأهالى بالثورة ضد الانجليز ».

غير أن هذا الاتفاق لم يطمئن عباس، فانه كان يرى أن سير الحملة بطيء جداً ، وأنه لا يوجد قرار رسمى يعتمد عليه فى نتيجة الحملة ؛ ولهذا فكر فى عمل المساعى لمقابلة الامبراطور شخصياً أو بانتدابى لهذه المهمة .

وقد علم القارىء فيما سبق ، أننى عندما كنت فى روما تحدثت مع البرنس محمد على فى أن أرافقه فى هذه المهمة ، وأنه تنحى لالتزامه خطة الحياد . عندئذ تخابرت مع الأستاذ فهمى فى « جنيف » ليتصل بسفير ألمانيا فى « برن » ، ويعمل ما يلزم فى « برلين » لتحديد موعد مقابلتى مع الامبراطور؛ وأن يكون الأستاذ برفقتى . وقد قام بهذه المساعى؛ وجاء الرد بأن الامبراطور ترك برلين إلى ساحة القتال ، وأنه كلف ناظر الخارجية بأن يقابلنى بالنيابة عن جلالته وبصحبتى الأستاذ فهمى . وقد طلبت منى السفارة أن أخبرها بيوم قيامى إلى برلين، وبالطريق الذى أتخذه للوصول إليها . وفهمت أن الحكومة الألمانية تعلق أهمية على هذه الزيارة . وكانت مهمتى لدى الامبراطور هى أن أقدم لجلالته تحيات الخديو واحتراماته ، وأن أشكره على عنايته ورعايته للحملة التركية على مصر ، وأن المصريين لا ينسون هذه المساعدة ، ثم أتأكد من جلالته أن الحملة لا تمس الامتيازات التى نالتها مصر من تركيا ، وأن تعود الحالة إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال مع عودة سموه إلى عرشه .

هذا ولما كنت إذ ذاك على وشك السفر من روما ، لم أرسل الرد للسفارة ريثما أعرض المسألة على الخديو الذى علمت بحضوره إلى فينا . وعند وصولى إليها ومحادثتى معه اتفقنا على أن يقوم محمد بك فريد بالسفر إلى ألمانيا مع الأستاذ محمد فهمى ؛ وقد تقابل مع سفير ألمانيا فى فينا وأعلمه باعتذارى عن السفر ، وانتدابه هو وزميله للذهاب إلى برلين ، فسلمه خطاباً لوزير الخارجية الألمانية بخصوص هذه المقابلة .

وقد تأكدنا أن الحكومة الألمانية تعلق أهمية كبرى على المحادثة مع الوطنيين

خشية أن يعتبر سفر الخديو من الأستانة اختلافاً بين سموه وبين العثمانيين؛ ولهذا أرسلت سفارة ألمانيا فى الأستانة إلى القنصل فى جنيف بأن سفر سموه كان لأشغال خصوصية، وأنه على وفاق تام مع الاتحاديين .

وقد عمل فريد بك حديثاً مع مكاتب جرنال « النيوفراى بريسيه » فى فينا عن مطالبنا التى نرجو تحقيقها فى الارادة

أما الخديو فانه لم يكتف بمقابلة فريد وفهمى لوزير الخارجية، بل كان يرغب كل الرغبة فى مقابلة الامبراطور ليحادثه : لا فى مسألة مصر فقط، بل فى القيام بمساع لتقريب فرنسا من ألمانيا . وسيرى القارىء تفصيلات هذه المساعى فى الجزء الثالث

الحفاوة بالخديو فى فينا . بعد خروج الخديو من الأستانة والسفر لفينا اهتمت الدوائر الحكومية باستقباله والحفاوة به، وكذلك سفير ألمانيا وتركيا

وقد أرسل برشتولد وزير خارجية النمسا إلى سموه فى ٢٤ ديسمبر يهنئه بعيد الميلاد، ويقدم له لوجين فى الأوبرا وفى تياترو البرج، وقال فى خطابه : « أرجو أن تجيئنا السنة الجديدة بسلام مشرف وطيد الدعائم، وأن يتاح لسموكم العودة إلى بلادكم الجميلة »

وقد رد عليه الخديو شاكراً ثم قال : « إننى من جهتى أدعو الله دعاء حاراً أن تكون سنة ١٩١٥ سنة سعيدة لنا جميعاً، وأن يتوج النجاح جيوش صاحب الجلالة الإمبراطور وحلفائه . وإننى أمام علائم العطف التى لم ينقطع جلالة الامبراطور عن إبدائها نحوي، أجد من واجبى أن أبتهل إلى الله القدير أن يحفظ حياته الثمينة زمناً طويلا، وأن يهب شعبه المجد والرخاء » وختم الخديو الخطاب بتهنئة وزير الخارجية بعيد الميلاد والعام الجديد

وقد دعا سفير الدولة سموه وحاشيته للغداء يوم ٢٩ الجاري؛ وكنت أنا ويوسف صديق باشا بين المدعوين

وفي يوم ٢٩ منه ذهبنا تلبية للدعوة؛ وكان من بين المدعوين وزير خارجية النمسا وزوجته، وسفير ألمانيا وزوجته، والكونت تولجاش من رجال وزارة الخارجية والكونتس زوجته، والكونت ماكيو سفير النمسا فى روما

وبعد انصراف المدعوين اختلى السفير ووزير الخارجية بالجناب الخديوى مدة نصف ساعة، دار الحديث خلالها عن الانقلاب الذى حصل فى مصر، ثم قال وزير

الخارجية: « وعلى ذلك لابد أن المخصصات انقطعت » فرد سموه بالايجاب ، فقال السفير: « وماذا ستفعلون ؟ نعم المعروف أنكم من الأغنياء ، ولكنكم الآن فى خارج مصر » فرد سموه قائلا : الحمدلله فاننى غنى وعلى رغم أننى فى خارج بلادى ، فاننى قد لا أحتاج لشىء »

وقد لاحظنا نحن على الخديو اعترافه بأنه غنى ! فقال : « أنا أعرف بأفكار هؤلاء الناس ، والقاعدة عندهم أن الغنى هو الذى يعتنى به ، أما الفقير فلا يؤبه له . وهذا مثلا ناظر الخارجية ، فهو رجل عادى من حيث كفاءته ، ولكن ثراؤه وانتماؤه لولى العهد هو الذى أوصله لهذا المركز . »

شئون مختلفة . فى ٤ أغسطس جاءت الأوامر من لندرة بوضع المراقبة على البرقيات من مصر وإليها .

وفى ٥ منه رجع رجال الوكالة الانجليزية إلى مصر ؛ وقنصل جنرال انجلترا فى الاسكندرية عرف رشدى باشا باعلان انجلترا الحرب ضد ألمانيا رسمياً . فأخذت النظارة تبحث فى ضرورة إعلان نوع من الأحكام العرفية ، خوفاً من وقوع اعتداء من الخارج ، وأخذت الجنود الانجليزية فى إقامة استحكامات أمام الواجهات الخارجية لسراى رأس التين . وكذلك أمام الثكنات الحكومية ، وثكناتهم ؛ وأحضروا المواد من طرفهم .

وفى ١٤ منه أبرق مرتضى لرشدى بأن المصريين بأوربا خابرونا بالصعوبات التى يلاقونها من البنوك لأخذ نقودهم ؛ والمرجو إخبارنا برقياً عن الاجراءات التى سيتخذها .

وفى ٢٥ منه أجتمع الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر ، والشيخ محمد حسنين مخلوف ، والشيخ ابو الفضل الجيزاوى ، عند رشدى باشا . ودار الحديث فيما إذا كان من المناسب تأخير افتتاح الدراسة فى الأزهر ، وفى المعاهد الدينيـة الآن ، خوفاً من حصول هياج بين الطلبة ؛ خصوصاً إذا أعلنت تركيا الحرب على انجلترا . وبعد المداولة ، تقرر افتتاح الدراسة ، على أنه إذا حصلت أية مشاغبة تأمر الحكومة بتأجيل الدراسة فى كل المعاهد . وجرى البحث فى شأن سفر الحجاج فى هذه السنة ؛ ويرجو رشدى أن يكون الخديو فى مصر حين الفصل فيها .

وفى ٣١ أغسطس أبرق يوسف صديق باشا للقائمقام يرجوه تبليغ الخاصة الخديوية تسليم كل المبالغ الذهبية ، والباقى من المخصصات ؛ بعد تنزيل ما يلزم منها

للادارة الخاصة إلى محمد فهمى بك ، ليحضرها معه عند سفره إلى الاستانة ؛ وكذلك يسلم له مراسلاته ومراسلات السراى .

وفى ١ سبتمبر أبرق إليه يرجوه أيضاً تسليم محمد فهمى بك الوقائع الرسمية التى نشرت الديكريتات الخاصة بقرارات الحكومة المصرية عن حالة الحرب ؛ وكذلك مجموعة الوقائع من أول أغسطس .

وفى ١٠ منه أرسلت برقية إلى القائمقام ، بأن قومندان المحروسة أخبر بحصول ضجة من رجاله بسبب عدم دفع رواتبهم ؛ وطلب سموه سرعة إرسالها ؛ كما طلب أيضاً استعلامات عن حالة المصريين فى أوربا .

فرد على سموه فى ١٤ منه بأن المصريين رجعوا لمصر فى ٩ سبتمبر ، ما عدا البرنس عمر طوسون .

وفى ١٦ سبتمبر جاء الدكتور خيرى باشا حكيم السلطان ؛ وثابت بك أثوبجى باشى لدعوة أفندينا من طرف السلطان ، لحضور حفلة توزيع الجوائز على متخرجى مدرسة البحرية ؛ ومشاهدة استعراض المراكب الحربية ، ومن ضمنها المدرعة « جوبن » و « برسلاو » الألمانيتان ؛ فأرسل أفندينا تلغرافاً لجلالته صباح ١٧ منه بالاعتذار لتوعك مزاجه (والحقيقة لعدم استحسانه وجوده فى جم غفير فى الخيمة التى سيكون فيها المدعوون) . ولكن التلغراف لم يصل قبل قيام جلالته ، مع أنه أرسل قبله بثلاث ساعات ، لاهمال حصل من الجندى (مراسلتنا) الذى أوصل البرقية لمكتب التلغراف أو من مأمور التلغراف ؛ فأرسل جلالته يستعلم عن سبب التأخير ضابطاً من الجندرمة برفاص ؛ وقال إن جلالته انتظر ربع ساعة على يخت إرطغرل (وكان عليه السلطان ، وولى العهد وحيد الدين افندى ، ومجيد افندى ؛ وهم الذين يأتون بعد ولى العهد) . فأفهمته أن سموه أرسل تلغرافياً اعتذاره للسلطان ؛ وأعطيت له صورة منه .

وفى ١٧ منه أرسل رشدى يقول إن وطسن باشا يلتمس من أفندينا أن يصرح له بأجازة للحاق بألايه فى فرنسا ؛ وأن الحكومة المصرية أجازت مثل ذلك لغيره ؛ وبما أن وطسن باشا من الموظفين فى خدمة سموه ، رأيت من الواجب علىّ أن أعرض طلبه ؛ وأنا متأكد أن سموه لا يرفض هذا الطلب ، فماذا حصل ؟

وفى ١٩ سبتمبر علمنا أنه حصل شقاق بين الوزراء العثمانيين ؛ فالبعض يطلب الدخول فى الحرب ، والبعض الآخر لا يقول بها ؛ فالذين لا يطلبون هم جاويد بك ؛

وطلعت بك ، وجمال باشا . أما الصدر فيصوره أفندينا أنه فى الظاهر مع الألمانيين ؛ وأما فى الباطن فهو مع الانجليز .

فى برقيـة من صديق فى ٢٨ سبتمبر ، رجا فيها القائمقـام باعطاء التعليمات لأحمد صادق بك ، لسحب أسهم البنك العقارى المحفوظة فيه باسم الدائرة الخاصة ، وإرسالها إلينا ، بعد وضعها فى غلاف ، وختمه بالشمع الأحمر .

وفى هذا التلغراف تعليمات عن كيفية إرسالها ؛ وأن كشف النمر يحفظ بطرف أحمد صادق بك ، وسيرسل له خطاب منـا بصحة هذه البرقيـــة ، لتقديمه للبنك إذا وجدت صعوبات .

فى ٤ اكتوبر دعى سفير أمريكا وزوجته لتناول الشاى فى كشك صاحب منلا وحضر يوسف صديق باشا ومحب باشا .

فى ٥ اكتوبر اشتغل الخديو باعطاء التعليمات اللازمة لمحمد فهمى بك التشريفاتى قبل سفره لمصر .

وأهم هذه التعليمات نقل الأشياء الثمينة التى بالقصور إلى تفتيش أدفينا ؛ مع وضع نظام لحراستها ؛ وإرسال الأشياء الثمينة الأثرية منها من سيوف الأسرة الخـديوية وخلافها للاستانة .

وفى ٧ اكتوبر نزلت لشراء خزانة كبيرة ليضع فيهـا الخـديو الأوراق الثمينـة كالعقـود والأسهم وغـيرها . وقد أمر سموه باستحضار كل ذلك من مصر ليكون فى مأمن .

وفى ٣٠ منه هرع إلى سراى بيك كثير من الزائرين لتهنئة أفندينا بالعيد ، وكلهم تقريباً من المصريين ؛ وفيهم فريد بك ، والشيخ جاويش ، وباقى أركان الحزب الوطنى ، ويوسف ضيا باشا رئيس الياوران سابقاً ، وكان قد قطع العلائق مع السراى من وقت انفصاله منها ؛ وكان الجناب العالى مسروراً .

وفى ٥ نوفمبر كان الخديو أوفد يوسف صديق باشا إلى سفارة إيطاليا ؛ ليستعلم عما إذا كان شـقيقه البرنس محمد على موجوداً بمصر ؛ وهل عين البرنس حسين حاكماً عليها ؟ وهل ضمت لانجلترا ؟

والسفارة الايطالية وردت لها معلومات من حكومتها ، تقول إن الانجليز عينوا البرنس حسين كامل مستشاراً لهم ، وأن التعيين المذكور أثر تأثيراً سيئاً فى المصريين .

ثم ورد خبر آخر بواسطة هذه السفارة ينبىء بأن البرنس محمد على والبرنس عزيز حسن يستعدان لترك مصر .

فى ١٢ نوفمبر كانت خزانة الساحلخانة بجبوقلى فى عسر مالى ؛ وقد حضر لى من مصر مبلغ من النقود الذهبية ، فسلمت منه خمسمائة جنيه انجليزى للخزانة سلفة أستردها من الخاصة بمصر وقت رجوعى إليها .

فى ١٩ منه كان جمال باشا ناظر الحربية قد استأذن من الجناب العالى أن يتفضل ويأذن باستخدام المحروسة مع الأسطول العثمانى لسرعتها ، لمعاونة المدرعات . فأجاب سموه بالقبول ؛ كما كان قد أذن باستعمال التلغراف اللاسلكى . فأرسلت البحرية بعض المهندسين للكشف على المحروسة ؛ ولكن لما وجدوها غير صالحة للاستعمال كمدرعة ، أرسلت الحكومة جواباً بالشكر وبعدم لزومها ؛ والجواب مؤرخ بتاريخ اليوم .

سافر اليوم إلى دده أغاج عبد الله البشرى افندى ليقابل هناك بعض المستخدمين فى الباخرة سعيدية الآتية من الاسكندرية ؛ ويعلم منهم بعض أخبار مصر ؛ أو يصاحب بعض ركابها ، ويعلم منهم شيئاً عن الحوادث المصرية .

وفى هذا اليوم سافر من الاستانة اثنان من مهندسى المحروسة الوطنيين ، قاصدين دده أغاج ومنها إلى الاسكندرية . ولكن الوابور المخصوص تأخر سفره إلى المساء ، فاضطرا إلى الانتظار إلى غد أو بعد غد وكذلك تأخر سفر (الدكتور ر . افندى) عن ميعاده اليوم .

فى ٢٢ منه تشرف بمقابلة الجناب العالى فى سراى ببك ، محمد فريد بك ؛ وقدم لسموه أبا سعيد الهندى صاحب جريدة « جهاد إسلام » التى تصدر فى الاستانة باللغات الثلاث : العربية والتركية والأوردية ؛ وقدم لسموه أربعة من الطلبة المصريين الذين جاءوا من لندرة أخيراً .

فى أول ديسمبر جاء فى سراى ببك قبل الظهر ياور من نظارة الحربية ، اسمه غالى عاطف ، ومعه جواب بامضاء أنور باشا ، يطلب فيه من سمو الخديو تسليم آلة التلغراف اللاسلكى التى فى الباخرة المحروسة ، فأبلغه سموه بأنه سيصدر الأوامر اللازمة فى هذا الموضوع .

وبعد الظهر أمر سموه عارف باشا بالذهاب إلى نظارة الحربية ، لابلاغ أنور باشا

بموافقة سموه على نقل هذه الآلة من الباخرة « المحروسة » ، ووضعها تحت تصرف الجيش وإدارته .

وفى هذا اليوم أيضاً أمر سمو الخديو بتحضير بيان بأسماء جميع الموجودين فى سراى جبوقلى ، لترحيل من يلزم ترحيله منهم إلى مصر بالباخرة سعيدية ، من بواخر الشركة الخديوية ، التى أرسلت اليوم أنها ستقوم .

فى ٨ ديسمبر ذكر سموه أن الحكومة العثمانية عثرت على أوراق فى نادى العرب بالاستانة تدل على أن جماعة منهم يحرضون العرب من أهل سوريا ، على ألا يسيروا فى هذه الحرب التى يرونها مشئومة . قال هذا سموه ، والظاهر أنه كان يرمى إلى إشعار السيد عبد الحميد الزهراوى بأن يترك الاستانة مؤقتاً ويهرب منها . ولكن سموه خشى أن يبلغه ذلك مباشرة ، ثم يسأل عمن أوعز له بالهرب ، فيقولون : سمو الخديو .

فى ١٤ منه عند ظهر اليوم خرج سموه لابساً ملابسه الرسمية العسكرية ؛ وكذلك رمزى طاهر باشا ، والميرالاى ابراهيم أدهم بك ، والصاغ محمد خيرى افندى ؛ ثم يوسف صديق باشا ، وعارف باشا . وقصد سموه سراى مجلس المبعوثان لحضور حفلة الافتتاح ؛ ثم عاد سموه وحاشيته لتناول طعام الغداء .

كلمة شكر

لا يفوتنى أن أتقدم بالشكر إلى حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون على ملاحظاته القيمة وعلى تفضله ببعض الصور النادرة ، وكذلك إلى حضرة الدكتور حسين بك هيكل الكاتب القدير على مقدمته النفيسة التى صدرت بها القسم السابق ، وإلى الدكتور محمد عبد الله عنان على تنسيقه المذكرات ، كما أشكر الصحافة العربية والأفرنجية وبعض الكتاب البارزين على تقريظهم الجميل لها

كلمة ختامية

لم يبق من مذكراتى سوى الجزء الأخير ، ومما سيحويه : الجمعيات السرية الجهنمية لاثارة الفتن والقلاقل بمصر ضد الانجليز ، بولو باشا والعمل لصلح فرنسا وحدها مع ألمانيا ، المخابرات بين عباس وانجلترا بوساطة ملك البلجيك ، رجوع عباس إلى الاستانة بعد اتفاق مع الاتحاديين

وأنا أرجو الله أن يوفقنى لاخراج هذا الجزء الأخير ، وكشف هذه الخبايا للحقيقة والتاريخ .

والله ولى التوفيق